



الجامعة الإسلامية - غزة
الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والعشرين

من القرآن الكريم

(سورة هود الآيات: ١-٨٣)

The analytical study

of Purposes and Objectives of Part Twenty-Three in the Holy

Quran (Sura Hud 1-83)

إعداد

الطالب / سعيد طه خضر

إشراف

فضيلة الدكتور/ زهدي محمد أبو نعمة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير
وعلوم القرآن

1435هـ - 2014م

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث و العشرين

من القرآن الكريم (سورة هود الآيات: ١-٨٣)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:

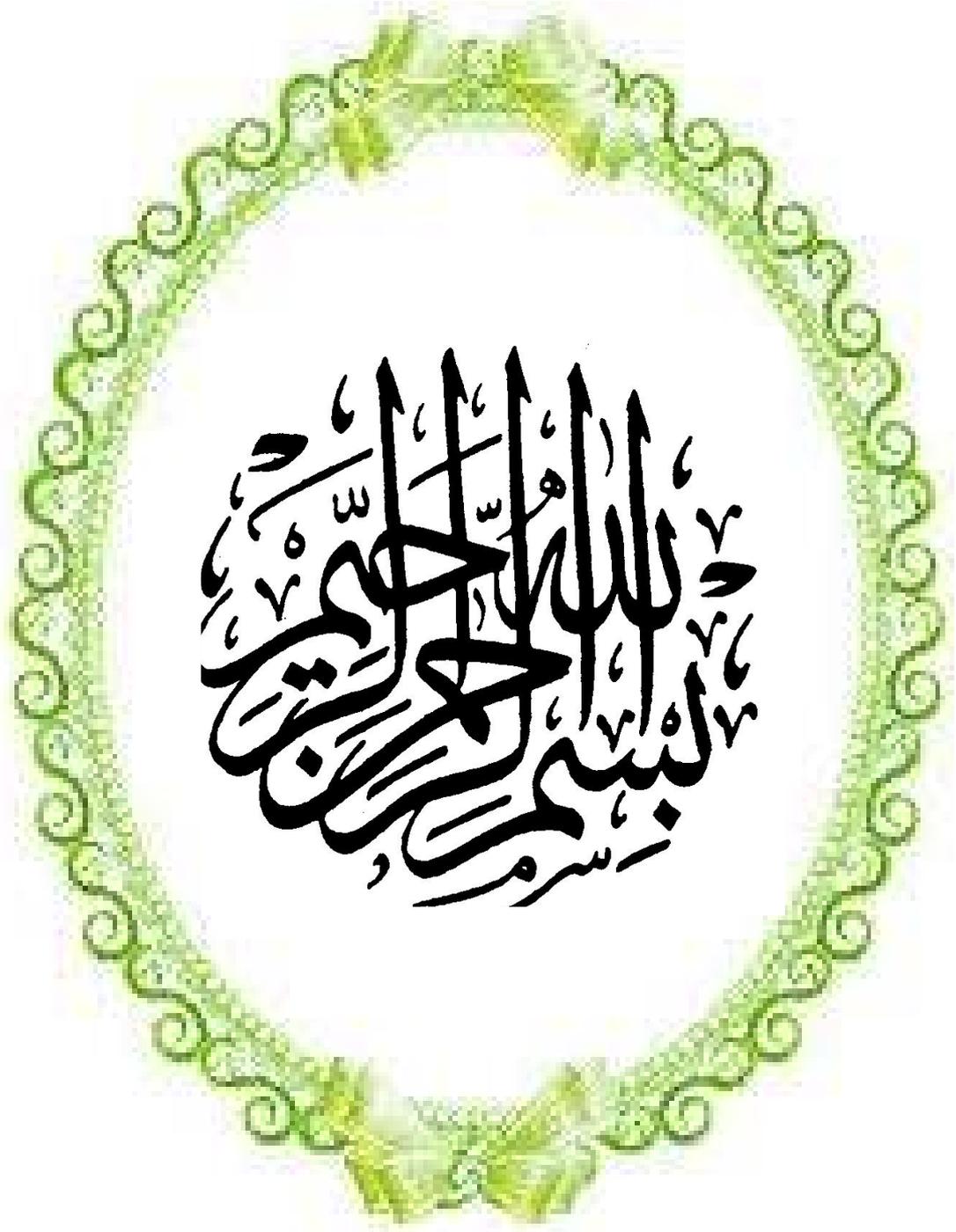
اسم الطالب: سعيد طه خضر

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:



قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
اِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ {النساء: ٨٢}

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ {الزُّمَر: ٢٨}

الإهداء

- ❖ إلى من هو أحبُّ إليَّ من نفسي... إلي من أضحي لأجله بأعلى ما أمك... إلي شفيعي يوم القيامة، سيد الخلق أجمعين محمد ﷺ.
- ❖ إلى روح والديَّ الكريمين، والذي قاله تعالى: ﴿ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤] الَّذِينَ هُما سبب في وجودي، وهدايتي، وتعليمي بعد الله ﷻ أسأل الله العظيم أن يسكنهم فسيح جناته.
- ❖ إلى رفيقة دربي، وقرّة عيني؛ زوجتي الغالية، التي صبرت معي على حلو الحياة ومرها.
- ❖ إلى أبنائي وبناتي، وأزواجهم وأبنائهم الأعراف على قلبي.
- ❖ إلى إخوتي الأحباب وأزواجهم وأبنائهم وأخواتي الحنونات وأزواجهن وأبنائهن.
- ❖ إلى إخوتي في الله ﷻ وأصحابي وأصدقائي، الذين أخلصوا لي في أخوتهم وصحبتهم وحسن معاشرتهم، كل باسمه ولقبه.
- ❖ إلى شيوخ وشباب وأشبال المسجد العمري، ومسجد عبد الله بن مسعود، بمدينة جباليا.
- ❖ إلى عائلتي الكريمة، وأهل مدينتي الطيبين، في الوطن والشتات.
- ❖ إلى هذه الدعوة الغراء الشامخة شموخ الجبال، بمؤسسها المرحوم بإذن الله تعالى الشيخ أحمد ياسين، وإخوانه، والتي زرعت في نفوسنا حب العلم واحترام العلماء.
- ❖ إلى من رووا بدمائهم الطاهرة أرض هذه البلاد المقدسة، وهم أكرم منا جميعاً.
- ❖ إلى محضن العلم والعلماء، ومخرجة الأبطال والشهداء والقادة، والتي سرّت في حياتي سيرتها، الجامعة الإسلامية، برئاستها، وعمدائها، وأكاديميها، وجميع العاملين فيها.
- ❖ إلى كل من أحب العلم والتعلم وناضل من أجل تحصيله.
- ❖ إلى زملائي في كلية أصول الدين والدراسات العليا، وأخص بالذكر الأخ بل الابن البار: إسلام ديب قنيطة.
- ❖ أقدم هذا الجهد المتواضع سائلاً المولى ﷻ أن يتقبله مني بقبول حسن وينفعني به في الدنيا والآخرة، وينفع به الإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهدي هذا الجهد المتواضع

بإذن الله تعالى
الشيخ محمد بن عبد الله بن مسعود

بإذن الله تعالى
الشيخ محمد بن عبد الله بن مسعود

الشكر والقبول

انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ [النمل: ٤٠]، وانطلاقاً من قول النبي محمد ﷺ: (مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ) (١) فإنني أحمد الله ﷻ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، أن من علي بإتمام هذه الرسالة، ويسرّها لي حتى صارت على هذا النحو، فيا رب لك الحمد في الأولى والآخرة.

وأقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان، اعترافاً لأهل الفضل بفضلهم لأستاذي ومشرفي فضيلة الدكتور/ زهدي محمد أبو نعمة، الذي تكرم بقبوله للإشراف على هذه الرسالة التي أرشدني إلى موضوعها، كما أنه - حفظه الله - لم يأل جهداً في إهداء التوجيهات والملاحظات والنصائح التي استفدت منها كثيراً حتى خرجت هذه الرسالة على هذا الوجه، فأدعو الله ﷻ أن يجزيه أفضل الجزاء، وخير الثواب، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وأقدم عظيم شكري لأستاذي الفاضلين، عضوي لجنة المناقشة، الذين تفضلاً بقبول مناقشة هذه الرسالة، لإبداء الملاحظات التي تزيدها حسناً، وهما:

فضيلة الأستاذ الدكتور: زكريا إبراهيم الزميلي... حفظه الله.

فضيلة الدكتور: سامي محمود أحمد... حفظه الله.

كما وأشكر الجامعة الإسلامية بغزة، التي أتاحت لي فرصة الالتحاق بالدراسة العليا، سائلاً المولى ﷻ أن يجزي القائمين عليها خيراً.

وأخيراً أشكر كل من نصحتني، وأعانني وأسدى إليّ معروفاً، ودعا لي في ظهر الغيب، وكل من ساهم في إخراج هذا البحث إلى النور.

(١) سنن الترمذي - كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إلي، رقم ١٩٥٤ (٤/٣٣٩)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، ونعوذ بالله تعالى من أن نضل أو نُضل، أو نُزل أو نُزل أو أن نجعل أو يُجعل علينا، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، الذي علم المتعلمين، المبعوث رحمة وهدى ونوراً للعالمين.
أما بعد:

إن علم التفسير من أعظم العلوم وأشرفها؛ لأنه مُتعلق بأصدق الحديث، ألا وهو كلام الله ﷺ، ولاشك أن من حاز هذا العلم فقد حاز العلوم كلها.
القرآن الكريم مستودع من العلوم والأسرار الإلهية والإشارات الربانية، فالإنسان حينما يتأمل ويتبحر فيه، يجد علاجاً شافياً لجميع مشكلات هذا العصر، فالمنهج القرآني فيه إصلاح للفرد والمجتمع؛ لأنه المعين الذي لا تتقضي عجائبه، لذلك كان لابد من الوقوف على أهدافه ومقاصده ومراميه، فأرجو أن تُحقق هذه الدراسة: (الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والعشرين من القرآن الكريم "سورة هود الآيات: ١-٨٣") جانباً من تلك الأهداف والمقاصد لآيات سور القرآن الكريم.

أسأل الله ﷻ أن يوفقني لما يحبه ويرضاه، وأن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- ١- تعلق موضوع الدراسة بأشرف الكتب وأجلها على وجه الأرض، ألا وهو القرآن الكريم.
- ٢- اطلاع القارئ على معالم الطريق الموصلة إلى مرضاة الله رب العالمين، وسعادته في الدارين.
- ٣- تعميق النظر في كتاب الله ﷻ، والتفكير والتدبر لآياته، والغوص في ثنايا النصوص لاستخراج المكنون فيها.
- ٤- بيان المقاصد والأهداف للآيات يبعث على رسوخ الإيمان في النفس، والعناية بالقرآن، والإقبال عليه، والتحاكم إليه.

ثانياً : أهداف البحث:

- ١- أرجو من عملي هذا؛ الأجر والثواب، وأبتغي به وجه الله ﷻ.
- ٢- خدمة الدعوة إلى الله تعالى: حيث جاء هذا البحث للمساهمة في بيان مقاصد وأهداف سور القرآن الكريم وآياته.
- ٣- يهدف هذا البحث إلى بيان الموضوعات الأساسية للحزب الثالث والعشرون من القرآن الكريم من سورة هود وإظهار مقاصدها العامة وأهدافها التي تهدف لترسيخها في المجتمع الإسلامي.

٤- فتح آفاق جديدة أمام الباحثين، وذلك من خلال الموضوعات التي سيتم طرحها في هذه الأطروحة، والنتائج التي سيتوصل إليها الباحث.

٥- إثراء المكتبة الإسلامية بهذا النوع من التفسير.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية، والبحث عبر شبكة الانترنت، وسؤال الإخوة المختصين لم أعثر على أي رسالة علمية، سواء كانت رسالة ماجستير أو دكتوراه قد تناولت هذا الموضوع.

وقد جاء هذا البحث استكمالاً لسلسلة الأبحاث التي تم اعتمادها في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف المتنوعة، والمختلفة لآيات القرآن الكريم، وكان نصيبي في هذه الدراسة (الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والعشرين من القرآن الكريم "سورة هود الآيات: ١-٨٣")

رابعاً: منهج البحث:

سيتبع الطالب المنهج التحليلي والموضوعي في التفسير وسيكون عملي في البحث على النحو التالي:

١- تقسيم آيات الحزب الثالث والعشرين إلى فصول ومباحث وجعلت لكل مبحث آياته المناسبة له، حسب موضوع آيات البحث نفسه، وسأقوم بتحديد واكتشاف ما تحويه آيات كل مبحث من مقاصد وأهداف وتحليلها.

٢- كتابة الآيات مضبوطة بالحركات وفق الرسم العثماني، مع عزو الآية في المتن بعدها مباشرة.

٣- تحليل مقاصد وأهداف الحزب الثالث والعشرين تحليلاً عميقاً.

٤- خدمة البحث بالرجوع إلى المراجع الأصلية، والمعتمدة من كتب التفسير وغيرها.

٥- تخريج الأحاديث التي سترد في البحث تخريجاً علمياً مع إيراد حكم العلماء عليها.

٦- الرجوع إلى المعاجم اللغوية من أجل بيان معاني المفردات الغريبة.

٧- عمل تراجم للأعلام المغمورين الذين سيرد ذكرهم.

٨- عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها وذلك في مواضع الاقتباس وتوثيقها حسب الأصول.

٩- إثبات المراجع في الحاشية دون تفصيل مبتدئة بذكر اسم الكتاب، والجزء، والصفحة، مع ذكر كامل تفاصيل التوثيق في فهرس المصادر والمراجع.

١٠- إعداد الفهارس اللازمة الخاصة بالبحث، وذلك لتسهيل عملية البحث.

خامساً: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وفصل تمهيدي، أربعة فصول وخاتمة، كما يلي:

أما المقدمة تشمل على:

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ثانياً: أهداف البحث.

ثالثاً: الدراسات السابقة.

رابعاً: منهج البحث.

خامساً: خطة البحث.

الفصل التمهيدي: الجانب النظري للدراسة:

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف وفيه:

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية:

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية:

ثالثاً: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً:

رابعاً: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً:

خامساً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات:

سادساً: ما تميزت به الأهداف عن المقاصد:

سابعاً: المقاصد تتميز عن الأهداف:

ثامناً: طرق معرفة مقاصد السور والآيات:

تاسعاً: ما يحتاج اليه الباحث لكشف واستنباط مقاصد السورة:

المبحث الثاني: تعريف عام بسورة هود ويشتمل على:

أولاً: اسم السورة، ترتيبها، عدد آياتها.

ثانياً: مكان وزمان نزول السورة.

ثالثاً: جو نزول السورة.

رابعاً: مناسبة سورة هود لما قبلها وما بعدها.

خامساً: محور السورة وخطوطها الرئيسية.

سادساً: موضوعات السورة.

الفصل الأول

إحكام القرآن الكريم وتحدي المشركين به

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (١ - ٢٤)

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول

إحكام القرآن ودعوته إلى عبادة الله والتوبة إليه والإيمان بالبعث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (١ - ٤)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إحكام القرآن.

المطلب الثاني: الدعوة إلى تحقيق العبودية لله تعالى.

المطلب الثالث: الحث على الاستغفار والتوبة.

المطلب الرابع: مرجع الخلاق بعد الموت إلى الله تعالى.

المبحث الثاني

كمال علم الله لأعمال الكفار والمنافقين

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٥ - ١١)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كمال علم الله ﷻ وعظمة نعمته.

المطلب الثاني: عظمة عرش الرحمن ﷻ.

المطلب الثالث: موقف الإنسان من النعمة الإلهية أو النعمة.

المبحث الثالث

من أراد الدنيا ومن أراد الآخرة

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (١٢ - ١٧)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: من أراد الدنيا وحدها حرم من نعيم الآخرة.

المطلب الثاني: آيات الإعجاز في سورة هود.

المطلب الثالث: القرآن الكريم ثابت من عند الله تعالى.

المطلب الرابع: حقيقة الدنيا ونهايتها.

المطلب الخامس: شهادة القرآن الكريم والكتب السماوية على صدق محمد ﷺ.

المبحث الرابع

الكافرون والمؤمنون وجزاء أعمال كل منهم

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (١٨ - ٢٤)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الكاذبون الظالمون وجزاء أعمالهم.

المطلب الثاني: أثر الناس خسارة يوم القيامة الذين يصدون عن سبيل الله.

المطلب الثالث: لاتساوي على الإطلاق بين المؤمنين والكافرين.

الفصل الثاني

العبر والعظات المستفادة من قصة نوح عليه السلام

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٢٥ - ٤٩)

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول

قصة نوح عليه السلام

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٢٥ - ٣١)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نوح عليه السلام يأمر قومه بعبادة الله وحده.

المطلب الثاني: عليّة القوم يكذبون نوح عليه السلام.

المطلب الثالث: مجادلة نوح عليه السلام لقومه وإقامة الحجة عليهم.

المطلب الرابع: حقيقة النبي ليس ملكاً ولا يعلم الغيب وليس عنده خزائن الله.

المبحث الثاني

استعجال قوم نوح عليه السلام العذاب ويأسه منهم

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٣٢ - ٣٥)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: رفض المشركين لدعوة نبيهم نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: بيان أن عذاب الله للمشركين بمشيئته وأنهم لا يعجزونه.

المطلب الثالث: الكفار يهتمون النبي عليه السلام بالافتراء.

المبحث الثالث

أوحى الله ﷻ إلى نوح عليه السلام بصناعة السفينة

الدراسات التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٣٦-٤١)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أوحى الله ﷻ لنوح عليه السلام بعدم إيمان أحد من قومه إلا من آمن.

المطلب الثاني: يحمى الله ﷻ الرسل وينجيهم.

المطلب الثالث: سخرية قوم نوح عليه السلام عند صناعته للسفينة.

المطلب الرابع: سنة الأنبياء جميعا الابتداء بالبسملة.

المبحث الرابع

انتهاء الطوفان ونجاة نوح عليه السلام ومن معه وهلاك ابنه وقومه

الدراسات التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٤٢-٤٩)

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: غرق ابن نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: انتهاء فترة هلاك قوم نوح عليه السلام.

المطلب الثالث: العدل الإلهي مطلق.

المطلب الرابع: استعادة نوح عليه السلام بالله ﷻ من سؤاله ما لم يعلم.

المطلب الخامس: نجاة نوح عليه السلام ومن معه.

المطلب السادس: قصة نوح عليه السلام من أنباء الغيب.

الفصل الثالث

قصتا هود وصالح - عليهما السلام - مع قومهما

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٥٠-٦٨)

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول

الترغيب والترهيب في دعوة هود عليه السلام قومه

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٥٠-٥٦)

ويشتمل أربعة مطالب:

المطلب الأول: هود عليه السلام يحث قومه على عبادة الله تعالى.

المطلب الثاني: نتيجة الاستغفار.

المطلب الثالث: من أسباب الضلال التقليد في العقيدة.
المطلب الرابع: التوكل على الله ﷻ عبادة تحت على الالتزام.

المبحث الثاني

نجاه هود عليه السلام وإهلاك قومه

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٥٧-٦٠)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تبليغ رسالة الله ﷻ مهمة الأنبياء وهم في كنف الله ورحمته.

المطلب الثاني: الجحود والعصيان والعناد.

المطلب الثالث: إهلاك قوم عاد باللعة في الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث

قصة صالح عليه السلام وإهلاك قومه

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٦١-٦٨)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: دعوة صالح عليه السلام قومه لعبادة الله وحدة.

المطلب الثاني: المجادلة بين صالح عليه السلام وقومه

المطلب الثالث: معجزة صالح عليه السلام.

المطلب الرابع: نجاة صالح عليه السلام ومن آمن معه وهلاك الظالمين.

الفصل الرابع

قصتا إبراهيم ولوط -عليهما السلام- مع قومهما

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٦٩-٨٣)

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول

قصة إبراهيم عليه السلام وبشارته بإسحاق ويعقوب

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٦٩-٧٦)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مشهد إبراهيم عليه السلام مع الملائكة المُبشِّرين.

المطلب الثاني: بشارة الملائكة لزوجة إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثالث: توسل إبراهيم عليه السلام من ربه بتأخير العذاب عن قوم لوط بهدف توبتهم.

المبحث الثاني

قوم لوط عليه السلام يريدون ضيفه بسوء

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٧٧-٨١)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نزول الملائكة لعقاب قوم لوط عليه السلام.

المطلب الثاني: دعوة لوط عليه السلام لقومه الزواج من بنات قومه.

المطلب الثالث: إصرار قوم لوط عليه السلام إتيان ضيوفه بسوء.

المبحث الثالث

هلاك قوم لوط عليه السلام وزوجته

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٨١-٨٣)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نجات لوط عليه السلام وأهله، وإهلاك زوجته وقومه.

المطلب الثاني: إهلاك قوم لوط عليه السلام بقلب قراهم عاليها سافلها.

المطلب الثالث: الرجم حد من ارتكب جريمة اللواط.

الخاتمة وتشتمل على: أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس

وتحتوي على:

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- ٤- فهرس المصادر والمراجع.
- ٥- فهرس الموضوعات.

التمهيد

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف
- المبحث الثاني: تعريف عام بسورة هود

المبحث الأول

التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

وفيه ما يلي:

- * أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية
- * ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية
- * ثالثاً: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحاً
- * رابعاً: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً
- * خامساً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات
- * سادساً: ما تميزت به الأهداف عن المقاصد
- * سابعاً: المقاصد تتميز عن الأهداف
- * ثامناً: طرق معرفة مقاصد السور والآيات
- * تاسعاً: ما يحتاج إليه الباحث لكشف واستنباط مقاصد السورة

المبحث الأول

تعريف بالدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف

إن أجلَّ علم صرفت فيه الهمم، علم الكتاب المنزل، إذ هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزِيل من حكيم حميد فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، فلو أنفقت فيه الأعمار ما أدركت كل غوره، ولو بذلت الجهود كلها ما أنضبت^(١) من معينه شيئاً يذكر، ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة على العناية بتفسيره، وبيانه ودراسته، واستدرار كنوزه، والنهل من معينه العذب النмир^(٢)، ولأجل انكبابهم على دراسته، تنوعت طرائقهم في عرض علومه، واختلفت مشاريعهم في إيضاح مكنوناته.

ومن هذه المشاريع التي تخدم القرآن الكريم استخدام أسلوب الدراسة التحليلية للقرآن الكريم مبيناً صاحبه من خلاله أهداف ومقاصد القرآن الكريم .

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية:

- ١- الدراسة التحليلية لغة: نسبة إلى التحليل فهو مأخوذ من الحل بمعنى: الفتح، ونقض المنعقد. قال ابن منظور: "وَحَلَّ العَقْدَةَ يحلها حلاً، فتحها ونقضها، فانحلت"^(٣).
- ٢- الدراسة التحليلية اصطلاحاً: هو تفكيك الكلام على الآية لفظة لفظة، والكلام على ما فيها من معانٍ وإعرابٍ وأحكامٍ وغيرها، ثم الانتقال إلى ما بعدها^(٤).

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية:

البحث العلمي النزيه أساس المعرفة الحقة التي تعود على طلابها بالنفع، وثمرته من أشهى الأكل لغذاء الفكر وتنمية العقل، ولذلك فإن تهيؤ أسبابه لأي باحث أمر له اعتباره في نضج ثماره ودنو قطوفه، والبحث في العلوم الشرعية عامة وفي التفسير خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف على شروطه وآدابه، حتى يصفو مشربه، ويحفظ روعة الوحي وجلاله^(٥).

(١) [نضب] نضب الماء ينضب بالضم نضوباً، أي غار في الأرض وسفل. ونضوب القوم أيضاً: بعدهم. الناضب: البعيد. ومنه قيل للماء إذا ذهب: نضب، أي بعد. ومن المجاز: نضب القوم: جدوا ومنه أيضاً، إن فلانا لناضب الخير، أي: قليله، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٦٠٩)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٢٢٦).

(٢) النمير، وهو الماء العذب النامي في الجسد الناجع. ثم يستعار فيقال [حسب] نمير، أي زك، مقاييس اللغة (٥/ ٤٨٠).

(٣) انظر: لسان العرب (٣/ ١٦٣).

(٤) انظر: أرشيف ملتقى أهل التفسير (ص: ٥٨٠٨).

(٥) انظر: مباحث في علوم القرآن (ص ٣٤).

إن الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد القرآن الكريم هي الترجمة عن الله تعالى لبيان مراده ﷻ من كلامه، لذلك لا يجوز لأي أحد اقتحام هذا المجال إلا بعد أن تتوافر فيه متطلبات هذه الدراسة لخدمة كتاب الله ﷻ وأجملها على النحو الآتي :

١ - متطلبات ذاتية:

أ- صحة العقيدة؛ لأن صحة العقيدة لها أثر كبير في نفس صاحبها، وما يتأثر به الإنسان يظهر في كلامه منطوقاً ومكتوباً.

ب- التجرد من الهوى، فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصرته مذهبهم ولو كانت على غير حق قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]^(١).

ت- أن يكون متواضعاً لين الجانب، فالصلف والتكبر يحولان بين العالم والانتفاع بعلمه، قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ وهو القدوة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

ث- أن يتحلى بالتأني والروية في حديثه، فلا يسرد كلامه سرداً سريعاً قد لا يفهمه القاريء، بل عليه أن يفصل الكلام ويبينه ويوضحه ويخرج الحروف من مخارجها، لكي يفهمه المستمع^(٢).

ج- "دقة الفهم للنص القرآني التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة"^(٣).

٢ - متطلبات علمية^(٤):

وهي تتمثل في جملة العلوم المساعدة والضرورية للكشف عن الحقيقة، والتي بدونها تذهب الجهود هدراً دون جدوى، لأنها لم تنتهياً لها الأسباب الكفيلة بإيصالنا إلى كشف الحقيقة التي نطمح إلى تجليتها وبيانها وهي:

أ- العلم باللغة العربية وفنونها : قال مجاهد: "لا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إن لم يكن عالماً بلغات العرب"^(٥).

(١) انظر: نفحات من علوم القرآن (ص: ١٢٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص: ١٢٧).

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٤٢).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/٢٩٢).

(٥) انظر: مباحث في علوم القرآن (ص٣٩).

وقال أبو حيان الأندلسي في معرض ذكره لما ينبغي أن يحيط به المفسر:

"ومع ذلك فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان"^(١).

ب- معرفة علوم القرآن وعلوم القرآن تشمل التالي: أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن، وهي من أهم العلوم التي ينبغي أن يعرفها المفسر، بل إن علوم القرآن بالنسبة للمفسر مفتاح له، لا يمكن للمفسر الاستغناء عنها بحال من الأحوال^(٢).

ت- العلم بالأحاديث النبوية المفسرة للآيات القرآنية وأقوال الصحابة في تفسير القرآن الكريم وذلك من خلال كتب الحديث.

ث- العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن، كعلم القراءات؛ لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ويُرجح بعض المعاني على بعض، وعلم التوحيد، حتى لا يؤول آيات الكتاب التي في حق الله وصفاته تأويلاً يتجاوز به الحق، وعلم الأصول^(٣).

ج- علم الفقه لمعرفة الأحكام الشرعية العملية فيه وبيانها في محالها، وآراء المجتهدين فيها والأخذ بما هو الأقوى دليلاً والأحوط عقيدةً وتقياً.

خ- علم الموهبة هو علم يورثه الله ﷻ لمن يشاء من عباده المتقين العالمين العاملين فيلهمهم المعرفة بأسرار كتابه، وكما قيل: "من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم"^(٤)، وهذا كالأساس لهذا العلم ليطلع على معانيه بما يفيضه الله ﷻ على قلبه وركن هذا العلم العكوف على التقوى، وملاكه العمل مع الورع، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة/ ٢٨٣]^(٥).

ثالثاً: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً:

١ - المقاصد لغةً: جمع مقصد، يقال: قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْداً وَمَقْصِداً، وقد استعملت كلمة القصد في لغة العرب لمعان عديدة منها:

(١) البحر المحيط (١/١٠٩).

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٤٢).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص: ٣٤٢).

(٤) الإيمان لابن تيمية (ص: ٢٦٦).

(٥) انظر: بيان المعاني (١/٧).

أ- استقامة الطريق: ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]، أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ [النحل: ٩]، أي ومنها طريق غير قاصد^(١).

ب- العدل والوسط بين الطرفين: ومن قوله ﷺ (القصْدُ القصدُ تَبْلُغُوا)^(٢) أي عليكم بالقصد من الأمور في القول والفعل وهو الوسط بين الطرفين، والقصد العدل^(٣).

ت- الاعتماد والائتمام: والقصد الاعتماد والأَم، يقال قصده يقصده قصداً، إذا أمه واتجه إليه^(٤).

ث- إتيان الشيء: القصد إتيان الشيء تقول قصدته وقصدت له وقصدت إليه بمعنى واحد^(٥).

ج- الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء: قال ابن جنبي^(٦) "قصد" ومواقعها في كلام العرب للاعتزام والتوجه النهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جور^(٧).

ح- الكسر: القصد الكسر في أي وجه كأن، تقول: قصدت العود قصداً كسرته وقيل: هو الكسر بالنصف قصدته أقصده وقصدته فانقصد وتقصد^(٨).

٢- المقاصد اصطلاحاً:

للمقاصد عدة تعريفات اصطلاحية منها:

أ- عرفه الشاطبي^(٩): لم يقف العلماء على تعريف للمقاصد عند الشاطبي، ولكن بعض الباحثين المعاصرين من خلال دراسته لكتاب الموافقات استطاع أن يستنبط تعريفاً على النحو الآتي: "إنها كل المعاني المصلحية المقصودة من شرع الأحكام والمعاني الدلالية المقصودة من الخطاب التي تترتب عن تحقيق امتثال المكلف لأوامر الشريعة"^(١٠).

(١) انظر: لسان العرب (٥ / ٣٦٤٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمدارية على العمل، (ص ١٦٣٠) (ح ٦٤٦٣).

(٣) انظر: لسان العرب (٥ / ٣٦٤٢)، تاج العروس (٩ / ٣٨).

(٤) انظر: لسان العرب (٥ / ٣٦٤٢)، تاج العروس (٩ / ٣٨).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٥ / ٩٥).

(٦) عثمان بن جنبي الموصلي، أبو الفتح، من أئمة الأدب والنحو وله شعره ولد بالموصل وتوفي ببغداد عن نحو ٦٥ عاماً، انظر: الأعلام للزركلي (٤ / ٢٠٤).

(٧) انظر: لسان العرب (٥ / ٣٦٤٢).

(٨) انظر: لسان العرب (٥ / ٣٦٤٢).

(٩) الشاطبي: إبراهيم ابن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية من كتبه الموافقات والاعتصام في أصول الفقه، ت ٧٩٠ هـ - ١٣٨٨ م، الأعلام للزركلي (١ / ٧٥).

(١٠) نظرية: المقاصد عند ابن عاشور (ص ١١٥).

ب- عرفه أحمد الريسوني^(١): "الغايات التي وضعتها الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"^(٢).
ت- عرفه علال الفاسي^(٣): "الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها".
ث- عرفه ابن عاشور: "هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختصر ملاحظتها بالكون على نوع خاص من أحكام الشريعة"^(٤).
٣- **العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:**

بعد عرض المعاني اللغوية والاصطلاحية يلاحظ الباحث أن هناك ارتباطاً وثيقاً بينهما:
أ- نلاحظ أن المقاصد فيها الاستقامة والطريق المستقيم والعدل والتوسط.
ب- الاعتماد وإتيان الشيء والاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء، كلها تدور حول إرادة الشيء والعزم عليه، وهذا هو الذي يتناسب مع المعنى الاصطلاحي.
ت- الكسر هذا المعنى لا يتناسب مع تعريف المقاصد.
٤- **التعريف المختار للمقاصد:**

بعد النظر في تعريف العلماء لمعنى المقاصد من حيث اللغة والاصطلاح والنظر في العلاقة بينهما، فإن التعريف الذي أراه راجحاً هو تعريف ابن عاشور؛ لأن تعريفه جاء شاملاً لجميع أنواع المقاصد، والمعاني والحكم وكل الألفاظ التي لها علاقة بالمقاصد؛ ولأن التعريفات الأخرى هي عند الأصوليين.
رابعاً: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً:

١- **الأهداف لغةً:** هدف من أهدفت ودنوت منك، يقال: أهدف لي الشيء، وأهدف القوم، أي قربوا، فهو مُسْتَهْدَفٌ، والهدفُ: كل شيء عظيم مرتفع وكل بناء مرتفع مشرف، أو كثيب رمل أو

(١) انظر: أحمد بن محمد بن عبد الله الريسوني الحسني الإدريسي العروسي، أبو العباس: تآثر، له زعامة، من مناوئي الاستعمار الفرنسي في المغرب الأقصى. من قرية تسمى (زينات) (الريسوني) أو (الرسولي) باللام، أخباره كثيرة، دعا إلى ثورة عامة على حكومة (المخزن) وعلى الفرنج. واستقل أمره في جبال بني عروس، واستولى على ما حول طنجة من الريف الخاضع للسلطة، وبعد معركة استمرت يومين أسر الريسوني، وكان مريضاً وقد ناهز السبعين من عمره، وحمل مع أهله إلى بلدة (تماسنت) في الريف، فمات فيها، (١٢٧٠هـ - ١٣٤٣ هـ)، الأعلام للزركلي (١/ ٢٥١).

(٢) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (ص ١٨٥ . ٢٣٢).

(٣) علال عبد الواحد الفاسي ولد ١٩١٠ م في بيت علم ودين وحفظ القرآن جميعاً وتخرج من جامعة القيروان وقاوم المحتل الفرنسي، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٦).

(٤) انظر: التحرير والتتوير (١/ ٢٣٥).

جبل؛ ومنه سُمي الغرضُ هدفاً، والهدف من الرجال الجسيم الطويل العنق العريض الألواح، وأهدف على التل أي أشرق وأسرع وأهدف إليه لجا^(١).

وجمع هدف أهداف، ومنه سمي الغرض هدفاً وهو المنتصل بالسهم ما وضع في الهدف ليُرْمى، والغرض: الهدف ويسمى القرطاس غرضاً وهدفاً على الاستعارة^(٢).

٢- الهدف اصطلاحاً: للأهداف عدة تعريفات اصطلاحية، منها:

أ- هي الأهداف التي شرعت الأحكام لتحقيقها، وأهداف الشارع هي المصالح التي تعود إلى العباد في دينهم ودنياهم، سواء كان تحصيلهم عن طريق جلب المصالح أو درء المفساد^(٣).

ب- هي: ما انعقد العزم على انعقادها في المتعلم، من تحول في مستوى المعارف والمهارات والمواقف، بشرط أن يقع التثبيت من حصول ذلك التحويل إثر فترة من التكوين تحدد مسبقاً^(٤).

ت- الأهداف هي الغايات والرغبات التي نسعى لتحقيقها، منذ نقطة البداية، لأي مخطط، أو منهج، سواء كانت الأهداف عاجلة أم آجلة، واضحة أم خفية، معلومة أم مجهولة^(٥).

خامساً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات: (٦)

١- علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال هذا القرآن كله وهو التدبر والهداية كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ {ص/ ٢٩} فالله تعالى أمرنا بالتدبر لمعرفة مراده تعالى من كلامه، والعمل به وليس المقصود بالتدبر هو النظر في عبارته وألفاظه دون النظر لمقاصده، قال الشاطبي: "فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، وإنما التفقه في المعرفة والمراد به"^(٧).

٢- مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه فهو أصل في فهم معاني كلام الله تعالى.

٣- يعين على فهم كتاب الله ﷻ فهماً صحيحاً، ويوصل إلى معرفة في تفسير كلام الله ﷻ، والتبحر في دلالاته وهوايته، قال البقاعي في كلامه على مقاصد السور: "وغاياته: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السور ومنفعتة: التبحر في علم التفسير ومعاني السور"^(٨).

(١) انظر: لسان العرب (٩ / ٣٤٥).

(٢) انظر: تاج العروس (١ / ٦١٧٤).

(٣) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية (ص/٧٩).

(٤) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية (ص/٧٩).

(٥) انظر: مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها (ص: ٤٧).

(٦) انظر: كتاب علم مقاصد السور (١١ / ١٣).

(٧) انظر: الموافقات (٤/٢٦٢).

(٨) مصادد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/١٥٥).

٤- معرفة مقصد السورة الذي تنتظم به معانيها وآياتها سبيل للسلامة من الخطأ وتفسير كلام الله تعالى على غير مراده.

٥- أن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يجعل كلام الله ﷻ مؤثلاً منتظماً على نحو كمال نظمه ومعانيه ومعناه وتكون السورة معه كالبناء المرصوص وكالعقد المتناسق^(١).

٦- بمعرفة مقصد السورة تنتظم آيات السورة وتظهر المناسبات من آياتها فتكون لحمة واحدة يجمعها معنى واحد^(٢).

٧- إن علم مقاصد السور من أعظم ما يتحقق بها ربط الآيات بالواقع، وذلك أن المتدبر في مقصد السورة معانيته تبعثه على التفاعل والتطبيق.

٨- هذا العلم يبعث على رسوخ الإيمان، وزيادة نور القلب، وقرار العين وهذا من روائع هذا العلم.

٩- إدراك المقاصد يساعد الدعاة على تحقيق أهدافهم وترشيد مسيرتهم، فلا ينشغلون بما لا يفيد من المظاهر الجوفاء^(٣).

١٠- يساعد الباحثين في العصر الحديث على الفهم الصحيح للنص القرآني الذي يحفظ من الزلل، ويصون من الاعوجاج والعلل^(٤).

سادساً: ما تميزت به الأهداف عن المقاصد^(٥):

من خلال ما سبق من تعريفات اصطلاحية لكل من الأهداف والمقاصد نلاحظ أن الأهداف تتميز بما يلي:

١- أن الأهداف تكون قبل أي نتاج علمي؛ لأنها قد تتحقق وقد لا تتحقق.

٢- يختلف تعريف الهدف تبعاً لنوعية ومستوى عموميته.

٣- الهدف الواحد ينقسم إلى عدة أهداف سلوكية تطبيقية.

٤- الأهداف العامة والخاصة لا بد من ربطها بالواقع التطبيقي للحياة قدر الإمكان.

٥- الأهداف الكبرى والعامة تهتم وتعنى في صياغة القيم والاتجاهات والتراث والآمال.

سابعاً: المقاصد تتميز عن الأهداف:

١- تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة في العاجل والآجل، ودرء المفساد ودفع المضار المقصود الأساسي وراء أي عمل.

(١) انظر: النبأ العظيم (١٥٥).

(٢) انظر: مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١٥٥/١).

(٣) انظر: كتاب علم مقاصد السور (١١ / ١٥).

(٤) انظر: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية (٧٧).

(٥) انظر: رسالة ماجستير بعنوان أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة "دراسة تحليلية" (ص ٤٢).

- ٢- المقاصد تحدد الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراداً وأسرّاً وجماعات.
- ٣- المقاصد تظهر المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع.
- ٤- المقاصد تعزز الحكم والمبادئ والنتائج التي تسعى الأهداف إليها، فإن تحققت الأهداف أصبحت النتائج مقصودة لذاتها، فالأعمال شرعت للوصول إلى المقاصد.
- ٥- المقاصد العليا تمثل القيم التي من أجلها أُسْتُخْلِفَ الإنسان من أجلها على الأرض وهي (التوحيد، والتركية، والعمران).

ثامناً: طرق معرفة مقاصد السور والآيات:

الكشف عن مقصد السورة والوصول إليه مبني على الاجتهاد ودقة الاستنباط، وإدراكه، وتختلف فيه العقول، وذلك أنه مرتبة بعد إدراك المعنى العام، ويتطلب فهمه صفاء للذهن وصحة في الذوق ومعرفة في كلام العرب^(١).

قال ابن القيم^(٢): "وهذا من أدق الفهم وألطفه، ولا يدركه كل أحد، فإنه ﷺ لم يعلق الاستغفار بعمله بل علقه بما يحدثه هو ﷺ من نعمة فتحه على رسوله ﷺ ودخول الناس في دينه وهذا ليس بسبب الاستغفار"^(٣).

فالمقصود إذاً هو تفاوت الناس في فهم النصوص القرآنية.

تاسعاً: ما يحتاج إليه الباحث لكشف واستنباط مقاصد السورة:

- ١- الاستعانة بالله تعالى وإخلاص العمل لله وحده: إن تحقيق المقصد من الخلق وهو العبادة لا يتم بدون استعانة بالله، لذلك قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].
- يقول ابن تيمية: "إن النظر المجرد في الدليل دون توافر أسباب الهداية، من ذكر الله واللجوء إليه ودون انتفاء الموانع المعوقة، من وسوسة الشيطان، لا يحصل الفقه الصحيح"^(٤).

(١) انظر: علم المقاصد الشرعية (ص: ٦٩).

(٢) الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الاصل ثم الدمشقي ابن قيم الجوزية وتلميذ الشيخ تقي الدين ابن تيمية له التصانيف الانيقة والتأليف التي في علوم الشريعة والحقيقة مولده سنة إحدى وتسعين وستمائة سمع من القاضي سليمان بن حمزة وعيسى المطعم وطبقتهما ولازم ابن تيمية وأخذ عنه التفسير والاصول من المنطوق والمفهوم ومن مصنفاته زاد المعاد في هدي خير العباد صلى الله عليه وسلم في أربع مجلدات وكتاب سفر الهجرتين وباب السعادتين مجلد، حدث عنه الشيخ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب وغيره توفي ليلة الخميس ثالث عشر شهر رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ودفن بمقبرة الباب الصغير من دمشق عند والديه رحمهما الله وكانت جنازته مشهورة، الرد الوافر (ص: ٦٨).

(٣) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٣٥١-٣٥٣).

(٤) نقض المنطق (ص/٣٥).

- ٢- الفهم الصحيح للمقصد وحده وخاطبه: "أول ما ينبغي معرفته للوصول لمقاصد السور هو الفهم الصحيح للمقصد وخاطبه، فإن ذلك يهدي للطريق الصحيح إليه"^(١).
- ٣- الالتزام بضوابط التفسير: ومن ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، لأن القرآن يبين بعضه بعضاً، وأن يفسر القرآن بالسنة لأنَّ النبي ﷺ أعرف الخلق بالله تعالى وبمعاني كلامه، وأن ينظر لأقوال الصحابة -رضوان الله عليهم.
- ٤- معرفة مقدمات السورة من أحوال نزولها، وفضائلها وخصائصها: لا بد لمن أراد الوصول لمقصد السورة أن يبدأ بحثه في السورة ومقصدتها بمعرفة ما يتعلق بالسورة من الظروف والأحوال التي نزلت فيها السورة من كونها مكية أو مدنية، وسبب نزولها وفضائلها، وخصائصها فإن ذلك مفتاح رئيس للوصول لغرضها^(٢).
- قال ابن عاشور مؤكداً أهمية أسباب النزول بمعناها العام في معرفة المقصد ومنها "أي أسباب النزول ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات، فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام"^(٣).
- ٥- الرجوع إلى الكتب والآراء الواردة عند السلف في بيان ما أنزلت فيه السور وما يكون منطلقاً لتحديد مقاصدها.
- ٦- الاستعانة ببعض الكتب والتفاسير التي تعتنى بمقاصد السور كما سنذكرها لاحقاً بإذن الله.
- ٧- مراعاة السياق والقارئ: إن فهم جزء من الكلام دون فهم بقيته يعد نقصاً، فكيف بكلام الله ﷻ إذ لا بد من فهم الكلام ضمن السياق الذي جيء فيه.
- ٨- المعاشية الروحية الحية للسورة: قال سيد قطب: "إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح، روح المعرفة المنشئة للعمل"^(٤).

(١) انظر: علم المقاصد الشرعية (ص: ٨٤).

(٢) انظر: علم المقاصد الشرعية (ص: ٤٨).

(٣) التحرير والتوير (١ / ٤٧).

(٤) معالم في الطريق (ص ١٨).

المبحث الثاني

تعريف عام بسورة هود

ويشتمل على:

- أولاً: اسم السورة، ترتيبها، عدد آياتها.
- ثانياً: مكان وزمان نزول السورة.
- ثالثاً: جو نزول السورة.
- رابعاً: مناسبة سورة هود لما قبلها وما بعدها.
- خامساً: محور السورة وخطوطها الرئيسية.
- سادساً: موضوعات السورة.

المبحث الثاني: تعريف عام بسورة هود

سورة هود عليه السلام كسابقتها سورة يونس تتميز بطابع القرآن المكي، حيث تضمنت هذه السورة الحديث عن أصول الدين العامة وهي التوحيد، والرسالة، والبعث، والجزاء، وفيما يلي تعريف عام بالسورة من خلال ما يلي:

أولاً: اسم السورة، ترتيبها، عدد آياتها.

١ - تسميتها:

سميت سورة هود في المصاحف، وفي كتب التفسير، والسنة بهذا الاسم بتوقيف من النبي عليه السلام، ولا يعرف لها اسم غير ذلك^(١).

وقد وردت هذه التسمية عن النبي عليه السلام في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال أبو بكر رضي عليه السلام: يا رسول الله قد شئت؟ قال: (شَيْبَتِي هُودٌ وَالْوَأَقَعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَنْسَاءُلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ)^(٢).

ووجه تسميتها بهذا الاسم لتكرار اسم هود عليه السلام فيها خمس مرات وقصته مع قومه، ولأن ما حكي عنه فيها أطول مما حكي عنه في سورة غيرها، ولأن عادا وصفوا فيها بأنهم قوم هود عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠]^(٣).

قال الصابوني: "سميت سورة هود عليه السلام باسمه، تخليداً لجهوده الكريمة في الدعوة إلى الله، فقد أرسله عليه السلام إلى قوم "عاد" الجبارين، الذين اغتروا بقوة أجسامهم وقالوا من أشد منا قوة، فأهلكهم الله بالريح الصرصر العاتية التي سلطها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً^(٤)، قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَحْلِ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة، ٧-٨).

فقد ذكرت القصة بقصد العظة والعبرة للمتكبرين المتجبرين^(٥) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ (هود ٥٨-٦٠).

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز بلطائف الكتاب العزيز (ص ١١٢)، والتفسير المنير (١٢/٥).

(٢) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الواقعة، (٤٠٢/٥)، حديث رقم ٣٢٩٧، وحسنه، وصححه الألباني مختصر شمائل الترمذي، برقم ، (ص ٤٠٣٤).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٣١١/١١).

(٤) انظر: صفوة التفاسير (٥/٢).

(٥) انظر: صفوة التفاسير (٥/٢).

٢- ترتيبها:

سورة هود هي السورة الثانية والخمسين في ترتيب نزول السور المكية بعد سورة يونس وقبل سورة يوسف، وقد توافقن في المصحف كذلك، وهي السورة الحادية عشرة في ترتيب المصحف.

٣- عدد آياتها:

عدد آيات سورة هود عليه السلام مائة وعشرون آية في العد المكي والمدني الآخر والبصري وعطاء، ومائة واثنان وعشرون آية في عد المدني الأول والشامي، بينما عدد آيات سورة هود في العد الكوفي وأهل حمص فهو مائة وثلاث وعشرون آية^(١).

والباحث يرجح العد المكي والمدني، أن عدد آيات هذه السورة مائة وعشرون آية؛ ذلك لأن هذا العدد صدر عن اقرب الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم مكاناً وزماناً، كذلك هذا العدد يوافق مصاحف الرسم العثماني، والتي بين أيدينا، والله تعالى أعلم.

ثانياً: مكان وزمان نزول السورة.

اختلف العلماء في تحديد مكية سورة هود أو مدنيتهما إلى قولين:

القول الأول: إن سورة هود مكية كلها عند الجمهور.

القول الثاني: إن سورة هود مكية إلا أنها اشتملت على بعض الآيات المدنية وروى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- إلا آية واحدة وهي ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

وقال ابن عطية: هي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ [هود: ١٢]، ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ﴾ [هود: ١٧]، ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢]^(٢).

والرأي الراجح: أن سورة هود عليه السلام مكية، بدليل السياق التي وردت فيه هذه الآيات فقد وردت في السياق المكي، كما أن موضوعات السورة يغلب عليها خصائص القرآن المكي فهي تتحدث عن أصول الدين العامة وهي التوحيد، والرسالة، والبعث والجزاء، وتميزها بما فيها من القوارع والزواجر للمشركين المعاندين لما اشتملت عليه من قصص الأنبياء السابقين، والدعوة الشديدة إلى الاستقامة، مبدئةً بالنبوي صلى الله عليه وسلم^(٣).

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (١٣٥/٦)، جمال القراء وكمال الإقراء (٢٩٣/١)، التحرير والتنوير (٣١٢/١١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٠٧/١).

(٣) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء (٢٩٣/١).

ثالثاً: جو نزول السورة:

نزلت سورة هود عليه السلام في أصعب الفترات التي كان يعيشها المسلمون في مكة المكرمة، وخاصة على رسول الله ﷺ فقد نزلت بعد وفاة عمه أبي طالب الذي كان الحصن الذي احتتمت به الدعوة الإسلامية من هجمات المشركين، ووفاة زوجته خديجة - رضي الله عنها - فقد كانت تحن عليه ساعة قلقه، وتؤازره في أخرج أوقاته، وتعينه على إبلاغ رسالته، وتشاركه في مغارم الجهاد المر، وتواسيه بنفسها ومالها^(١)، فبعد وفاتها نال منه المشركون ما نالوا منه ﷺ وخاصة بعد حادثة الإسراء التي حدثت للنبي ﷺ وغرايتها لهم حيث أسرى به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى^(٢)، كذلك ما وقع منهم من استهزاء وسخرية منه ﷺ، وارتداد بعض من أسلموا، وتجرات قريش على الدعوة الإسلامية ومحاربتها لها من قبلهم، مما أدى إلى توقف الدعوة حتى أنه لا يكاد يدخل أحد في الإسلام من مكة وما جاورها فجاءت هذه السورة مدداً من عند الله ﷻ إلى نبيه ﷺ مدداً قوياً من الصبر والتسليّة، له ولما يلاقيه من قومه ﷺ، فعرضت قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم وبلاتهم، ابتداء فذكر قصة نوح وهود و صالح ولوط وشعيب وموسى - عليهم السلام - وغيرهم، فكانت هذه القصص بمثابة بلسماً لجراح البلاء تبشر بقرب الفرج وتؤكد على الثبات على الحق، وتسليّة لقلبه ﷺ وأن ما يعانیه سيد الخلق ﷺ في تلك الفترة هو سنة كل الرسل والأنبياء، وبما أنه سيدهم وخاتم الرسالات تعددت في أمته أصناف الجحود والنكران^(٣).

رابعاً: مناسبة سورة هود لما قبلها وما بعدها: وهنا لا بد لنا أن نعرف المناسبات لغة واصطلاحاً: أ- المناسبة لغة: تعني المشاكلة والمقاربة^(٤)، والمشاكلة بمعنى: المماثلة، نقول: هذا شكل هذا، يعني: مثله، وهي مأخوذة من الفعل (نَسَبَ): بمعنى اتصال الشيء بالشيء، ومنه (النسب): أي القرابة^(٥)، والمصدر (نسباً)، والجمع (مناسبات).

ب- المناسبات اصطلاحاً:

* عرفها الإمام السيوطي: ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلّة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه^(٦).

(١) انظر: الرحيق المختوم (٩٢/١).

(٢) انظر: السيرة النبوية، لا بن كثير (٩٤/٢).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٩٤/١٢).

(٤) انظر: القاموس المحيط (ص ١٧٦).

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤٢٣/٥).

(٦) انظر: الإتيقان في علوم القرآن (٣٧١/٣).

*وعرفها البقاعي بقوله: "علم تعرف منه علل الترتيب"^(١).

*وعرفها الدكتور مصطفى مسلم بقوله: "هي الرابط بين شيئين بأي وجه من الوجوه وفي كتاب الله ﷺ تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"^(٢).

والباحث يرى أن تعريف الدكتور مصطفى مسلم، هو أنسب التعريفات لهذا العلم لأنه يتكلم عن المناسبات بين السور فيما بينها، وكذلك يتكلم عن وجه الارتباط والاتصال في الآيات فيما بينها.

١ - مناسبة سورة هود لما قبلها (سورة يونس):

أ- ختمت سورة يونس بالحث على اتباع الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ ولزومه، والصبر على ما يتعرضون له من الأذى وجزاء صبرهم الجنة فقال تعالى في سورة يونس ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]، ثم قال تعالى في بداية سورة هود: ﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] حيث بدأت بوصف الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ، وأنه من عند الله، وأنه محكم آياته لا نقص فيه ولا خلل، فهو كامل لا خلل فيه لأنه صادر من عند الله الخبير بأحوال عباده وما يحتاجون إليه^(٣).

ب- وذكر في سورة يونس قصص لبعض الأنبياء - عليهم السلام - بسورة مجملة، منهم نوح ﷺ وقد ذكر في سورة يونس بشكل مختصر جداً قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عُمَةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ * فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ [يونس: ٧١ - ٧٣].

أما في سورة هود فقد تحدثت عن قصة نوح ﷺ بشيء من التفصيل حيث بسطت فيها ما لم تبسطه في غيرها من سور القرآن، حيث ذكرت قصة نوح ﷺ مع قومه، واستعجالهم للعذاب ويأس نوح منهم، كما جاء في السورة عن نهى نوح ﷺ عن الحزن بهلاك قومه واستجابته لأمر الله ﷻ بصنع السفينة ونجاته هو ومن معه وغرق ابنه ومن لم يؤمن به^(٤) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/١).

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي (ص ٥٨).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (٣٨٤/١٠).

(٤) انظر: التفسير المنير (٥٢، ٥٨/٥).

نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿هود: ٢٥ - ٤٩﴾ .

ت- افتتحت سورة هود ببيان الوحي وإحكام القرآن، ودعوته إلى عبادة الله ﷻ والتوبة إليه، والإيمان بالبعث والمعاد والثواب والعقاب والحساب وحاجة المشركين في ذلك وتحديدهم بالقرآن، وذكر قصص بعض الأنبياء كنوح وإبراهيم وهود وصالح ولوط وشعيب-عليهم السلام-، قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ * إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ١ - ٤].

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالِمٌ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤].

ث- وجه اتصال هذه السورة بسورة يونس ﷻ، اتفاقها معها في المعنى والموضوع، وكذلك مطلعها شديد الارتباط بطلع سابقتها حيث كلتاها بدأتا بنفس الأحرف المقطعة، كذلك بدىء بطلع كليهما بالحديث عن الكتاب، وآياته، قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، نظير قوله تعالى هناك: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١].

خ- اشتركت السورتان؛ بأنهما سميتا بأسماء أنبياء يونس وهود عليهما السلام.

٢- مناسبة سورة هود لما بعدها (سورة يوسف):

أ- هناك علاقة وطيدة بين سورتي هود ويوسف-عليهما السلام-، فكل منهما اشتملت على ذكر الفائدة العلمية من القصص والتأكيد على العبادة والتوكل على الله ﷻ، كذلك فإن مطلع سورة يوسف ﷻ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣] مناسب لقوله في نهاية سورة هود ﷻ ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

ب- لما وقع في سورة هود: ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، وقوله: ﴿رَحِمَتْ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣] ، وذكر في سورة يوسف حال يعقوب ﷻ مع أولاده، وحال ولده الذي هو من أهل البيت مع إخوته، فكان كالشرح لإجمال ذلك.

كذلك قال في سورة يوسف ﴿وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦] فكان ذلك كالمقترن بقوله في هود ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

ت- اشتملت كل من السورتين على قصص الأنبياء وعلى الفائدة العلمية من القصص والتأكيد على العبادة والتوكل على الله ﷻ (١) قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ * وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (هود ١٢٠-١٢٣).

أما في سورة يوسف فقد أكدت على عريية القرآن وعلى منزلة قصص الأنبياء-عليهم السلام- في القرآن وإثبات نزول الوحي على النبي ﷺ قال تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف ١-٣).

ث- كذلك في سورة يوسف ذكرت هنا حال يعقوب ﷻ مع أولاده وحال ولده يوسف ﷻ الذي هو من أهل بيته مع إخوته وما صارت إليه عاقبة أمرهم مما يدل على أقوى شاهد على الرحمة (٢) قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخُلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف ٧-١٠).

أما في سورة يوسف أجمل الشرح فيها قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (يوسف ٦) ، فكان ذلك كالمقترن بقوله في هود ﴿رَحِمَهُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود ٧٣).

(١) انظر: أسرار ترتيب القرآن (١/١٠٩)، التفسير المنير (١٢/١٨٩).

(٢) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١١/٢٠٢).

قال العلماء: وذكر الله ﷺ قصص الأنبياء-عليهم السلام- في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل^(١).

خامساً: محور السورة وخطوطها الرئيسية:

المحور الأساسي التي تدور حوله هذه السورة هو تقرير أصول الدين وهي إحكام القرآن وتفصيله، والدعوة إلى عبادة الله وتوحيده والإنابة إليه، والإيمان بالبعث والجزاء في عالم الآخرة^(٢). وواضح كذلك أنها من نوع القرآن المكي واتجاهه في مواجهة مشركي قريش بشهادة القرآن للنبي ﷺ بأنه إنما يوحى إليه من ربه وبشهادة الكتب السابقة، وبخاصة كتاب موسى ﷺ وبتصديق بعض أهل الكتاب به، وهذا ما كان في مكة من أفراد من أهل الكتاب، واتخاذ هذا قاعدة للتنديد بموقف المشركين، وتهديد الأحزاب منهم بالنار، مع تثبيت الرسول ﷺ على الحق الذي هو معه، في وجه توقف الدعوة، وعناد الأكثرية الغالبة في مكة وما حولها من القبائل^(٣).

سادساً: موضوعات السورة:

- ١- الكشف عن مضمون الكتاب الذي أنزل على النبي ﷺ،^(٤) قال تعالى ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ...﴾ (هود ٢-٤).
- ٢- إثبات أن القرآن من عند الله ﷻ^(٥)، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ...﴾ (هود ١٣-١٤).
- ٣- وصف حالة المشركين بإعراضهم عن عبادة الله ﷻ وطاعته ومعاداتهم للنبي ﷺ والمؤمنين^(٦)، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَفْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (هود ٥).
- ٤- بيان مظاهر كمال الله تعالى وعلمه وقدرته تقريراً لما تضمنه^(١) قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (هود ٦-٧).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١٨/٩).

(٢) انظر: التفسير المنير الزحيلي (١٢/١٢).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، (٤/١٨٣٩).

(٤) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها (١/٢٢١)، التفسير الوسيط (٢/١٢٠٢).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٣١٠)، التفسير الوسيط (٢/١٢٠٢).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٩/٦).

٥- استعجال طلب البشر للخير والنجاة، والعذاب الذي ينذر به الرسل-عليهم السلام- أقوامهم إن لم يؤمنوا بما جاؤوا به، قال تعالى: ﴿وَلَئِن أٰخٰرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُوٰةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوْفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِئُوْنَ﴾ (هود ٨).

٦- الموازنة بين فريق المؤمنين والكافرين في أحوال الشدة والرخاء بالابتلاء،^(١) قال تعالى: ﴿وَلَئِن أَدْفَنَّا الْإِنْسَانَ مِمَّا رَحْمَةً مِّنَّا نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّمَا لِيُؤَسَّسَ كَفُوْرًا * وَلَئِن أَدْفَنَّا نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَّاءٍ مَّسْتَهَّةٍ لَّيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُوْرًا﴾ (هود ٩-١٠).

٧- إظهار موقف المشركين في مكة من النبي ﷺ بالتكذيب والسخرية والإيذاء له وللقرآن الكريم^(٣)، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (هود ١٢).

٨- تحدى الله ﷻ للعرب بالقرآن الكريم، وبيان عجزهم أمامه فطلب منهم بأن يأتيوا بعشر سور مثل سور القرآن الكريم، فأثبت عجزهم وقيام الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاَدْعُوا مَنِ اسْتَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود ١٣-١٤).

٩- ذكر أسباب معارضة الكافرين للنبي ﷺ وتكذيبهم له وهو تعلقهم بالدنيا وزينتها، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (هود ١٥-١٦).

١٠- الرد على المشركين الذين كانوا يعتقدون ويزعمون أن أصنامهم شفعاء لهم عند الله ﷻ يوم القيامة، وهذا من محض افتراءهم على الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود ١٨-١٩).

١١- إيراد قصص الأنبياء السابقين-عليهم السلام- مع أقوامهم بنوع من التفصيل لإثبات عقيدة التوحيد والبعث والجزاء تسلية لقلب النبي ﷺ لما يلاقيه من أذى من قريش وصددهم عن دعوته، قال تعالى: ﴿ذٰلِكَ مِنْ أٰنْبَاءِ الْاَقْرٰى نَقْصُةٌ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيْدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَكٰنَ ظَلْمُوْا اَنْفُسَهُمْ فَمَا اَغْنٰتْ عَنْهُمْ اٰلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ اَمْرٌ رَبِّكَ وَمَا رَادُوْهُمْ غَيْرَ تَتٰبِيْبٍ...﴾ (هود ١٠٠-١١١).

(٤) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري (٢/٥٢٣).

(٥) انظر: التفسير الوسيط (٢/١٠٢٥).

(١) انظر: في ظلال القرآن (٤/٤٩٣).

- ١٢- الأمر للرسول ﷺ ومن آمن معه بالاستقامة على هذا الدين في الاعتقاد والأعمال والأخلاق، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود ١١٢).
- ١٣- الأمر بإقامة الصلاة والحفاظ عليها في أوقاتها ليلا ونهارا ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (هود ١١٤-١١٥).
- ١٤- محاربة أهل الفساد في الأرض من أجل الحفاظ على الأمة والأفراد من الهلاك قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود ١١٦-١١٧).
- ١٥- ختمت السورة ببيان الفائدة العلمية من قصص الأنبياء مع أقوامهم وهو الأمر بعبادة الله وحده والالتكال عليه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

الجانب التطبيقي للدراسة

الفصل الأول

إحكام القرآن الكريم وتحدي المشركين به

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (١ - ٢٤)

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: إحكام القرآن ودعوته إلى عبادة الله والتوبة إليه والإيمان بالبعث
- المبحث الثاني: كمال علم الله لأعمال الكفار
- المبحث الثالث: من أراد الدنيا ومن أراد الآخرة
- المبحث الرابع: الكافرون والمؤمنون وجزاء أعمال كل منهم

المبحث الأول

إحكام القرآن ودعوته إلى عبادة الله والتوبة إليه والإيمان بالبعث

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (١ - ٤)

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: إحكام القرآن.
- المطلب الثاني: الدعوة إلى تحقيق العبودية لله تعالى.
- المطلب الثالث: الحث على الاستغفار والتوبة.
- المطلب الرابع: مرجع الخلائق بعد الموت إلى الله تعالى.

المبحث الأول

إحكام القرآن ودعوته إلى عبادة الله والتوبة إليه والإيمان بالبعث

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (١ - ٤)

المطلب الأول: إحكام القرآن.

قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

يبين الحق في الآية الكريمة أن هذا الكتاب "القرآن" محكم الآيات لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد وعد الحق ﷺ بحفظه على مدى العصور والأزمان، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩، ١٠]، فهذه الآيات جاءت مفصلات وموضحات لكل ما يحتاجه الإنسان^(١).

أولاً: معاني المفردات:

*أُحْكِمَتْ: من حكم: الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم. وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها، يقال حكمت الدابة وأحكمتها. ويقال: حكمت السفينة وأحكمتها، إذا أخذت على يديه، وقوله تعالى: ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ نظمت نظاماً رصيناً محكماً لا يقع فيه نقض ولا خلل، كالبناء المحكم المرصف^(٢).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ فيه توجيه كأن الله ﷻ يرشدنا للأخذ من هذا الإحكام ما يمنع فسادنا؛ لأن القرآن الكريم جاء على هيئة تمنع الفساد فيه، وعقد منع الفساد يكون الإصلاح والصلاح^(٣).

٢- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ﴾ للتراخي في الرتبة كما هو شأنها في عطف الجمل لما في التفصيل من الاهتمام لدى النفوس؛ لأن العقول ترتاح إلى البيان والإيضاح^(٤).

(١) انظر: مفاتيح الغيب (١/٢٤١٦).

(٢) مقاييس اللغة (٢/٩١).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١٠/٦٢٩٢).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١١/٣١٥).

٣- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ فهو مفصل في اللفظ أو في المعنى، ويتناول الجزئيات حتى أدق التفاصيل، وهو يتناول معاني كثيرة، وكل معنى تتطلبه العقيدة، قمة في الشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله^(١).

٣- قوله تعالى: ﴿ أَحْكَمَتْ... وَفُصِّلَتْ ﴾ فيه طباق حسن، لأنَّ المعنى: أحكمها حكيم وبينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور^(٢).

٤- قوله تعالى: ﴿ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ بينهما طباق أيضاً^(٣).

٥- قوله تعالى: ﴿ عَذَابٌ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ إضافة العذاب إلى اليوم الكبير وهو يوم القيامة للتهويل من حال ذلك اليوم^(٤).

٦- ذكر ابن عاشور في شرح هذه الآية ما يلي^(٥):

"الحكيم مقابل ... أحكمت، والخبير مقابل ... فصلت، وهما وإن كانا متعلقين العلم والقدرة إذ القدرة لا تجري إلا على وفق العلم، إلا أنه روعي في المقابلة الفعل الذي هو أثر إحدى الصفتين أشد تبادراً فيه للناس من الآخر وهذا من بليغ المزوجة"

ثانياً: المناسبات:

فاصلة الآية: ﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ أنه قد حصل بين أولها وآخرها نكتة لطيفة كأنه يقول أحكمت آياته من لدن حكيم، وفصلت من لدن خبير عالم بكيفيات الأمور^(٦).

قال سيد قطب رحمه الله: في قوله تعالى ﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ "أي يحكم الكتاب عن حكمة، ويفصله عن خبرة، هكذا جاءت الآية من لدنه، على النحو الذي أنزل على الرسول ﷺ، لا تغيير فيها ولا تبديل"^(٧).

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن هناك علاقة وثيقة بين فاصلة الآية وموضوعها حيث إن الآية تتحدث عن القرآن الكريم المعجز للعرب المحكم لآياته وتفصيلها من قبله ﷺ، فناسب أن تكون فاصلة الآية مبينة لصفيتين عظيمتين من صفات الله تعالى :

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١٠ / ٦٢٩٣).

(٢) انظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٣٧٧).

(٣) انظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٣٧٧).

(٤) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١٥).

(٥) التحرير والتنوير (١١ / ٣١٥).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب (١ / ٢٤١٦).

(٧) في ظلال القرآن (٤ / ٥٠٧).

الأولى: ﴿ حكيم ﴾ فهو ﷺ حكيم في شرعه وحكمه وقضائه للناس أجمعين في الدنيا والآخرة.
الثانية: ﴿ خبير ﴾ فهو ﷺ خبير بأحوال عباده وشؤون خلقه، فناسب أن تختتم الآية الكريمة بهذه الفاصلة لما بينهما من علاقة واضحة وجلية^(١).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

يكشف الحق ﷺ عن وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم فهو يقول لهؤلاء المشركين الذين أعرضوا عن النبي ﷺ وعن القرآن بأنه من عند الله ﷻ، فهو من جنس كلامهم مكون من الحروف الهجائية التي ينطقون منها كلامهم كقوله ﴿الر﴾ إلا أنهم عجزوا أمام القرآن وعن تحديدهم له مع أنهم أهل الفصاحة والبيان، قوله ﴿أُحْكِمْتَ آيَاتَهُ ثُمَّ فَصَّلْتَ﴾ أي الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ أحكم الله ﷻ آياته إحكاماً بديعياً، مفصلة في معناها بالأحكام والحلال والحرام والمواعظ، فهو كامل صورة ومعنى، قوله ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي من عند الله الحكيم في أقواله وأحكامه، الخبير بعواقب الأمور^(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- القرآن الكريم محكم الآيات والسور كلها لا خلل فيها ولا باطل. منظمة بنظم محكم اللفظ والمعنى، لا تناقض فيها ولا اضطراب.
٢- آيات القرآن الكريم مفصلة تفصيلاً تاماً شاملاً جميع الدلائل الدالة على التوحيد والنبوة والبعث وغيرها، فهي كاملة الصورة والمعنى محققة للمصالح البشرية والآخروية.
٣- إحكام الآيات والسور، منظمة لا باطل فيها، وكذلك مفصلة تفصيلاً دقيقاً وبدون خلل، إجماع إحكام وتفصيل في كتاب واحد، إن دل على شيء فإنما يدل وجود الصانع الخالق الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، قال تعالى: ﴿...الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ...﴾ [البقرة: ٢١]^(٣).

سادساً: القول في (الر) الأحرف المقطعة:

اختلف المفسرون في محل هذه الأحرف الواقعة في أول فواتح السور، حيث عدة جميعها تسع وعشرون سورة ومعظمها في السور المكية، ومجموع ما وقع من حروف الهجاء، أوائل السور أربعة عشر حرفاً وهي نصف حروف الهجاء وأكثر السور التي وقعت فيها هذه الحروف: السور المكية عدا سورتي البقرة وآل عمران. ولكن {الر} تقرأ كآية، ولكنها هنا من مقدمة سورة «هود» جزء من آية، رغم أنك تقرأها مثلها في السور الأربع سور سالف الذكر، وقد وردت بنفس الصيغة في

(١) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧/ ٣١٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٠٣).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢/ ١٥).

خمس سور من القرآن الكريم هي سورة: يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، و سورة الحجر. وهذا شكل من أشكال التحدي الذي تحدى الله به العرب^(١).

وقد ذكر الشيخ محمد الطاهر "أن الأرجح من تلك الأقوال ثلاثة أراء هي^(٢):

أ- هذه الحروف لتبكت المعاندين وتسجيلا لعجزهم عن المعارضة.

ب- كونها أسماء للسور الواقعة هي فيها.

ت- كونها أقساما أقسم بها لتشريف قدر الكتابة، وتبنيه العرب الأميين فوائد الكتابة لإخراجهم من حالة الأمية".

ويرى الباحث: أنه لا يعلم مرادها إلا الله ﷻ وذلك من عدة أمور منها:

أ- لم يثبت عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه أنهم أفصحوا عن معناها، فلم يرد أي شيء من هذا.

ب- اجتهاد العلماء في تفسير هذه الأحرف فكل له تفسيره الذي يختلف عن التفسير الآخر وبدون دليل شرعي.

ت- وصل العرب أعلى مستوى من الفصاحة والبلاغة فجاء القرآن بلغتهم وتحداهم بما برعوا به، ومن بين ما تحداهم هذه الأحرف فعجزوا عن فهمها وتفسيرها.

القول الراجح: أن هذه الأحرف تشير إلى حروف اللغة العربية التي يتكون منها القرآن الكريم. وهذا دليل الإعجاز، ومما يدل على الترجيح أيضاً، أن أغلب ما يذكر بعد هذه الحروف كلمة الكتاب.

سابعاً: القول في إحكام القرآن وتشابهه:

تنوع القرآن الكريم باعتبار الإحكام والتشابه إلى ثلاثة أنواع^(٣):

النوع الأول: الإحكام العام الذي وصف به القرآن كله، مثل قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١]، وقوله ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١].

معنى هذا الإحكام: الإتقان والجودة في ألفاظه ومعانيه فهو في غاية الفصاحة والبلاغة، أخباره كلها صادقة نافعة، ليس فيها كذب، ولا تناقض، ولا لغو لا خلل فيه، وأحكامه كلها عدل، وحكمه ليس فيها جور ولا تعارض ولا حكم سفيه.

النوع الثاني: التشابه العام الذي وصف به القرآن كله، مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ [الزمر: ٢٣]، ومعنى هذا التشابه، أن القرآن كله يشبه بعضه بعض في

(١) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ١٨٣).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٢٠٧).

(٣) انظر: أصول في التفسير (ص: ٤٠).

الكمال والجودة والغايات الحميدة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

النوع الثالث: الإحكام الخاص ببعضه، والتشابه الخاص ببعضه، مثل قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران: ٧].
مما سبق يتضح للباحث أنه لا يوجد تعارض بين هذه الآيات؛ لأن كلاً منها قد وصِفَ فيها القرآن بالأوصاف التي تخصه على وجهه من الوجوه اللغوية السابقة.

المطلب الثاني: الدعوة إلى تحقيق العبودية لله تعالى.

قال تعالى: ﴿ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ (هود: ٢).

أولاً: معاني المفردات:

العبادة لغةً: من الخضوع والانقياد والتذلل، يُقال بعير مُعبَّد أو طريق مُعبَّد: أي مُذلل سلس سهل الانقياد^(١).

العبادة شرعاً: غاية الحب مع غاية الذل، وهي كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى: (العبادة اسم جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة)^(٢).
ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿ أَلَا ﴾، أصلها أن و لا تفسيرية لما في معنى أحكمت آياته ثم فصلت^(٣)
٢- قوله تعالى: ﴿ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾، "وهذا يتوافق ويتسق مع الإنذار والبشارة؛ لأن عبادة غير الله ﷻ تقتضي نذيراً، وعبادة الله ﷻ في الإسلام تقتضي بشيراً"^(٤).

٣- سبب تقديم النفي على الإثبات: إن الله ﷻ يواجه قوماً لهم عبادة متوجهة إلى غير من يستحق العبادة؛ فيريد سبحانه أولاً أن يُنهي هذه المسألة، ثم يثبت العبادة له، وذلك لان النفي والإثبات دليل

(١) انظر: لسان العرب (٣/ ٢٧١).

(٢) انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٥٧٩).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١١/ ٣١٥).

(٤) تفسير الشعراوي (١٠/ ٦٣٠٧).

على قصر العبادة على الله وحده لا يعبدون غيره من أوثان أو أشخاص أو أي كائن من مخلوقاته ﷺ لأن ذلك هو أصل الدين (١).

وقول الحق ﷺ ﴿ **أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ** ﴾ [هود: ٢]، معناه النفي أولاً للباطل، وإذا نفي الباطل لا بد أن يأتي إثبات الحق، حتى يكون كل شيء قائماً على أساس سليم ولذلك يقال: "درء المفسدة مقدّم دائماً على جلب المنفعة" فالبدائية ألا تعبد الأصنام، ثم وجّه العبادة إلى الله ﷻ (٢).
٤- لماذا قدم النذير على البشير:

أ- النذير: هو من يُخبر بشرّ زمنه لم يقع بعد، وفيما نهى عنه من معاصي فيها فساد في الأرض وعذاب في الآخرة، والبشير هو من يبشّر بخير سيأتي إن سلك الإنسان الطريق إلى ذلك الخير إذا (نذير) من عصى وأشرك أنذره بالسعير، (وبشير) لمن آمن بالله ﷻ وحده وكلل إيمانه بطاعة الله، وهذا المنهج التزم به جميع الأنبياء والمرسلين-عليهم السلام- من لدن آدم ﷺ إلى خاتم الأنبياء والمرسلين- صلوات ربي وسلامه عليهم- أجمعين، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ، قال: لَمَّا أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَحَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةَ، أَنْقِدِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَابُلَهَا بَبَلًاهَا» (٣).

ب- أتى ذكر النذير البشير بعد عبادة الله ﷻ وحده، إيماء بأن القرآن الكريم قد أحكمت آياته وفصلت؛ ليكون آية النبوة ومعجزة الرسالة المحمدية الخالدة إلى يوم الدين.

فالقرآن الكريم هو البرهان لعبادة الله وحده، وهو معجزة النبي ﷺ تلك المعجزة الكبرى التي لا تدانيها في بقائها وثمراتها معجزة أخرى من معجزات النبيين-عليهم السلام- قبله ﷻ بعد أن نهى سبحانه عن عبادة غير الله ﷻ وبين أن النبي ﷻ نذير وبشير.

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآية لما سبق: بدأ الله ﷻ هذه السورة بصفات هذا الكتاب أن الله ﷻ قد أحكم آياته من الدَّخَلِ والخَلَلِ والباطل، ثم فصلها بالأمر والنهي. كانت العلاقة مباشرة بهذه الآية، كأنه قال،

(١) انظر: التحرير والتنوير (١١ / ٣١٥).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١٠ / ٦٣٠٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾، رقم ٣٤٨ (١ / ١٩٢).

أوحى إليك في هذا الكتاب أن لا تعبدوا إلا الله، فهذه الجملة تفسيرية لما أحكم من الآيات لأن النهي عن عبادة غير الله ﷻ وإيجاب عبادة الله ﷻ هو أصل الدين، وإليه مرجع جميع الصفات التي ثبتت لله ﷻ بالدليل، وهو الذي يتفرع عنه جميع التفاصيل، ولذلك تكرر الأمر بالتوحيد والاستدلال عليه في دعوة القرآن صريحة تتجه نحو تحقيق العبودية للخالق المنعم المتفضل ﷻ^(١).

٢- فاصلة الآية: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ ختمت الآية بالنذير والبشير للتأكيد على واجب الرسول ﷺ ما هو إلا التبشير للتائبين، والإنذار للمعرضين، أما الهداية والضلال فهي بيد الله ﷻ فهو لم يترك أمة من الأمم إلا بعث فيها رسولاً يبلغها أمر ربها ويرغبها في ثوابه ويحذرهما من عقابه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

رابعاً: التفسير الإجمالي:

هذا تفسير أو بيان لأول ما أحكمت وفصلت به وله الآيات: أي بألا تعبدوا إلا الله، وهو أن تجعلوا عبادتكم له وحده، لا تشركوا به شيئاً، وهذا ما تراه قريباً في قصص الرسل المفصلة في هذه السورة، ويؤيد الجمع بين طرفي التوحيد السلبي والإيجابي قوله ﷻ: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ وهو تبليغ لدعوة الرسالة مبين لوظيفة الرسول ﷻ، وهي إنذار من أصر على شركه وما يتبعه من الكفر والمعاصي بالعذاب الأليم، وتبشير من آمن واتقى بالسعادة والنعيم المقيم، وقدم الإنذار؛ لأن الخطاب وجه أولاً إلى المشركين^(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- دعوة القرآن صريحة تتجه نحو تحقيق العبودية للخالق المنعم المتفضل ﷻ، وتخصيصه وإفراده بالعبادة،

دون أي أحد سواه، فالآية مشتملة على الأمر بعبادة الله ﷻ، ومنع عبادة غيره^(٣).

٢- وظيفة الرسول ﷻ هي الإنذار والتبشير بالرضوان والجنة لمن أطاعه^(٤).

(١) انظر: التحرير والتنوير (١١/ ٣١٦).

(٢) انظر: تفسير المنار (٧/ ١٢).

(٣) انظر: التفسير المنير (١/ ٥٣).

(٤) انظر: التفسير المنير (١/ ٥٣).

٣- كثير من الناس يقصرون معنى العبادة على السجود والركوع والصلاة فرموا عبدوا غير الله بأنواع أخرى من العبادات وهم لا يشعرون فيقعون بالشرك الذي لا يغفر الله لمن مات عليه قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٤- إن الله ﷻ غني عن العالمين لا ينقص في ملكه شيئاً عصيان العصاة وطغيان الطغاة، ولا يزيد في ملكه شيئاً طاعة الطائعين وعبادة العابدين، ولكن البشر هم أنفسهم لا يستغنون ولا يستطيعون، ولما كان الله ﷻ يريد لعباده العزة والكرامة والاستعلاء فقد أرسل رسوله ليردوا الناس إلى عبادة الله وحده، وليخرجوهم من عبادة العبيد، لخير أنفسهم، والله غني عن العالمين قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ غُلُوبًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] (١).

المطلب الثالث: الحث على الاستغفار والتوبة.

يقول الله تعالى ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣] أولاً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿... عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ إضافة العذاب إلى اليوم الكبير للتهويل والتفطير^(٢). كذلك وصف العذاب مرة بأنه كبير، ومرة بأنه عظيم، ويوصف مرة أخرى بأنه مهين؛ لأنه عذاب لا ينتهي ويتنوع حسب ما يناسب المعذب، فضلاً عن أن العذاب الذي يوجد في هذه الدنيا عذاب يجري في ظل المظنة بأنه سينقضي، أما عذاب اليوم الآخر فهو لا ينقضي بالنسبة للمشركين أبداً^(٣).

٢- العبرة في تقديم الاستغفار على التوبة: إن تقديم الاستغفار على التوبة؛ لأن الاستغفار كان عن الشرك وما اتصل به من جحود وعناد، والتوبة الرجوع إلى الله وطاعته فيما أمر ونهى.

٣- التعبير بكلمة (ثُمَّ) الدالة على الترتيب الإخباري لا الوجودي إذ التوبة سابقة على الاستغفار. فهي دالة على البعد بين المقامين، مقام الاستغفار عن الشرك ومقام التوبة، فالتوبة ذاتها عبادة، ولا

(١) انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٦٦١).

(٢) انظر: صفوة التفاسير (٢/ ٩).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١٠/ ٦٣١٤).

تراخي في الزمن بل الزمن واحد ولكن البعد في الرتبة. وفي قوله تعالى: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) معناه قرب الله ﷻ من العبد، لأنه ربه الذي برأه ورباه وقام على تدبير حياته، وحياة ما حوله^(١).

٤- وكلمة (وَأَنْ) في قوله تعالى: (وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ)، يمكن أن تكون تفسيرية، أو مصدرية. والاستغفار طلب المغفرة، (ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ) أي عودوا بالتوبة إليه سبحانه؛ لأن العبد بالشرك يبعد عن الله ﷻ بعد أن خلقه حنيفاً، وبالتوبة عاد إلى ما ابتدأ، وهو القرب من الله^(٢).

٥- وفي قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ معناه جزاء فضله ولم تذكر كلمة الجزاء، وإنما قدرت في مطوي الكلام، للإشارة إلى أن الجزاء مساوٍ للفضل تماماً حتى كأنه هو، فالله تعالى عادل حكيم^(٣).

ثانياً: المناسبات:

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية: لما كانت الآية تتحدث أن الاستغفار والتوبة من الذنوب تؤدي إلى نعمة الله ﷻ عليهم، بالمتاع الحسن والفضل العظيم، كان مناسباً أن تختتم الآية بالفاصلة القرآنية ﴿... وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾^(٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

اسألوا ربكم متضرعين إليه أن يغفر لكم ما كان منكم من أعمال الشرك والكفر والإجرام، ثم ارجعوا إليه بالتوبة، وبإخلاص العبادة له وحده دون سواه، فإن فعلتم ذلك، واستغفرتكم ربكم، وتبتم إليه، فإنه يمتعكم في الدنيا متاعاً حسناً، ويرزقكم من فضله، وينسأ لكم في آجالكم إلى الوقت الذي قضى عليكم فيه بالموت، ويجعلكم خير الأمم نعمة وقوة وعزة، ويعطي كل ذي فضل، من علم وعمل، جزاء فضله. أما إن توليتم وأعرضتم عما دعوتكم إليه فإنني أخاف عليكم عذاب يوم كبير الهول، شديد البأس^(٥).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- واجب الإنسان الاستغفار، أي طلب المغفرة من الشرك والذنوب، والتوبة والإنابة إلى الله بالطاعة والعبادة، قال بعض الصالحين: الاستغفار بلا إقلاع عن الذنب توبة الكذابين^(٦).

(١) انظر: التفسير الواضح (٢/ ٩٩)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (١/ ٢٥٧).

(٢) انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٦٦٢).

(٣) انظر: روح البيان (٤-٩٣).

(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٤٨).

(٥) انظر: أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٤٧٧).

(٦) انظر: التفسير المنير (١٢/ ١٦).

٢- إن ثمرة الاستغفار والتوبة وهو الفضل الإلهي على الإنسان المؤمن الطائع أمر عظيم واسع شامل الدنيا والآخرة، ففي الدنيا تمتع إلى نهاية العمر المقدر بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش، وعدم الاستئصال بالعذاب كما فعل بمن أهلك من الأمم السابقة، فالمتاع الحسن: وقاية من كل مكروه وأمر مخوف، واستمتاع بطيبات الحياة. وفي الآخرة إيتاء كل ذي عمل من الأعمال الصالحة جزاء عمله. ودلت الآية على أن لكل إنسان أجلاً واحداً فقط^(١).

٣- مرجع أو معاد الخلائق جميعاً بعد الموت إلى الله تعالى القادر على كل شيء من ثواب وعقاب. وهذا ترهيب بعد الترغيب السابق.

٤- فضل التوحيد وشرف الاستغفار: قوله تعالى: ﴿يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي إن تتوبوا بعد أن تستغفروا يكن الجزاء أن يمتعكم متاعاً حسناً، والمتاع هو: ما تستمتع به وتستقبله بسرور وانبساط^(٢).

الآية تدل على فضل التوحيد وشرف الاستغفار ألا يرى أن الموحد المستغفر كيف ينال العيش الطيب في الدنيا، والدرجات العالية في العقبى فهما مفتاح سعادة الدارين. قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَمُنُّ الْجَنَّةِ)^(٣).

وقد ذكر الإمام الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ أن هذا خطاب للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]، فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا، ورزقكم من زينتها، وأنساً لكم في آجالكم إلى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت^(٤).

٣- وأما الإيتاء في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ هذا الإيتاء في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإنه يتكون مجتمع فاضل كريم حيث يكون كل ذي فضل في مكانته، فيعطى حقه غير منقوص، ويتمتع الجميع بمتاع حسن وتكون الحقوق قائمة أدبية ومادية، وأما في الآخرة فيؤتي ذو الفضل فضله بالنعيم المقيم والرضوان من رب العالمين، وهو الجزاء الأكبر^(٥).

أما صاحب الظلال فيقول: " ذو الفضل يلقي جزاءه في اللحظة التي يبذل فيها الفضل، يجده رضى نفسياً وارتياحاً شعورياً، واتصالاً بالله ﷻ وهو يبذل الفضل عملاً أو مالاً متجهاً به إلى

(١) نفس المرجع السابق (١٢ / ١٦).

(٢) انظر: زهرة التفاسير (٧ / ٣٦٦٢).

(٣) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ٤١٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥ / ٢٢٩).

(٥) انظر: زهرة التفاسير (٧ / ٣٦٦٣).

الله^(١). أما جزاء الله له بعد ذلك فهو فضل من الله وسماحة فوق الجزاء. وإعطاء الخير سمي فضلا لان فاعل الخير يفعل ذلك وهو فاضل عن حاجته، ثم ينوى ذلك فيصير الفضل بمعنى إعطاء الخير^(٢).

المطلب الرابع: مرجع الخلائق بعد الموت إلى الله تعالى.

يقول الله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٤].

أولاً: وجوه البلاغة:

- ١- قوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ قدم الجار والمجرور للدلالة على القصر، أي إلى الله وحده مرجعكم لا إلى أحد سواه، ولا شريك له في الحكم على أعمالكم وأقوالكم وما كسبتم واكتسبتم، ولذكر لفظ الجلالة تربية للمهابة في قلوبهم، وفي ذلك إنذار شديد للمشركين الذين أشركوا غيره باطلا^(٣).
- ٢- قوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ تهديدٌ وبشارة، فالتهديد يدلُّ على أنَّ مرجعنا إليه، وهو قادرٌ على جميع المقدورات لا دافع لقضائه، ولا مانع لمشيئته، والرُّجوع إلى الحاكم الموصوف بهذه الصفة مع العيوب الكثيرة والذنوب العظيمة مشكل، وأمَّا البشارة، فإنَّ ذلك يدلُّ على قدرة عالية وجلالة عظيمة لهذا الحاكم، وعلى ضعف تام، وعجز عظيم لهذا العبد^(٤).

ثانياً: المناسبات:

فاصلة الآية: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لتقوية المعنى، لأن التلويح بالقدرة على كل شيء، مناسب للبعث الذي كان المشركون يستبعدونه وينكرونه، وكذلك تعليل لما قبلها ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ لذلك فصلت عنها؛ لأنها أنسب في التعبير بالمصير الدنيوي أنه المسلم عندهم، وأمَّا المصير الآخروي فلو أقروا به لما كان هنالك مقتضى لزيادة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥).

(١) في ظلال القرآن (٤/ ١٨٥٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١١/ ٣١٨).

(٣) انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٦٦٣).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٤٣٤).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١١/ ٣١٩).

ويتبين للباحث من خلال أقوال المفسرين السابقة؛ أن وجه الارتباط بين فاصلة الآية وموضوعها، هو أن الآية تتحدث بأن مرجع الخلائق جميعها بعد الموت إلى الله ﷻ، فناسب أن تكون فاصلة الآية مؤكدة على أنه ﷻ قادر على كل شيء من ثواب وعقاب ولا يمنعه منه مانع ولا دافع، فهو قادر على الإعادة كما قدر على البدء، فهم يقرون بقدرته على أشياء هي أعظم من الإعادة، قال تعالى: ﴿ وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

وإن كان المرجع إلى الله ﷻ في الدنيا والآخرة وفي كل لحظة وفي كل حالة، ولكن جرى التعبير القرآني على أن المرجع هو الرجعة بعد الحياة الدنيا، كما أضاف الله ﷻ إليه توعداً آخر، وهو تفرّد الله ﷻ بسلطان الحساب في الآخرة، فجميع الناس مرجعهم ومآلهم إلى الله ﷻ، أي إلى عقابه وجزائه، وهو سبحانه القادر الذي لا يضره شيء، ولا يجير عليه مجير، ولا وقاية من قضائه وحكمه، فالله قادر تمام القدرة على ما يشاء من الإحسان إلى أوليائه وأحبائه وعباده، والانتقام من أعدائه^(١).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- هذا ترهيب بعد الترغيب السابق، ذلك أن مرجع أو معاد الخلائق جميعاً بعد الموت إلى الله ﷻ القادر على كل شيء من ثواب وعقاب^(٢).
- ٢- إن في الرجوع إلى الله ﷻ الراحة التامة لمن عمل فإخلص، في عمله وهذا ما يصبو إليه كل مؤمن ومؤمنة قال تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٧].
- ٣- إلى الله مرجعكم في الإيجاد والإمداد، والبداية والنهاية، وبداية النهاية التي لا انتهاء معها وهي الآخرة، فيثيب المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته.
- ٤- يؤتي ﷻ لكل ذي عمل صالح في الدنيا أجره، وثوابه في الآخرة.
- ٥- من كثرت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار.
- ٦- إن بقدرة الله ﷻ على إرجاع الخلق يبعث المؤمن على دوام مراقبة الله ﷻ في السر والعلن منتظراً الجزاء الأوفى في ذلك اليوم كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]^(٣).

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير (٦/ ١٢١).

(٢) انظر: التفسير المنير (١٢/ ١٦).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١٠/ ٦٣١٤).

المبحث الثاني

كمال علم الله لأعمال الكفار والمنافقين

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٥ - ١١)

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: كمال علم الله ﷻ وعظمة نعمته.
- المطلب الثاني: عظمة عرش الرحمن ﷻ.
- المطلب الثالث: موقف الإنسان من النعمة الإلهية أو النعمة.

المبحث الثاني

كمال علم الله لأعمال الكفار والمنافقين

أخبر ﷺ عن صفات الإنسان الذميمة إلا من رحم الله من عباده المؤمنين: أنه إذا أعطاه الله ﷻ نعمة من نعمة، رحمة منه، ثم سلبه تلك النعمة، وأبدله بها نقمة، أضحى شديد اليأس من رحمة ربه، كثير الكفر والجحود للماضي ولما عليه من نعم أخرى، فهو قانط بالنسبة للمستقبل، جاحد لماضي الحال كأنه لم ير خيراً، وذلك لعدم التزامه بفضيلة الصبر والشكر، وإن أعطاه الله ﷻ نعماء من بعد ضراء، وقوة من بعد ضعف، ويسر من بعد عسر، قال: ذهب ما كان يسوؤني من المصائب، لن ينالني بعد اليوم ضيم ولا سوء، وأصبح شديد الفرح والبطر بتلك النعمة أو بما في يده، متفاخراً متعاضماً على غيره، محتقراً من دونه.

المطلب الأول: كمال علم الله ﷻ وعظمة نعمته.

يقول تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونِ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشَوْنَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٥-٦].

أولاً: أسباب النزول:

وردت عدة أسباب للنزول في هذه الآية بروايات متعددة، وسيكتفي الباحث بذكر الصحيحة منها كما يلي:

روى البخاري بسنده عن محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس - رضي الله عنهما - يقرأ آلاً ﴿إِنَّهُمْ يَنْتُونِ صُدُورَهُمْ﴾ قال: سألته عنها فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفيضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفيضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم^(١).

فالقصد من ذلك أن الحق ﷻ مطلع على قلوبهم، ويعلم خفايا صدورهم، قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [التغابن: ٤] فتليبسهم لا يغني عنهم من الله ﷻ شيئاً،

(١) صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، رقم ٨٣٤١، (٣٤٩/٨).

وكان الله ﷻ يطلع رسوله ﷺ على ما أخفوه إماماً بتعريف الوحي، أو بإشهاد لقوة نوره^(١).
ثانياً: وجوه البلاغة:

١- حَوْلَ أسلوب الكلام عن مخاطبة النبي ﷺ فيما سبق من السياق إلى إعلامه بحال من أحوال الذين أمر بالتبليغ إليهم في جهلهم بإحاطة علم الله ﷻ بكل حال من الكائنات من الذوات والأعمال ظاهراً وخفياً^(٢).

٢- في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يكون في الكلام كناية عن الإخفاء لما يعتقدونه من الكف كما كان دأب المنافقين. وهي تمهيداً لقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، جمعاً بين إخبارهم بإحاطة علم الله ﷻ بالأشياء وبين إبطال توهماتهم وجهلهم بصفات الله ﷻ^(٣).

٣- افتتاح الكلام بحرف التثنية ﴿أَلَا﴾ للاهتمام بمضمونه لغرابته أمرهم المحكي، ذلك كله من أجل لإظهار العناية والإحاطة بعلم الله ﷻ.

٤- كل ضمائر الجماعة الغائب المذكورة في الآي عائدة إلى المشركين الذين أمر النبي ﷺ بالإبلاغ إليهم من مثل: ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، أما ضمائر الغيبة للمفرد عائدة إلى اسم الجلالة في مثل قوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾^(٤).

٥- في قوله تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ نِيَابَهُمْ﴾ هذه الجملة هي إتمام لجملة ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾؛ لأنها متصلة بها، فيكون حرف ﴿أَلَا﴾ الثاني تأكيداً لنظيره الذي في الجملة قبله لزيادة تحقيق الخبر^(٥).

٦- قوله تعالى: ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بينهما طباق، وزيادة وما يعلنون تصريح بما فهم من الكلام السابق لدفع توهم علمه بالخفيات دون الظاهر^(٦).

٧- في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ذات الصدور صفة لمحذوف يعلم من السياق من قوله عليم أي الأشياء التي هي صاحبة الصدور ومراد بها النفوس؛

(١) انظر: لطائف الإشارات = تفسير القشيري (٢/ ١٢٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١١/ ٣٢٠).

(٣) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٦/ ١٤٠)، التحرير والتنوير (١١/ ٣٢٠).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١١/ ٣٢٠).

(٥) انظر: المصدر السابق (١١/ ٣٢٠).

(٦) انظر: تفسير الشعراوي (١٠/ ٦٣١٩).

لأن العرب يعبرون عن الحواس الباطنية بالصدر^(١).

٨- في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ ﴾ اختيار مثال المبالغة لاستقصاء التعبير عن إحاطة العلم بكل ما تسعه اللغة الموضوعية لمتعارف الناس فتقصر عن ألفاظ تعبر عن الحقائق العالية لتحصيل تقريب المعنى المقصود، وقد أكدت بعدة مؤكدات، أفادت الجزم والإلزام^(٢).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآيتين لما سبق: وجه اتصال هذا الكلام بما قبله إن الله ﷻ لما كان لا يغفل عن كل مخلوق باعتبار ما قسمه له من الرزق، فكيف يغفل عن أحواله وأقواله وأفعاله، فهو يعلم محل استقرارها في الأرض أو محل قرارها في الأصلاب، وموضعها في الأرحام وما يجري مجراها كالبيضة ونحوها، استكمل ذلك العلم بعلمه بما هو مكنون في صدورهم، والتي لا يعلم بما تكن إلا الله ﷻ، ليبين للكفار مدى علم الله ﷻ الواسع، قال تعالى: ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣]^(٣).

٢- فاصلة الآية: ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ بدأت الآية الكريمة بوصف حال الكفار، حيث كانوا يحاولون أن يخفوا في صدورهم-والتي هي محل الفهم والتدبر- ما كانوا يسمعون من القرآن الكريم، ناسب أن المرجوع إليه كان موصوفاً بتمام القدرة على كل شيء، وهو أيضاً موصوف بإحاطة علمه بكل شيء، للتلازم بين تمام القدرة وتمام العلم، فما أخفيتم في هذه الصدور قد أحاط الله ﷻ بما في هذه الصدور^(٤).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

إن المشركين حين يسمعون الدعوة إلى الله ﷻ وتوحيده، يعرضون عن النبي ﷺ بصدورهم، كيلا يراهم هو ولا غيره، إمعاناً في العناد والكفر. ألا حين يتغطون بثيابهم ليستخفوا أو يتواروا من محمد أو من الله ﷻ، يظنون أن الله ﷻ لا يراهم، مع أن الله ﷻ يعلم ما يسرونه في قلوبهم، وما يعلنونه من أقوال وأفعال، إنه سبحانه علام بالأسرار ذات الصدور، وبخواطر القلوب، ويرصد الله

(١) انظر: التحرير والتنوير (١١ / ٣٢٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٩ / ٤).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ١٨٥).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١١ / ٣٢٣).

عليهم كل أمورهم، كما جاء في آية أخرى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨] (١).

ومن مظاهر علم الله ﷻ، وفضله أنه سبحانه تكفل برزق كل ما يدب على الأرض أو في البحر أو في الجو، ويعلم مستقر كل دابة ومستودعها، أي يعلم منتهى سيرها في الأرض حيث تأوي إليه، وهو مستقرها، وموضع إيوائها ومكان موتها ودفنها، وهو مستودعها، وكل ما يتعلق بمخلوقات الأرض: ثابت مكتوب في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع مقادير المخلوقات، وتوضّح فيه كل شؤونها، وهذا دليل واضح على تكفل الله بأرزاق المخلوقات كلها، غير أن ذلك مرتبط بقانون السببية أو مبدأ ارتباط الأسباب بالمسببات والغايات، أي إن تحصيل الرزق منوط بالسعي والعمل، موجه بالإلهام الإلهي، مشمول بهداية الله إلى الطلب والتحصيل، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠] (٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- تصميم الكفار في إعراضهم عن سماع القرآن.
- ٢- دعوة النبي ﷺ إلى الإيمان برسالته، وأنهم بهذا الإعراض أغبياء جاهلون.
- ٣- لا فائدة في استخفائهم وتواريهم عن الله ﷻ أو عن محمد ﷺ لأن الله مطلع على كل شيء، يستوي علمه بالسر مع علمه بالجهر، ولا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم (٣).
- ٤- تكفل الله بأرزاق المخلوقات، وضمنها لهم تفضلاً من الله تعالى لهم، ورحمة بهم. وهذا دليل على اتصافه تعالى بالعدل والرحمة، ولكن الرزق مرتبط بالسعي والكسب والعمل، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

٥- من مظاهر العلم الإلهي: علم الله ﷻ محيط شامل بكل مخلوقات الأرض ودوابها البرية والبحرية والجوية، بدءاً من وجود مادتها في الأصلاب والأرحام، إلى ظهورها في ساحة الحياة الحركية، إلى تنقلاتها وتحركاتها ومسيرها حيث تأوي إليه، وإلى الموضع الذي تموت فيه فتدفن، وأنه سبحانه تكفل برزق كل ما يدب على الأرض (٤).

٦- إيجاب الرزق على الله ﷻ: أوجب الله ﷻ على نفسه مختاراً أن يرزق هذا الحشد الهائل الذي يدب على هذه الأرض، وذلك بإبداع هذه الأرض القدرة على تلبية حاجات هذه المخلوقات جميعاً،

(١) انظر: التفسير الوسيط (٢/ ١٠٢٤).

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٤٣٤)، تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٧٧).

(٣) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٢١).

(٤) انظر: تفسير الشعراوي (١٠/ ٦٣١٦).

وأودع هذه المخلوقات القدرة على الحصول على رزقها من هذا المودع في الأرض في صورة من صوره، خامة ساذجة، أو منتجاً بالزرع، أو مصنوعاً، أو مركباً، إلى آخر الصور المتجددة لإنتاج الرزق وإعداده، حتى إن بعضها ليتناول رزقه دماً حياً مهضوماً ممثلاً كالبعوضة والبرغوث وهذه هي الصورة اللاتقة بحكمة الله ورحمته في خلق الكون، على الصورة التي خلقه بها، وخلق هذه المخلوقات بالاستعدادات والمقدرات التي أوتيتها، وهو يسعى لتحصيل الرزق، الذي لا يخلقه هو خلقاً، وإنما ينشئه مما هو مذخور في هذا الكون من قوى وطاقات أودعها الله بمساعدة النواميس الكونية الإلهية التي تجعل هذا الكون يعطي مدخراته وأقواته لكافة الأحياء^(١).

المطلب الثاني: عظمة عرش الرحمن ﷻ.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [هود: ٧].

في الآية الكريمة إبراز لقدرة الله ﷻ في خلق السموات والأرض مع عظمها وثقلها واتساعها في ستة أيام، ووصف للعرش، وأبلغنا بذلك للاختبار وإذا ما أبلغتهم بالبعث والحساب اتهمك الكفار بالسحر وهم أنفسهم يعلمون انه لو كان مثل زعمهم لكان هم الأولى بأن يسجروا ولكن هذا ديدنهم. أولاً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ فقد روى الإمام أحمد في مسنده قال عن أبي هريرة ؓ، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال (خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ فِيهَا يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ)^(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ تعنى أن العرش كان مخلوقاً قبل السموات وكان محيطاً بالماء أو حاوياً للماء^(٣).

(١) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٥٧).

(٢) مسند أحمد مخرجا، كتاب: المكثرين من الصحابة، باب: مسند أبي هريرة ؓ، رقم ٨٣٤١، (١٤/ ٨٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٧/ ١٢).

٣- قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق : بـ ﴿خَلَقَ﴾ في الآية السابقة، واللام للتعليل. والبلو: الابتلاء، أي اختبار شيء لتحصيل علم بأحواله، وهو مستعمل كناية عن ظهور آثار خلقه^(١).

٤- قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ من المعلوم أن أعمال المؤمنين هي التي تتفاوت إلى حسن وأحسن، فأما أعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتتها إلى حسن وقبيح، لذلك الذين هم أحسن عملاً هم المنقون، وهم الذين استبقوا إلى تحصيل ما هو غرض الله ﷻ من عباده، فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفاً لهم وتنبهاً على مكانهم منه، وليكون ذلك لطفاً للسامعين، وترغيباً في حيازة فضلهم^(٢).

٥- ذكر ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُلْتُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أن هذه الجملة هي جملة شرطية، ووجه جعلها جملة شرطية إفادة تجدد التكذيب عند كل إخبار بالبعث، واللام موطئة للقسم، وجواب القسم ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، فاللام فيه لام جواب القسم. وجواب (إن) محذوف أغنى عنه جواب القسم كما هو الشأن عند اجتماع شرط وقسم أن يحذف جواب المتأخر منهما.

وتأكيد الجملة باللام الموطئة للقسم وما يتبعه من نون التوكيد لتنزيل السامع منزلة المتردد في صدور هذا القول منهم لغرابة صدوره من العاقل، فيكون التأكيد القوي والتنزيل مستعملاً في لازم معناه وهو التعجيب من حال الذين كفروا أن يحيلوا إعادة الخلق وقد شاهدوا آثار بدء الخلق وهو أعظم وأبدع^(٣).

٦- قوله تعالى: ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أشاروا بهذا إلى القرآن؛ لأن القرآن هو الناطق بالبعث، فإذا جعلوه سحراً فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره، هذا يعني أن السحر أمر باطل، وأن بطلانه كبطلان السحر تشبيهاً له به^(٤).

ثانياً: المناسبات:

لمَّا ذكر الله ﷻ علمه الدقيق المتناهي بكل ما خلق من دواب الأرض، حيث تكون، وحيث تستقر، أوضح بأن هذا العلم مرتبطاً بعلمه بخلق السماوات والأرض والذي تكون هذه الدواب والمخلوقات كائنة عليها، فالذي خلق الدواب هو الذي خلق الأرض، مع أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس كما، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات، قادراً على كل

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٧).

(٢) انظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٣٨٠).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٩).

(٤) انظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٣٨١).

شيء، فهو الخالق والرازق والعالم بأحوال البشر، والباعث لهم بعد الموت، فالبعث واقع لا محالة، والمناسبة أن خلق السماوات والأرض من أكبر مظاهر علم الله وتعلقات قدرته وإتقان الصنع، فالمقصود من هذا الخبر لازمه وهو الاعتبار بسعة علمه وقدرته^(١).

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

بعد أن تبين في الآيات السالفة شمول قدرته ﷻ لكل شيء وإحاطة علمه بما يسرون وما يعلنون بما في الصدور - تبع ذلك - بذكر ما يهّم الناس من آثار قدرته ومتعلقات علمه، وهو ما يتعلق بحياتهم وشئونهم المختلفة، ثم بذكر خلقه للعالم كله، ومكان عرشه قبل هذا من ملكه، وبلاء البشر بذلك ليظهر أيهم أحسن عملاً، ثم بعثه إياهم بعد الموت لينالوا جزاء أعمالهم مع إنكار الكفار لذلك وطلب استعجال العذاب الذي أوعدهم به مع بيان أنه واقع بهم لا محالة إن أصروا على كفرهم^(٢).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١ - خلق الله السماوات والأرض وما بينهما من كائنات حية، تدلّان على كمال علم الله تعالى وكمال قدرته^(٣).

٢- العرش مع كونه أعظم من السماوات والأرض كان على الماء. والله ﷻ أمسك الماء لا على قرار، والعرش الذي هو أعظم المخلوقات قد أمسكه الله ﷻ فوق سبع سموات، من غير دعامة تحته، ولا علاقة فوقه^(٤).

٣- الله خلق السماوات لابتلاء واختبار المكلف، وهذا يقتضي أن الله ﷻ خلق هذا العالم الكبير لمصلحة المكلفين^(٥).

٤- الواجب قطعاً وعقلاً حصول والنشر الحشر، والاعتراف بالمعاد والقيامة، لإقامة العدل بين الخلائق، وللجزاء الذي يميز بين المحسنين والمسيئين، فيجازى المحسن بالثواب والرحمة، والمسيء بالعقاب والعذاب^(٦).

٥- جمعت السماوات ووحدت الأرض؛ لأنه لما ذكر السماوات بأنها سبع في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، لئلا يوهم التوحيد معنى الواحدة من

(١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٢٠).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٨٥٧).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٢٣).

(٤) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٢٠).

(٥) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٢٤).

(٦) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٢٣).

هذه السبع، فهذا لا يدل على الإفصاح بالتفصيل في اللفظ، وأيضاً الأرض في تشاكلها في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، تشبه الجنس الواحد الذي لا يجوز جمعه إلا أن يراد الاختلاف وليس تجري السموات مجرى الجنس لأنه دبر في كل سماء، وأمرها التدبير الذي هو حقها^(١).

٦- الحياة الدنيا دار ابتلاء: جهز الخالق هذه الأرض وهذه السموات بما يصلح لحياة هذا الجنس، جهز هذا الجنس كذلك باستعدادات وطاقات وبنى فطرته على ذات القانون الذي يحكم الكون وترك له جانباً إختيارياً في حياته، يملك معه أن يتجه إلى الهدى فيعينه الله عليه ويهديه، أو أن يتجه إلى الضلال فيمد الله له فيه، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، وترك الناس يعملون، ليلوهم أيهم أحسن عملاً، ييلوهم لا للعلم فهو يعلم، ولكن ييلوهم ليظهر المكنون من أفعالهم، فيتلقوا جزاءهم عليها كما اقتضت إرادة الله وعدله. (٢)

خامساً: القراءات:

أ- قرأ حمزة، والكسائي، وخلف العاشر ﴿سَاحِرٌ﴾ بفتح السين، وألف بعدها، وكسر الحاء.
ب- قرأ الباقون ﴿سِحْرٌ﴾ بكسر السين وحذف الألف، وإسكان الحاء.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين: القراءة ﴿سِحْرٌ﴾ بغير الألف على جعل الإشارة إلى ما جاء به النبي ﷺ، حيث جعلوا ما جاء به النبي ﷺ سحراً، ويجوز أن تكون الإشارة إلى النبي ﷺ، وفي الكلام تقدير حذف مضاف، أي: إن هذا إلا ذو سحر، فتكون القراءة بالالف^(٣).

أما القراءة ﴿سَاحِرٌ﴾ بألف على جمع الإشارة إلى النبي ﷺ حيث أخبر الحق عنهم أنهم قالوا: إن هذا إلا ساحر، فأخبر عن الاسم باسم الفاعل وهو بابه. ويجوز أن يكون ﴿سَاحِرٌ﴾ بمعنى سحر، لأن الاسم قد يقع موضع المصدر، فتكون القراءة بالالف كالقراءة بغير ألف^(٤).

فالقراءتان كل منهما تشير المعنى ظاهر تحتمله الأخرى، ولا شك أن ورود المعنى بصيغة مباشرة مرة، وبأخرى غير مباشرة، فيه زيادة لتأكيد المعنى، فكلتا القراءتين أفادت إن المشركين قالوا: إن هذا إلا ساحر، وعبروا عنه تارة باسم الفاعل، وتارة بالمصدر حيث جعلوا السحر نفسه مبالغه، والسحر كاذب مبطل فلا يأتي إلا بما هو كذب، كما قال المشركون كذلك: إن ما جاء به

(١) انظر: الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ٣٥٥).

(٢) انظر: تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ٤٧٣)، في ظلال القرآن (٤/ ١٨٥٩).

(٣) انظر: القراءات وأثرها في علوم العربية (١/ ٥٣٥).

(٤) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٤٢١).

الرسول ﷺ ما هو إلا سحر، وهو أمر باطل، وهذا القول يرجحه الباحث؛ وذلك نظراً لشموله تفسيراً لمعنى القراءتين، والله تعالى أعلم^(١).

سادساً: رأي المفسرين في الستة أيام الواردة في الآية:

أما الأيام التي ذكرت فهي ليست كأيامنا فقد قال به جمع من المفسرين، أنها من أيام الآخرة، أي كل يوم ألف سنة لتفخيم خلق السموات والأرض، وذكر هذه المدة ولو أراد خلقها في لحظة لفعل، إذ هو القادر على أن يقول لها "كوني فتكن" ولكنه أراد أن يعلم العباد الرفق والتثبت في الأمور، وحكمة أخرى من خلقها في ستة أيام، ذلك أنه يريد أن يبين لنا أن كل شيء عنده بأجل، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَخَّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]^(٢).

سابعاً: رأي العلماء في العرش:

فهو سرير الملك؛ والجمع عرشه وأعراش، وما يستظل به، والعرش كذلك، وجمعه عروش. وقوام أمر الرجل، وهو - أيضا - البيت، قال الله ﷻ: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]^(٣).

العرش هو أعظم المخلوقات، وعليه استوى ربنا استواءً يليق بجلاله، وله قوائم، ويحمله من الملائكة عظام الخلق، قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]. وقد روى أهل العلم أدلة على ما سبق من أقوال العلم: عن ابن مسعود ﷺ قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم^(٤).

(١) انظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١ / ٤٢١).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١٠ / ٦٣٢٥).

(٣) انظر: المحيط في اللغة (١ / ٤٤).

(٤) انظر: والبيهقي في " الأسماء والصفات " (ص ٤٠١)، " اجتماع الجيوش الإسلامية " (ص ١٠٠)، " القول المفيد شرح كتاب التوحيد " (٣ / ٣٧٩).

وهم على خلقة عظيمة، وقد روى أبو داود عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: (أُنْزِلَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ)^(١). والحديث: قال عنه الحافظ ابن حجر: وإسناده على شرط الصحيح^(٢).

والعرش ليس هو المَلَكُ، وليس هو الكرسي بل هو فوق الكرسي وفوق كل المخلوقات، قال ابن القيم رحمه الله: (ولهذا لما كانت السماء محيطة بالأرض كانت عالية عليها ، ولما كان الكرسي محيطاً بالسموات كان عالياً عليها، ولما كان العرش محيطاً بالكرسي كان عالياً)^(٣).

ويرى الباحث أنه لا ينبغي لنا أن نخوض في ذلك، كما خاض أهل الكلام، فأما كيف كان هذا العرش، وأين كان، وفي أية حالة من حالاته كان. فزيادات لم يتعرض لها النص، وليس لمفسر يدرك حدوده أن يزيد شيئاً على مدلول النص، وأن المسلك الأسلم في ذلك طريقة السلف، إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكيف ولا تحريف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل^(٤).

المطلب الثالث: موقف الإنسان من النعمة الإلهية أو النعمة.

يقول تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخْرَبْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَلَئِنْ أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُتَوَسَّسُ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَدْقْنَا نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [هود: ٨ - ١١]

أولاً: معاني المفردات:

١- أُمَّةٌ: ذكر الزركشي لكلمة "الأمة" تسعة وجوه أو معاني هي: عصابة، ملة، سنين، قوم، إمام، الأمم الخالية، أمة محمد خاصة، أمة محمد الكفار منهم خاصة^(٥).
وقد ذكر الألوسي في تفسير هذه الآية أن الأمة هنا بمعنى: طائفة من الأيام قليلة؛ لأن ما يحصره العد قليل^(٦).

(١) رواه أبو داود، كتاب: السنة، باب: الجهمية، رقم ٤٧٢٧، (٤٧٢٧).

(٢) فتح الباري (٨ / ٦٦٥).

(٣) الصواعق المرسله (٤ / ١٣٠٨).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٢٧٣).

(٥) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه (ص: ١٨).

(٦) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/٢١٥).

٢- مَعْدُودَةٌ: عدد: العدد: الإحصاء، عد الشيء يعده عدًا، وتعدادا، قال تعالى: ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨]، أي إحصاء، فأقام عدداً مقام الإحصاء لأنه بمعناه. قال ابن الأثير^(١): له معنيان: يكون أحصى كل شيء معدوداً، يقال: عدت الدراهم عدًا، وما عد فهو معدود و عدد، كما يقال: نفضت ثمر الشجر نفضا، والمنفوض نفص. ويكون معنى كقوله تعالى: ﴿ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف: ١١]، والمعنى: سنين معدودة، وإنما ذكرها على معنى الأعوام، وعد الشيء: حسبه. وقالوا: العدد هو الكمية المتألفة من الوحدات، فيختص بالمتعدد في ذاته، العدد؛ لأنه الأصل المبني منه^(٢).

٣- يَحْبِسُهُ: حبس: حبسه يحبسه حبسا، فهو محبوس وحبيس، واحتبسه وحبسه: أمسكه عن وجهه. والحبس: ضد التخلية. واحتبسه واحتبس بنفسه، يتعدى ولا يتعدى. وتحبس على كذا أي حبس نفسه على ذلك. والحبسة، بالضم: الاسم من الاحتباس. يقال: الصمت حبسة. سيبويه: حبسه ضبطه واحتبسه اتخذه حبيسا، وقيل: الحبس حجارة أو خشب تبنى في مجرى الماء لتحبسه كي يشرب القوم ويسقوا أموالهم، والجمع أحباس^(٣).

٤- فُخُورٌ: فخر الفاء والخاء والراء أصل صحيح، وهو يدل على عظم وقدم. والفخير: الذي يفاخر، بوزن الخصيم. وهو الكثير الفخر. والفاخر: الشيء الجيد. والتفخر: التعظم. والناقاة الفخور: العظيمة الضرع القليلة الدر. ويقولون: فرس فخور، إذا عظم جردانه. والفخر: تباهي المرء على غيره بما له من الأشياء المحبوبة للناس^(٤).

ثانياً: وجوه البلاغة:

- ١- قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن أَرْزَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ ﴾ يعني بالعذاب عذاب الآخرة، وقيل عذاب يوم بدر^(٥).
- ٢- قوله تعالى: ﴿ مَا يَحْبِسُهُ ﴾: استعارة مكنية حيث شبه العذاب بالإنسان الذي يحبس وحذف المشبه به، وهو الإنسان، وأبقى صفة من صفاته وهو الحبس وسر جمالها التشخيص.

(١) إسماعيل بن أحمد بن سعيد، عماد الدين ابن تاج الدين ابن الأثير: كاتب، من العلماء بالأدب، شافعي، حلي الأصل. ولي كتابة الدرج بالديار المصرية، قتل بظاهر حمص في وقعة مع التتار. له (خطب) مدونة، و (عبرة أولي الأبصار في ملوك الأمصار) لم يذكر فيه وفياتهم، و (كنز البراعة) وقع اسمه في كشف الظنون (كنز البلاغة) خطأ، (اختصره ابنه أحمد بن إسماعيل ٦٥٢ - ٦٩٩ هـ)، (إحكام، الأعلام للزركلي (١/ ٣٠٩).

(٢) انظر: تاج العروس (٨/ ٣٥٣).

(٣) انظر: لسان العرب (٦/ ٤٤).

(٤) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٤٨٠).

(٥) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٣٨١).

- ٣- قوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ فقد كانوا يستعجلون العذاب، وإنما وضع يستهزئون موضع يستعجلون، لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء^(١).
- ٤- قوله تعالى: ﴿ أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ استعارة مكنية، حيث شبه الرحمة بالطعام الذي يتذوق، وحذف المشبه به، وهو الطعام وأبقى صفة من صفاته، وهي الذوق، وسر جمالها التجسيم.
- ٥- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا ﴾ استعارة مكنية، حيث شبه الرحمة بالشيء المادي الذي ينزع، وحذف المشبه به وهو الشيء، وأبقى صفة من صفاته وهي النزاع، وسر جمالها التجسيم.
- ٦- قوله تعالى: ﴿ أَدَقَّنَاهُ نِعْمَاءً ﴾ استعارة مكنية، حيث شبه النعمة بالشيء بالطعام الذي يتذوق، وحذف المشبه به وهو الطعام وأبقى صفة من صفاته وهي التذوق، وسر جمالها التجسيم.
- ٧- قوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ كناية عن موصوف وهو المؤمنين، وسر جمالها الإتيان بالمعنى مصحوبا بالدليل^(٢).
- ٨- قوله تعالى: ﴿ لَيُنُوسٌ كُفُورٌ ﴾ فهما من صيغ المبالغة، أي شديد اليأس، كثير الكفران.
- ٩- قوله تعالى: ﴿ نِعْمَاءٌ بَعْدَ ضَرَاءٍ ﴾ بين كلمة نعماء وضرء محسن بديعي وهو طباق^(٣).
- ١٠- قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ هذه الجملة، هي جملة استثناء ابتدائي للتعجب من حال الإنسان. وهي مثالا في المبالغة، أي لشديد الفرح شديد الفخر^(٤).
- ١١- قوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الاستثناء هنا احتراسا باستثناء من (الإنسان). دل هذا الاستثناء على أنهم متصفون بصد صفات المستثنى منهم. وفي هذا تحذير من الوقوع فيما يماثل صفات الكافرين على اختلاف مقادير^(٥).
- ١٢- قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ الجملة مستأنفة ابتدائية، والإتيان باسم الإشارة عقب وصفهم بما دل عليه الاستثناء، وبالصبر وعمل الصالحات تنبيه على أنهم استحقوا ما يذكر بعد اسم الإشارة من أجل ما ذكر قبله من أوصاف^(٦).
- ١٣- قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ اللام هي لام التوكيد لتؤكد أن هذا الأمر يحتاج إلى عزم قوي وشديد لكي يصبر المؤمن^(٧).

(١) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٣٨١).

(٢) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢١٨).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٢٥).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٥).

(٥) انظر: تفسير الشعراوي (١٠ / ٦٣٥٦)، التحرير والتنوير (١٢ / ١٥).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٥).

(٧) تفسير الشعراوي (١٠ / ٦٣٥٧).

١٤- ذكر ابن عاشور أن وصف «صَبْرُوا» دون «آمَنُوا»؛ لأن المراد مقابلة حالهم بحال الكفار في قوله: «... إِنَّهُ لَيُنُوسٌ كَفُورٌ» [هود: ٩] ودل الاستثناء على أنهم متصفون بصد صفات المستثنى منهم، وفي هذا تحذير من الوقوع فيما يماثل صفات الكافرين على اختلاف مقادير (١).

١٥- إن في التعبير عن النعم بالرحمة، إشارة إلى أنها من فيض رحمة الله ﷻ على عباده، وفي التعبير عن زوال النعمة بالنزع، إشارة إلى أن هذه النعمة كانت ثوباً ستر الله ﷻ به من أنعم عليه بها، فلما لم يؤد ما لهذا النعمة من واجب الشكر لله عليها، واتخذ منها سلاحاً يحارب به الله، ومطية يمتطيها إلى تخطى حدوده- انتزع الله ﷻ هذا الثوب الذي كان يستره به، وأخذ بقوله سبحانه: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (الأنفال: ٥٣)(٢).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة السياق لما قبله: بعد أن حكي الله تعالى عن الكفار أنهم يكذبون الرسول ﷺ بقولهم: «إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» حكي عنهم في الآية الأولى: «وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا» نوعاً آخر من أباطيلهم، وهو أنه متى تأخر عنهم العذاب الذي توعدهم به الرسول ﷺ، أخذوا في الاستهزاء، وقالوا: ما سبب حبسه عنا؟ أن في كليهما وصف فن من فنون عناد المشركين وتهكمهم بالدعوة الإسلامية، فإذا خبرهم الرسول ﷺ بالبعث وأن شركهم سبب لتعذيبهم جعلوا كلامه سحراً، وإذا أنذرهم بعقوبة العذاب على الإشراك استعجلوه، فإذا تأخر عنهم إلى أجل اقتضته الحكمة الربانية استفهموا عن سبب حبسه عنهم استفهام، تهكم ظناً أن تأخره عجز، وبالطبع هذا حال أهل الزيغ والضلال - العناد والمكابرة- ومع وجود الأدلة اليقينية، وقد تكون قلوبهم مؤمنة بهذا الدين لكنه الكبر والعناد قال تعالى: «وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا» [النمل: ١٤] (٣).

٢- المناسبة بين آيات المطلب نفسه: بعد أن ذكر عذاب الكفار، وإن تأخر، فلا بد من مجيئه، ذكر بعده ما يدل على كفرهم واستحقاقهم لذلك العذاب، وهو سوء طبع الإنسان، ففي حال النعمة يبطر ويتفاخر، وفي حال الضر يجحد ويبيأس من رحمة الله، إلا من صبر وشكر وعمل صالحاً، فحصل تناسق وانسجام في هذه الآيات (٤).

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٥)

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١١٠٩).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٠).

(٤) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٢٦).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

يقسم الله ﷻ لئن أخرجنا العذاب عن الكفار أو المشركين، بعد أن توعدهم به الرسول ﷺ، إلى حين من الزمان، على وفق سنتنا وحكمتنا: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] لقالوا استهزاءً وتكذيباً واستعجالاً: ما الذي يؤخر هذا العذاب عنا؟ أجل معلوم وحين معلوم.

أجابهم الله ﷻ بأنه إذا جاء الوقت الذي عينه الله لنزول ذلك العذاب الذي كانوا يستهزئون به، لم يصرفه عنهم صارف، وسيحيط بهم حينئذ من كل جانب، جزاء بما كانوا يستهزئون به من العذاب قبل وقوعه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧، ٨].

ثم أخبر تعالى عن صفات الإنسان الذميمة إلا من رحم الله ﷻ من عباده المؤمنين: أنه إذا أعطاه الله ﷻ نعمة من صحة ورزق وأمن وولد بار، وما شابه ذلك من النعم؛ رحمة منه، ثم سلبه تلك النعمة، وأبدله بها نقمة من مرض أو فقر أو خوف أو موت أو كارثة، أضحى شديد اليأس من رحمة ربه، كثير الكفر والجحود للماضي ولما عليه من نعم أخرى، فهو قانط بالنسبة للمستقبل، جاحد لماضي الحال كأنه لم ير خيراً، ولما عليه الآن من النعم، وذلك لعدم التزامه بفضيلة الصبر والشكر والذي ميز بها المؤمنين^(١).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- أقسم الله تعالى على أن كل عذاب أوعده الله ﷻ أو الرسول ﷺ به الكفار آتٍ لا محالة، ولا يصرفه عنهم صارف، جزاء ما كانوا به يستهزئون. والمراد من العذاب إما عذاب الدنيا وهو عذاب الاستئصال أو الهزيمة الساحقة في معركة فاصلة كمعركة بدر، وإما عذاب الآخرة^(٢).
- ٢- أخبر تعالى عن أحوال القيامة بلفظ الماضي: وحق مبالغة في التأكيد والتقرير، وهذا يدل على أنه واقع لا محاله^(٣).
- ٣- وأقسم ﷻ أيضاً على أن الإنسان إن وجد أقل القليل من الخيرات العاجلة وهو الإذابة والذوق يقع في التمرد والطغيان، وإن أدرك أقل القليل من المحنة والبلية يقع في اليأس والقنوط والكفر^(٤).
- ٤- وأقسم تعالى ثالثاً على أن الإنسان إن أمدته الله ﷻ بنعمة كالصحة والرخاء والسعة في الرزق، بعد ضرر مسه كالفقر والشدة، قال: ذهب السيئات عني، وينسى شكر الله عليه.

(١) انظر: تفسير الألويسي = روح المعاني (٦/ ٢٢٤).

(٢) انظر: التفسير المنير (١٢/ ٣٠).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٥٧).

(٤) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧/ ٣٢٠).

٥- استثنى الله ﷻ من أوصاف الإنسان الذميمة وأحواله حالة المؤمنين الذين يصبرون على الشدائد والمكاره، ويكونون عند الرخاء والسعة من الشاكرين، ويعملون الأعمال الطيبة الخيرة في الدنيا، فهؤلاء لهم من الله مغفرة على ما صبروا على عمل الخير وحال المصاب^(١).

أما الكافر عند البلاء فلا يكون عادة من الصابرين، وعند الفوز بالنعمة لا يكون من الشاكرين، والصبر لا ثواب له عليه ما لم ينبعث من الإيمان^(٢).

٦- أحوال الدنيا غير باقية، بل هي متغيرة متحولة من النعمة إلى المحنة، ومن اللذات إلى الآفات، وبالعكس وهو الانتقال من المكروه إلى المحبوب، ومن المحرمات إلى الطيبات.

٧- حال الناس من نعم الله ﷻ ونقمه: أنه إذا أنعم الله ﷻ عليه بطر، واستكبر، وكفر، وإن مسته ضراء، جزع ويئس، وازداد كفرًا، وإن عادت عليه النعمة، عاد سيرته الأولى معها كفرانًا وطغيانًا، هذا هو الشأن الغالب في الناس^(٣).

٨- صفة المؤمنين الصبر: كني الله ﷻ بالذين صبروا عن المؤمنين فإن الإيمان يروض صاحبه على مفارقة الهوى ونبذ معتاد الضلالة، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

وقد ذكر ابو زهرة في تفسيره أن الصبر وضبط النفس صفتان متلازمان، بل إن ضبط النفس شعبة من شعب الصبر الثلاث وهي^(٤):

"الشعبة الأولى: تحمل المشاق النفسية والبدنية، ومن المشاق النفسية المحن والنعم، ويكون تحمل المحن بتلقيها من غير تملل ولا تزلزل، أما النعم فيتلقاها بالشكر والصبر على القيام بحقها.

الشعبة الثانية: تكون بعدم الأنين أو الشكوى والضجر، وهذا هو الصبر الجميل الذي التزمه يعقوب الكلبلي.

الشعبة الثالثة: هي رجاء زوال ما يمتحنه به الله تعالى، فلا ييأس من رحمة الله ولا يكفر بنعمه وألا تغريه نعمة الله بالكبر والبطر. انتظار الفرج".

(١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٣٠).

(٢) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٣٠).

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١١١٠).

(٤) زهرة التفاسير (٧ / ٣٦٧٤).

المبحث الثالث من أراد الدنيا ومن أراد الآخرة

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (١٢ - ١٧)

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: من أراد الدنيا وحدها حرم من نعيم الآخرة.
- المطلب الثاني: آيات الإعجاز في سورة هود.
- المطلب الثالث: القرآن الكريم ثابت من عند الله تعالى.
- المطلب الرابع: حقيقة الدنيا ونهايتها.
- المطلب الخامس: شهادة القرآن الكريم والكتب السماوية على صدق محمد ﷺ.

المبحث الثالث

من أراد الدنيا ومن أراد الآخرة

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (١٢ - ١٧)

الآيات تبين حقيقة الإنسان، وقد وازن القرآن المجيد بين جزاء من قصد العمل للدنيا وحدها، من جاه ولباس، وزينة وأثاث، وثروة ومال، وطعام وشراب، وبين من قصد بعمله تعميم الآخرة وبناء مستقبل الخلود. الأول يجازى بعمله وثمرة جهده، فيعيش بمشيئة الله مترفاً منعماً بالصحة والسيادة والرزق الوفير وكثرة الأولاد، والآخر طالب الآخرة يحظى بنعيم الخلود وتأتيه الدنيا مع ذلك صاغرة منقاداً له. وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: من أراد الدنيا وحدها حرم من نعيم الآخرة.

يقول تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].
أولاً: وجوه البلاغة:

- ١- قوله تعالى: ﴿بِهِ صَدْرُكَ﴾ الباء للسببية، والضمير المجرور بالباء عائد على ما بعده وهو أن يقولوا، وفي ذلك مجاز مرسل، حيث أطلق الجزىء وأراد الكل -الإنسان.
- ٢- قوله تعالى: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ بدل من الضمير السابق بقوله: ﴿بِهِ صَدْرُكَ﴾. ومثل ذلك مستعمل في الكلام كقوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣](١).
- ٣- قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ أفيد بفاء التفریع أن مضمون الكلام المرفوع عليه سبب لتوجيه هذا التوقع؛ لأن من شأن المرفوع عليه اليأس من تكرار التكذيب والاستهزاء يأساً قد يبعث على ترك دعائهم^(٢).
- ٤- قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ﴾ هذا استفهام حذف أداته. التقدير: ألعلك تارك. ويكون الاستفهام مستعملاً في النفي للتحذير، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣](٣).

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٦ / ١٢).

(٢) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣ / ١٥٤).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٦ / ١٢).

٣- نجد الحق ﷺ يأتي بصيغة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ ﴾ [هود: ١٢]، وهو استفهام في معرض النهي.

٤- الضيق مستعمل مجازاً في الغم والأسف، كما استعمل ضده وهو الانشراح في الفرح والمسرّة.

٥- قوله تعالى: ﴿ وَضَائِقٌ ﴾ اسم فاعل، ويعني أن الموصوف به لن يظل محتفظاً بهذه الصفة لتكون لازمة له، ولكنها تعبر عن مرحلة من المراحل، ثم تنتهي^(١).

٦- وقد قال: ﴿ وَضَائِقٌ ﴾ ولم يقل ضيقوا ذلك من باب المشاكلة مع كلمة ﴿ تَارِكٌ ﴾ الذي قبله، ولأن الضائق عارض، والضيق ألزم منه.

٧- والاستفهام في الآية كناية عن بلوغ الحالة حداً يوجب توقع الأمر المستفهم عنه حتى أن المتكلم يستفهم عن حصوله، وهذا أسلوب يقصد به التحريك من همة المخاطب والهيب همته لدفع الفتور عنه وليس في هذا تجويز ترك النبي ﷺ تبليغ بعض ما يوحى إليه^(٢).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآية لما سبق: ذكر في الآيات السابقة أحوال الكفار في اعتراضهم على ما جاء به النبي ﷺ وفرحهم بالحسنات واستبشارهم بها، أرشدهم الله إلى الصبر وبين حال الصابرين يوم القيامة، فخالف آراء المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به^(٣).

٢- فاصلة الآية: ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ تذييل لقوله ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ لقصد التأكيد على تثبيت النبي ﷺ على المضي في تبليغ دعوته، حيث إن الآيات السابقة تحدثت عن صفة الكتاب الذي أنزل على النبي ﷺ، وما جاء به من عبادة الله ﷻ وحده دون الإشراف به، وبيان مهمة رسوله ﷺ، وهي الإنذار والتبشير، فكانت هذه الآية الكريمة لتأمر النبي ﷺ على الثبات والصبر، وعلى تبليغ ما يوحى إليه، مع عدم المبالاة بما يضعه المشركون في طريقه من عقبات، وفي هذا إشارة واضحة للعلاقة بين فاصلة الآية وموضوعها^(٤).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

في هذه الآية يحث الله ﷻ رسوله ﷺ؛ بعدم الاكتراث بما يلاقه من عنق المشركين، يقول له: فلعلك يا محمد، تارك بعض ما يوحى إليك ربك أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك، وضائق بما يوحى إليك صدرك فلا تبلغه إياهم، مخافة ﴿...أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١٠/٦٣٦٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢/١٦).

(٣) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/٢١٨).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢/١٦).

مَلَكٌ... ﴿ له مصدق بأنه لله ﷺ رسول! فيأمره بتبليغهم ما أوحاه الله ﷻ إليك، فإنك إنما أنت نذير تُنذِرهم عقابي، وتحذِرم بأسي على كفرهم بي، وإنما الآيات التي يسألونكها عندي وفي سلطاني، أنزلها إذا شئت، وليس عليك، إلا البلاغ والإنذار. والله ﷻ القيم بكل شيء ويديه تدبيره، فأنفذ لِمَا أمرتك به، ولا تمنعك مسألتهم إياك الآيات، من تبليغهم وحيي والنفوذ لأمرِي^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- بيان ولاية الله ﷻ لرسوله ﷺ وتسديده له وتأبيده.
 - ٢- وجوب تبليغ الوحي بكامله دون إنقاص أو إرجاء شيء منه، ولا يتنافى هذا الحكم مع مبدأ عصمة الرسول ﷺ عن الخيانة في الوحي والتنزيل، وترك بعض ما يوحى إليه، وهذا كقوله تعالى في تأكيد الأمر بإبلاغ الوحي: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وهذا الحكم لا يختلف سواء قلنا: إن معنى الكلام في آية ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ...﴾ الاستفهام الإنكاري أو معنى الكلام النفي مع استبعاده^(٢).
 - ٣- بيان ما كان عليه المشركون من عناد في الحق ومكابرة^(٣).
 - ٤- لا مجاملة ولا مهادنة ولا إرجاء في تبليغ الوحي، فسواء كره الناس تبليغهم ما أنزل الله أم قالوا: لولا أنزل عليه كنز أو ملك، فلا تراجع عن تبليغ الوحي^(٤).
 - ٥- الكفار همهم في هذه الدنيا المال والمنصب والجاه، فهم ينتظرون منافع مادية يلمسونها، فقد أعابوا على الرسول ﷺ إذ لم يكن غنياً قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُنْفَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٧، ٨]
- سادساً: أسمى مراتب القيم عند المشركين في المال:

لم يكن اعتراض المشركين على القرآن، بل على من نزل عليه القرآن، فقد طلبوا أن ينزل إليه كنز، وقد ظنوا أن الثراء سيلهيه هو ومن معه عن الدعوة إلى الله ﷻ، وقد وردت آيات عديدة تفيد هذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُنْفَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨]، إذن: هذا ديدنهم ومطلبهم^(٥)

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٥٨/١٥)، والتفسير الوسيط (١٠٢٠/٢).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٦٥).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٢٨).

(٤) انظر: التفسير المنير (١٢/ ٣٦).

(٥) انظر: تفسير الشعراوي (١٠/ ٦٣٦٦).

المطلب الثاني: آيات الإعجاز في سورة هود.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

أولاً: معاني المفردات:

*مُفْتَرِيَاتٍ: (فرى) الفاء والراء والحرف المعتل قطع الشيء، ثم يفرع منه ما يقاربه: شخص مُخْتَلَق كاذب لم يصدقه أحدٌ لأنه فَرِيٌّ، والافتراء: الكذب الذي لا شبهة لصاحبه، فهو الكذب عن عمد وهو أخص من الكذب، ولا يستعمل إلا فيما بهت به المرء وكابر، وجاء بأمر عظيم منكر^(١).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، أم بمعنى بل وألف الاستفهام، كأنه أضرب عن الكلام الأول، واستفهم في الثاني على معنى التقرير^(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ﴾ يراد بها الآلهة والأصنام والشياطين وكل ما كانوا يعظمونه^(٣).

٣- اشتملت الآية المتقدمة على أمرين وخطابين:

أحدهما: أمر وخطاب للنبي ﷺ وهو قوله ﷺ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾.

والثاني: أمر وخطاب للكفار وهو قوله ﷺ: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٤).

٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا﴾ فصلت هذه الجملة جواباً لكلامهم على ما هو مستعمل في المحاوره سواء كانت حكاية المحاوره بصيغة حكاية القول أو كانت أمراً بالقول^(٥).

٥- هناك ملازمة بين الشرط وجزائه وذلك أنه إذا كان الافتراء يأتي بهذا القرآن فما لكم لا تفترون أنتم مثله فتنهض حجتكم.

٦- قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ من المعلوم أن هذه السورة قد سبقها عشر سور، لكن التحدي لم يقع بتلك؛ لأن هذه السورة مكية، وبعض السور المتقدمة على هذه السورة

مدنية، إذن التحدي بعشر سور لا بد وأن يكون سابقاً على التحدي بسورة واحدة، فالأولى أن يقال التحدي وقع بمطلق السور التي يظهر فيها قوة تركيب الكلام وتأليفه، وهذا واقع في كل سورة من سور القرآن الكريم^(٦).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٦).

(٢) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٥٥).

(٣) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٥٥).

(٤) انظر: تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ٤٧٦).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٩).

(٦) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧/ ٣٢٥).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآية بالسياق: بعد أن ذكر الله ﷻ افتراء المشركين على القرآن بأنه سحر مبين، وإعراضهم عنه كي لا يسمعه، وذكر تكذيبهم للرسول ﷺ وللقرآن، وظنهم أنه مثل الملوك مدعوم بالمال للإغراء وكسب الأتباع، ومطالبتهم دعمه بالكنز أو بالملك، طلب تحديهم بالإتيان بعشر سور مثل القرآن الكريم^(١).

٢- فاصلة الآية: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ارتبطت الفاصلة بموضوع الآية وهو التحدي للعرب؛ لأن صدقهم غير محتمل الوقوع، ولو أنهم كانوا صادقين فيما زعموه، بأن القرآن من عند النبي ﷺ لأتوا، بمثله فناسب أن يختم الآية بقوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ذلك لإثارة الهمم والنفوس عند العرب، فبمجرد عرض عليهم عدم صدقهم تتوفر دواعيهم على معارضة القرآن^(٢).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

كشفت الآيات الكريمة عن موقف المشركين من القرآن الكريم ، وبيان إعجازه بدليل تحدى العرب به، فقد زعموا بأن القرآن قد اختلقه النبي ﷺ من عند نفسه ، فإن كان ما يزعمون صحيحاً فليأتوا بعشر سور مثله مفتريات، تضارعه في الفصاحة والبلاغة، وإتقان الأحكام والتشريعات في شؤون الحياة المختلفة، والإخبار بقصص الأنبياء -عليهم السلام- مع أقوامهم، والغيبات، فقد كانوا أهلاً في فصاحة البيان، والتفوق في ملكة اللسان، ولكنهم مع ما يمتازون به من الفصاحة إلا أنهم عجزوا أمامه؛ لأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، ولا بعشر سور مثله، بل ولا بأقصر سورة من مثله؛ لأن القرآن الكريم كلام رب العالمين لا يشبه كلام المخلوقين، كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات، وذاته لا يشبهها شيء، كما أخبر ﷺ عن نفسه فقال: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] لا إله إلا هو^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- تحدى الله ﷻ العرب في هذه السورة بأن يأتوا بعشر سور مثل سور القرآن، بعد أن كان تحداًهم بالإتيان بمثل القرآن، فعجزوا في الحالين، كما عجزوا عن الإتيان بمثل سورة منه، في سورة أخرى، وهذا التحدي ليثبت أن القرآن كلام الله المعجز^(٤).

٢- ثبت بقوله: ﴿فَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ عِزِّيَ أَجْرًا لَيَسْئَلُنَّكَ عَنِ الْغَيْبِ مَا لَمْ يَكُن لَكَ بِهِ خَبْرٌ﴾ عجزهم عن المعارضة، فقامت عليهم الحجة بأن القرآن ليس من عند محمد ﷺ أو غيره، وإنما هو كلام الله ﷻ، وليعلم الجميع أنما أنزل بعلم الله ﷻ^(١).

(١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٣٢).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٨٦٧).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٣٥)، وتفسير ابن كثير (٤ / ٣١٠).

(٤) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧ / ٣٢٥).

٣- إن الله ﷻ قد تحدى العرب بهذا القرآن، وذلك بإعجازه. لكن كثيراً من المفسرين -جزاهم الله خيراً- جعلوا للقرآن عدة وجوه، وصلت عندهم العشرات، مستخدمين هذا التعدد خدمة لكتاب الله ﷻ، لكن الحق ﷻ؛ قد تحدى العرب بما برعوا به، فقد كانوا أبرع ما يكونون به هي البلاغة فتحداهم الله ﷻ بها، ليكون عجزهم ظاهراً عن الإتيان بمثله.

٤- ما ورد في هذه الآية يدل على أنه لا بد في إثبات الدين من تقرير الدلائل والبراهين، وذلك لأنه ﷻ أورد في إثبات نبوة محمد ﷺ هذا الدليل وهذه الحجة، ولولا أن الدين لا يتم إلا بالدليل لم يكن في ذكره فائدة^(٢).

المطلب الثالث: القرآن الكريم ثابت من عند الله تعالى.

قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ظَهْرًا مِنَ اللَّهِ وَهُمْ لَا يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلَ الْغَيْبِ لَهُمْ سَعِيرٌ﴾ [هود: ١٤].

أولاً: وجوه البلاغة:

١- بداية الآية بالهمزة للتوبيخ والإنكار والتعجيب وهذا من عظم المعنى^(٣).

٢- قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ظَهْرًا مِنَ اللَّهِ وَهُمْ لَا يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلَ الْغَيْبِ لَهُمْ سَعِيرٌ﴾ [هود: ١٣] أي فإن لم يستجب لكم من تدعون لهم فأنتم أعجز منهم؛ لأنكم ما تدعونهم إلا حين تشعرون بعجزكم دون معاون فلا جرم بعجز هؤلاء موقعاً في يأس الداعين من الإتيان بعشر سور^(٤).

٣- ذكر الزمخشري تعليقات لجمع الخطاب في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فَأَعْلَمُوا﴾ بعد إفراده في الآية السابقة كما يلي^(٥):

أ- إنَّ الخطاب موجه للرسول ﷺ والمؤمنون لأنَّ الكفار كانوا يتحدثون رسول ﷺ والمؤمنين. وهذا يعني للمؤمنين: أن اثبتوا على العلم الذي أنتم عليه، وازدادوا يقيناً وثباتاً قدم على أنه منزل من عند الله ﷻ، وعلى التوحيد.

ب- إنَّ الجمع المذكور لتعظيم رسول الله ﷺ.

ت- ويمكن أن يكون الخطاب للمشركين، والضمير في ﴿فَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ظَهْرًا مِنَ اللَّهِ وَهُمْ لَا يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلَ الْغَيْبِ لَهُمْ سَعِيرٌ﴾ لمن استطعتم، يعني: فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله ﷻ إلى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه

(١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٣٦).

(٢) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧ / ٣٢٥).

(٣) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٣٢٠).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٢١).

(٥) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٣٨٣).

وأن طاقاتهم أقصر من أن تبلغه ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ أى أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله، من نظم معجز للخلق، وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه.

٤- والضميرُ المستكنُ في افتراه للنبي ﷺ والبارزُ لما يوحى؛ أى بل يقولون افتراه وليس من عند الله ﷻ^(١).

٥- جاء ضمير (لَكُمْ) بصيغة الجمع؛ لأنه خطاب للرسول ﷺ وللمؤمنين، والمراد أن الكفار إن لم يستجيبوا لكم في الإتيان بالمعارضة، فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﷻ^(٢).

٦- فى قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ تحريض للمشركين على أن ينتهزوا هذه الفرصة، وأن يستسلموا للقرآن الكريم، وأن يعطوه أيديهم كما يعطى الأسير يده^(٣).
ثانياً: المناسبات:

لما ذكر الله ﷻ تحديه للمشركين في الآية السابقة أن يأتوا بعشر سور، ثم قال تعالى: ﴿ قَالِمٌ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾ أى: فإن لم يأتوا بمعارضة ما دعوتهم إليه، فاعلموا أنهم عاجزون عن ذلك، وأن هذا الكلام منزل من عند الله ﷻ، متضمن علمه وأمره ونهيته، فكانت هذه الآية بمثابة رداً على السؤال: أن يأتوا بمثله، فلما علم عجزهم، إذن فعليهم بالإقرار بأن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله^(٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

يخبر الله ﷻ النبي ﷺ والمؤمنين بمخاطبتهم: فإن لم يستجب لكم من تدعونهم من دون الله فاعلموا أنما أنزل على محمد ﷺ بمقتضى علم الله ﷻ وإرادته أن يبلغه لعباده على لسان رسوله، والذي لا يقدر هو ولا غيره على تأليفه ممن تدعونه زورا أنهم أعانوه، واعلموا أنه لا إله يعبد بحق إلا هو، فهل أنتم بعد أن قامت عليكم الحجة داخلون في الإسلام الذي أدعوكم إليه بهذا القرآن، مؤمنون بما فيه من عقائد ووعود وحكم وآداب ووعيد وأحكام^(٥).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- ثبت على المشركين عجزهم عن المعارضة، فقامت عليهم الحجة بأن القرآن ليس من عند محمد ﷻ أو غيره، وإنما هو كلام الله ﷻ، وليعلم الجميع أنما أنزل بعلم الله تعالى^(٦).

(١) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ١٩١).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١١١١).

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١١١٤).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٢١).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (٩ / ١٢).

(٦) انظر: التفسير المنير للزحيلي (١٢ / ٣٦)، أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٢٨).

٢- الخطاب موجه للرسول ﷺ وللمؤمنين؛ لأنهم أتباع له ﷺ في الأمر بالتحدي
٣- في الآية تنبيه لطيف على وجوب وقوف المؤمنين مع رسولهم ﷺ وعدم الانفكاك عنه،
والمناصبه معه لمعارضة المعارضين، كما كان يفعلونه في الجهاد وجميع المواقف التي مر بها
النبي ﷺ وأصحابه.

٤- أرشدت هذه الآية إلى وجوب التمكين والرسوخ في الإيمان، والطمأنينة في الإيقان بهذا الدين،
والمنافحة عنه^(١).

٥- هذا القرآن الكريم نزل محملاً بعلم الله ﷻ، وإذا كان هذا شأنه، فكيف تقوم قوة في هذا الوجود،
تتحدى هذا العلم، وتقف له، قال تعالى: ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنس والنس على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ [الإسراء: ٨٨]^(٢).
خامساً: زعمهم أن القرآن من عند محمد ﷺ.

وهذا الافتراء يشمل ناحيتين:

١- افتراء في جملته بإسناده إلى الله ادعاء أنه من كلام محمد ﷺ أوحاه الله ﷻ إليه.
٢- افتراء أخبار الغيب التي يدعى أنها من عند الله ﷻ ولا يعلمها إلا هو وبها استدل على
نيوته^(٣).

أما أخبار الغيب فهي ضربان كما ذكرت في تفسير المراعي^(٤):

أ- أخبار الغيب الماضية، وتشمل قصص الرسل-عليهم السلام-مع أقوامهم، وأخبار التكوين كخلق
السموات والأرض وما بينهما كخلق الإنسان والجان.
ب- أخبار الغيب الآتية، وتشمل وعد الله ﷻ بنصره لرسوله -عليهم السلام- والمؤمنين وجعل العاقبة
لهم واستخلافهم في الأرض وخذلان أعدائهم الكافرين، والقيامة والبعث والحساب والجزاء على
العقائد والأعمال، وقد كانوا ينكرون ذلك ويستبعدونه.

(١) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ١٩٢).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١١١٤).

(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٢ / ٥٥٣).

(٤) انظر: تفسير المراعي (١٢ / ١٤).

المطلب الرابع: حقيقة الدنيا ونهايتها.

قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (هود: ١٥-١٦).

أولاً: معاني المفردات:

١- يُبْخَسُونَ: بخس: الباء والخاء والسين أصل واحد، وهو النقص، البخس: النقص والظلم، وقد بخسه بخساً، كمنعه، وقد بَخَسَهُ حَقَّهُ يَبْخَسُهُ بَخْسًا، إذا نَقَصَهُ. قال تعالى: ﴿ وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ [يوسف: ٢٠] (١).

٢- حَبِطَ: الحاء والباء والطاء أصل واحد يدل على بطلان أو ألم. يقال: أحبط الله عمل الكافر، أي أبطله، حَبِطَ يَحْبِطُ، حَبْطًا وَحُبُوطًا، فهو حَابِطٌ، حَبِطَ عَمَلُهُ/ حَبِطَ سَعْيُهُ: بَطَلَ ولم يَحْقُقْ ثَمَرَتَهُ، فسد وذهب سُدَى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ ﴾ [ق] (٢).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ﴾ هي المقصودة من الكلام، وما قبل ذلك تمهيد وتنبيه على بوارق الغرور ومزالق الذهول (٣).

٢- قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ جملة استئناف اعتراضية بين الجملتين ناشئة عن جملة فهل أنتم مسلمون؟

٣- فعل الشرط ﴿ يُرِيدُ ﴾ في المقام الخطابي يفيد اقتصار الفاعل على ذلك الفعل، فالمعنى من كان يريد الحياة الدنيا فقط بقريئة قوله: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ .. ﴾ إذ حصر أمرهم في استحقاق النار وهو معنى الخلود فيها (٤).

٤- قوله تعالى: ﴿ نُوفَّ إِلَيْهِمْ ﴾ الضمير هنا عائد إلى من الموصولة؛ لأن المراد بها الأقوام الذين اتصفوا بمضمون الصلة في ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ (٥).

(١) مقاييس اللغة (١/ ٢٠٥).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٤٣٧)، مقاييس اللغة (٢/ ١٢٩).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٢٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٢٣).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٢٣).

٥- الضمير العائد في ﴿ فِيهَا ﴾ يجوز أن يعود إلى الحياة وأن يعود إلى الأعمال^(١).
٦- ذكر الشهيد سيد قطب - رحمة الله^(٢): أن كلمة حابط (من حبطت الناقة إذا انتفخ بطنها من المرض) وهي صورة مناسبة للعمل المنتفخ المتورم المراد به السمعة والشهرة وما إلى ذلك في الدنيا وهو مؤد إلى الهلاك، ونحن نشهد من يعمل في هذه الأرض أفراداً اليوم وشعباً وأماً تعمل لهذه الدنيا، وتنال جزاءها فيها.

فلا يجوز أن نعجب ولا أن نسأل: لماذا أعطى هذا العاصي؟ لأن هذه هي سنة الله في خلقه حري بنا بأن نسلم لله ﷻ في سننه في هذا الكون.
٧- إدخال ﴿ كَانْ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ عليه للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة أصلاً^(٣).

٨- المقصود بقوله تعالى: ﴿ أَعْمَالُهُمْ ﴾ ليس كل أعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الأمور المذكورة بطريق الأجر والجزاء من أعمال البر وقد أطلقت كلمة أعمالهم وأريد بها ثمراتها فالمعنى نوصِلُ إليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا كاملة^(٤).

٩- قوله تعالى: ﴿ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ تصريح باستمرار بطلان تلك الإرادة، وشرح أعماله أراد بها الحياة الدنيا وزينتها^(٥).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآيتين لما سبق: أظهر الله ﷻ في الآيات السابقة التحدي بإعجاز القرآن الكريم، وحث المشركين على أن يأتوا بعشر سور مثله، وعندما ظهر عجزهم، ذلك بعدم استطاعتهم الرد فدعاهم إلى الإيمان بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ناسب أن يبين لهم الفرق بين من يعمل في هذه الدنيا من أجل زينتها، فيعطيه الله ﷻ ثمرة ذلك الأولاد والصحة وغير ذلك من متاع هذه الحياة الدنيا من غير أن ينقص من جزاء عمله شيء، وسبب الإيمان بالله ﷻ، لكن الله ﷻ، وصف هؤلاء: بأن مصيرهم حتماً إلى النار، وعلل دخولهم في النار، أن عملهم كان لا يتقبل منهم، فهو باطل، لأنهم أرادوا الدنيا وزينتها بهذا العمل، ولم يريدوا وجه الله ﷻ بذلك^(٦).

(١) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧ / ٣٢٨).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٨٦٣).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ١٩٣).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ١٩٣).

(٥) انظر: روح المعاني (٢٥ / ١٢).

(٦) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٨٦١).

٢- فاصلة الآية: ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ من خلال ما تقدم من الآيات يتبين أن الله ﷻ عندما أمر نبيه ﷺ بتبليغ قومه بما يوحي إليه وتحدى العرب للقرآن، يبين ﷻ للناظرين افتراء وكذب المشركين وبيان بطلان ما هم عليه من الضلال والفساد، وبيان الحق في ابتغاء وجه الله في الأعمال وإخلاصها له وحده دون شريك له، فحذرهم ﷻ في آخرها بإبطال أعمالهم وعدم قبولها وأنهم سوف يجازون على ذلك، فكان التحذير لهم باستخدام الفعل المضارع (يبخسون - يعملون) الذي يفيد التجدد والاستمرار، وذلك تخويفا منه ﷻ لعباده بإبطال أعمالهم في الآخرة إذا لم يخلصوا له في النية، وفي هذا إشارة واضحة لهذه العلاقة^(١).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

تحدثت الآيتان الكريمتان عن الذين فضلوا الحياة الدنيا عن الآخرة، فمن كان يطلب الدنيا بأقواله الظاهرة وأعماله الحسنة للحصول على متاعها من مال وأولاد وجاه ومنصب وغير ذلك، دون الاستعداد للآخرة بالعمل الصالح والبر والإحسان والطاعات، فإن الله ﷻ يجازيه في الدنيا بالنعم عليه، لا ينقص من كسبه شيئاً، وفي الآخرة لا يحصل لهم إلا النار لأنهم لم يريدوا بأعمالهم الإخلاص لله ﷻ فيما اكتسبوا، وإنما الحصول على زخارف الدنيا، فأحبط الله أعمالهم في ميزان الآخرة، وذهب عنهم العمل الدنيوي، وبطل ثوابه في الآخرة جزاء نياتهم السيئة؛ لأن العمل الأخروي محصور بإرادة الله وفضله وإحسانه^(٢).

روى البخاري بسنده عن علقمة بن وقاص الليثي، يقول: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهَا)^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- اقتضى عدل الله ﷻ وحكمته أن من قصد الدنيا وحدها وأتى بعمل البر والخير كصدقة وصلة رحم وكلمة طيبة ونحو ذلك، يكافأ بها فقط بصحة الجسم، وكثرة الرزق، وما إلى ذلك من متاع الدنيا، لكن لا حسنة له في الآخرة، ويحرم من ثمرة عمله فيها، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]^(٤).

٢- إن أهل الرياء والسمعة يعطون بحسناتهم في الدنيا، حتى لا يظلموا شيئاً منها مهما قل، ويحرمون من الثواب الأخروي؛ لأن ثواب الجنة يكون بتزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح،

(١) انظر: تفسير أبو السعود (١٩٣/٤).

(٢) انظر: التفسير المنير (٣٨/١٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟، باب: بدء الوحي، رقم ١، (١/٦).

(٤) انظر: التفسير المنير (٣٩/١٢).

واجتتاب المعاصي، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وأما عمل أهل الدنيا فمقصود عليها وعلى مظاهرها وشهواتها^(١).

٣- ذهب أكثر العلماء إلى أن هذه الآية وأمثالها المذكورة مطلقة، تشمل المؤمن والكافر^(٢).

٤- إن العبد ينوي ويريد، والله سبحانه يحكم ما يريد.

٥- الخطاب للنبي ﷺ ولكل مؤمن أي: لا يشكّن مؤمن في أن القرآن حق وأن ما أخبر به عن الكافرين من أن مأوهم النار حق. وجزاء الكافر الخلود في النار، أما المؤمن فلا يخلد، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]^(٣).

٦- الإسلام يدعو إلى إثارة العمل للآخرة على عمل الدنيا، في النية والقصد، فإن قصد الدنيا والآخرة معاً كان ذلك مقبولاً شرعاً، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]^(٤).

٧- بيان سنة الله في الناس وهي أن أكثرهم لا يؤمنون قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]^(٥).

٨- على الكافرين، أن لا يحسبوا أن الكفر يوجب تعجيل العذاب فليوقظوا أنفسهم من هذا التوهم، كما قال تعالى: ﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الدِّينِ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]^(٦).

المطلب الخامس: شهادة القرآن الكريم والكتب السماوية على صدق محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (هود-١٧).

أولاً: معاني المفردات:

١- بَيِّنَةٌ: بين: الباء والياء والنون أصل واحد، وهو بعد الشيء وانكشافه، وهي بمعنى: اتضح.

(١) انظر: تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٢/ ١٤١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٠).

(٣) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٣٠).

(٤) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٦٣).

(٥) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٣١).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٢٣).

وأبان فهو بين ومبين. والبيان: (هو) الكشف عن الشيء.
وفلان أبين من فلان، أي: أفصح وأوضح كلاماً^(١).

٢- إِمَامًا: الإمام: كل من اقتدي به وقدم في الأمور. والنبى صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة،
والخليفة إمام الرعية، والقرآن إمام المسلمين. قال الخليل: الإمامة: النعمة^(٢).

٣- مِرْيَةٌ: مري: الميم والراء والحرف المعتل أصلان صحيحان يدل [أحدهما] على مسح شيء
واستدرار، والآخر على صلابة في شيء. وجمعها مِرْيَات/ مِرْيَات ومِرْي: وهى تأتي على وجهين:

أ - جَدَل "ما فيه مِرْيَة- هذا أمر متَّفِق عليه لا مِرْيَة فيه".

ب - شك " « فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ » [ق] ، الشك مِنْهُ من القرآن أو من الموعد^(٣).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: « أَفَمَنْ » إيراد الفاء بعد الهمزة لإنكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من
صفتهم وعدد من هناتهم كأنه قيل أبعء ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة
بينهم وبين من كان على أحسن ما يكون^(٤).

٢- قوله تعالى: « كِتَابُ مُوسَى » عطف على « شَاهِدٌ »، وقد فصل بين حرف العطف
والمعطوف بقوله: « وَمِنْ قَبْلِهِ » والمعنى: أن التوراة والإنجيل يتلوان محمداً ﷺ في التصديق^(٥).

٣- قوله تعالى: « أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ » تقديره: أفمن كان على بينة من ربه كأولئك الذين
ذكرت أعمالهم، وبين مصيرهم ومآلهم، وهما على رأيين؛ إما أن يكونوا كل من اتصف بهذه الصفة
الحميدة، فيدخل فيه دخولا أوليا المخاطبون بقوله تعالى فاعلموا فهل أنتم هو النبي ﷺ، وإما أن
يكونوا مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ﷺ وأمثاله، وهذا الاستفهام بمعنى التقرير^(٦).

٤- ذكر الله ﷻ بعد البينة أن لها شاهداً من الله تعالى: (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ)، أي يجيء شاهداً
من الله، فالضمير الأول في (يَتْلُوهُ) يعود إلى البينة، وعاد مذكراً؛ لأن البينة هي البرهان القاطع

(١) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٣٢٧)، مجمل اللغة لابن فارس (ص: ١٤١).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٢٨).

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٠٩١)، مقاييس اللغة (٥/ ٣١٤).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ١٩٥).

(٥) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٤٥٦).

(٦) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ١٩٥)، اللباب في علوم الكتاب

(١٠/ ٤٥٦).

الحاسم الذي تهدي إليه الفطرة، فعاد الضمير مذكراً للإشارة إلى أنها برهان بين واضح الدلالة على الوجدانية. والضمير الثاني في قوله (شَاهِدٌ) يعود على الله ﷻ أنه هداك وأيدك ونصرك^(١).

٥- واختير النهي على المربة دون النهي عن اعتقاد أنه كذب كما هو حال المشركين؛ لأن النهي عن الامتراء فيه يقتضي النهي عن الجزم بالكذب بالأولى، وفيه تعريض بأن ما فيه المشركون من اليقين بكذب القرآن أشد ذمًا وشناعة^(٢).

٦- قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ اسم الإشارة هنا، موجهه إلى المذكورين في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾. وقد استخدم القرآن الكريم، الاسم الموصول ﴿مَنْ﴾ بلفظه أولاً، فأفرد العائد إليه، ثم استخدمه بمعناه ثانياً، فجمع العائد إليه، وفي الأفراد، والجمع، إعجاز من إعجاز القرآن^(٣).

٧- ذكر الإمام الرازي القول في معنى ﴿شَاهِدٌ﴾^(٤):

أ- وهو الإعجاز بنظمه المطرد في كل مقدار سورة منه وقد تحدى الله ﷻ أهل الفصاحة والبلاغة في ذلك، في زمن وصلت فيه العرب أعلى المستويات من النظم، فعجزوا فأصبح هذا العجز شاهداً عليهم. وهذا وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله ﷻ ففي الكلام إشارة إلى حال رسول الله ﷺ والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلاً بعلم الله ﷻ بشهادة الإعجاز منه أي من القرآن غير خارج عنه أو من جهة الله ﷻ^(٥).

ب- ما وقع في بعض آياته من الإخبار بالغيب، والأخبار المستقبلية، والمعجزات الظاهرة على يدي رسول الله ﷻ فإن ذلك أيضاً من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته ﷻ.

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآية لما قبلها: تعلق الآية بما قبلها تعلقاً واضحاً، فبعد أن ذكر الله ﷻ من كان يريد الدنيا وزينتها ولا يهتم بالآخرة والأعمال التي توصل إليها، أعقب ذلك ذكر من كان يريد الآخرة ويعمل لها، ومعه شاهد يدل على صدقه وهو القرآن الكريم، كما استشهد على صدق ذلك بكتاب موسى ﷺ الذي أنزل من قبل القرآن، ثم أتبع ذلك بتحذير الأحزاب الذين تحزبوا لمحاربة هذه الدعوة، بمآلهم المحتوم إلى النار، ثم انطلق إلي مواساة النبي ﷺ وتثبيته^(٦).

(١) انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٦٨٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٣١).

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦/ ١١١٩).

(٤) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧/ ٣٣٠).

(٥) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧/ ٣٣٠).

(٦) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٦٧).

٢- فاصلة الآية: ﴿ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ ختم الله ﷺ الآية الكريمة بالحض على النظر الصحيح، الذي يؤدي إلى اليقين بين ما جاء به الرسول ﷺ وهو الحق الذي لا يشوبه باطل، فقال تعالى: ﴿...فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ فناسب ختم الآية بنفي الإيمان عنهم لانطماس بصائرهم، ولتقليدهم لأبائهم، ولإيثارهم الغي والضلال على الهدى والحق والرشاد^(١).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

أفمن كان على نور وبصيرة في دينه من ربه فيما يؤمن به، وهو محمد ﷺ وكل مؤمن تابعه على دينه ويؤيده نور غيبي يشهد بصحته، وهو القرآن المشرق بالنور والهدى، ويؤيده شاهد آخر جاء قبله، وهو الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على موسى -عليه السلام- حال كونه إماماً متبعاً في الهدى والتشريع، ورحمة لمن آمن به من بني إسرائيل، فهل من كان على هذه الأوصاف، كمن يريد الحياة الدنيا الفانية، أولئك يصدّقون بهذا القرآن ويعملون بأحكامه، ومن يكفر بهذا القرآن من الذين تحزّبوا على رسول الله ﷺ فجزاؤه النار، فلا تكن، أيها المؤمن، في شك من أمر هذا القرآن، فإنه الحق الذي لا يأتيه الباطل ولا يعتريه خلل، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بالإيمان الكامل^(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- ولا يستوي إطلاقاً من أثر الدنيا الفانية وزينتها الموقوتة على الآخرة الباقية الخالدة، ومن تبين الرشد والصواب بالفطرة والعقل، واهتدى بنور الوحي الإلهي فهو الذي يؤثر الآخرة على الدنيا^(٣).
- ٢- اليهود والنصارى المؤمنون بحق يؤمنون بما في التوراة والإنجيل من البشارة بالنبي محمد ﷺ، وأما غير المؤمنين بحق، المتأخرون منهم أو من غيرهم، فهم الذين موعدهم النار، فمن يكفر بالقرآن أو بالنبي ﷺ، من أهل الملل كلها أو أهل الأديان كلها، فهو من أهل النار خالداً فيها قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]^(٤).
- ٣- القرآن الكريم حق ثابت من عند الله ﷻ، فلا يشك أحد بذلك، وليبادر إلى الإيمان والتصديق بما جاء فيه، ولكن مع الأسف أكثر الناس لا يؤمنون به.
- ٥- بيان سنة الله ﷻ في أحوال الناس، وهي أن أكثرهم لا يؤمنون، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]^(٥).

(١) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٥١٩).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣١١).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢/ ٤٢).

(٤) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٣١).

(٥) انظر: تفسير الشعراوي (١٠/ ٦٣٩٥).

المبحث الرابع

الكافرون والمؤمنون وجزاء أعمال كل منهم

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (١٨ - ٢٤)

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الكاذبون الظالمون وجزاء أعمالهم.
- المطلب الثاني: أكثر الناس خسارة يوم القيامة الذين يصدون عن سبيل الله.
- المطلب الثالث: لاتساوي بين المؤمنين والكافرين

المبحث الرابع

الكافرون والمؤمنون وجزاء أعمال كل منهم

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (١٨ - ٢٤)

بعد أن بيّن ﷺ فيما سبق أن الناس فريقان: فريق يريد الدنيا وزينتها، وفريق على بينة من ربه، أتبع ذلك بيان حال كل من الفريقين في الدنيا وما يكون عليه في الآخرة.

المطلب الأول: الكاذبون الظالمون وجزاء أعمالهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨].
أولاً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ... ﴾ من استفهام بمعنى التقرير، كأنه قال: لا أحد أظلم ممن افتري كذباً، والمراد بـ ﴿ مَنْ ﴾ الكفرة الذين يدعون مع الله إلهاً آخر ويفترون في غير ما جاء به الرسول ﷺ من ربه^(١).

٢- عطف جملة ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى ﴾ على جملة ﴿ ... وَمَنْ يَكْفُرُ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَإِنَّهُ مَوْعِدُهُ... ﴾ لبيان استحقاقهم النار على كفرهم بالقرآن الكريم؛ لأنهم كفروا به افتراءً على الله ﷻ، إذ نسبوا القرآن إلى غير من أنزله، وزعموا أن الرسول ﷺ افتراه، فكانوا بالغين غاية الظلم، حتى لقد سأل عن وجود فريق أظلم منهم سؤال إنكار يؤول إلى معنى النفي، أي لا أحد أظلم منهم^(٢).

٣- روى الإمام الطبري في تفسيره " قوله: ﴿ ... وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ... ﴾، يعني الأنبياء والرسول عليهم السلام- وهو قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾ [سورة النحل: ٨٩] قال: وقوله: ﴿ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ ﴾، يقولون: يا ربنا آتيناهم بالحق فكذبوا، فنحن نشهد عليهم أنهم كذبوا عليك يا ربنا^(٣).

٤- عطف فعل ﴿ وَيَقُولُ ﴾ على فعل ﴿ يُعْرَضُونَ ﴾، فهو عطف على جزء الجملة السابقة وهو هنا ابتداء عطف جملة على جملة فكلا الفعلين مقصود بالإخبار عن اسم الإشارة ﴿ هَؤُلَاءِ ﴾^(٤).

(١) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٣٨٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٣٢).

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان (١٥/ ٢٨٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٣٣).

٥- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ المقصود من إعلان هذه الصفة التشهير والخزي لا إثبات كذبهم؛ لأن إثبات ذلك حاصل في صحف أعمالهم، ولذلك لم يسند العرض إلى أعمالهم وأسند إلى ذواتهم في قوله: ﴿ أولئك يعرضون على ربهم ﴾^(١).

٦- قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ أداة الاستفتاح ﴿ أَلَا ﴾ لتأكيد الدعاء عليهم بالطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى، وذلك بسبب افتراءهم الكذب، وافتتاحها بحرف التنبيه يناسب مقام التشهير، والخبر مستعمل في الدعاء خزيًا وتحقيرًا لهم، وهذا يؤيد أنه من قول الأشهاد^(٢).

ثانياً: المناسبات:

١- مناسبة الآية لما سبق: بعد أن تحدثت الآيات عن فريقين من الناس: وهما الذي يريد الدنيا وزينتها، والذي يريد الآخرة ونعيمها، أوضح حال كل من الفريقين في الدنيا والآخرة، أما وقد علم حال ومصير أهل الجنة، وما سيكون لهم من النعيم المقيم، وكل ما وعدوا به، جاء دور أهل النار، فجاءت هذه الآية تبين السبب الذي أدخلوا بسببه النار، ألا وهو الظلم والافتراء على الله ﷻ، وهذا من أشد أنواع الظلم، فهؤلاء سيعرضون على الله ﷻ وسوف يثبت عليهم ما فعلوا وما قالوا في هذه الحياة الدنيا بالشهود الذين سوف يقرون ذلك على الظالمين وعندئذ يطردون من رحمة الله تعالى جزاء صنيعهم^(٣).

٢- فاصلة الآية: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ وصف الله ﷻ الذي يفترى الكذب عليه أنه من أظلم الناس، فهؤلاء سوف يعرضون على الله ﷻ ليشهد عليهم كل من شاهد أعمالهم، فناسب أن يكون جزاء الافتراء الطرد من رحمة الله تعالى وتعليل ذلك الطرد بسبب افتراءهم وظلمهم.

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

يبين تعالى حال المفترين عليه ممن اختلقوا عليه كذباً، وكذبوه فضيحتهم في الدار الآخرة على رؤوس الأشهاد من الخلائق جميعاً، فهؤلاء سيعرضون على ربهم يوم القيامة؛ ليحاسبهم على أعمالهم، ويقول الأشهاد من الملائكة والنبیین-عليهم السلام- وغيرهم: هؤلاء الذين كذبوا وافتروا على ربهم في الدنيا، قد سخط الله ﷻ عليهم، ولعنهم لعنة لا تتقطع؛ ولعنة الله ﷻ تطردهم من رحمته؛ لأن ظلمهم صار وصفاً ملازماً لهم، لأنه من أقوى مراتب الظلم^(٤).

(١) انظر: تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ٤٧٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٣٤/١٢).

(٣) انظر: التفسير المنير (٤٥/١٢).

(٤) انظر: تفسير الخازن (٢٢٥/٣).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- الذين افتروا على الله ﷻ الكذب؛ هم أكثر الناس ظلماً لأنفسهم لأنهم نسبوا كلام الله ﷻ إلى غيره، وزعموا أن له شريكاً وولداً، وقالوا للأصنام: هؤلاء شفاعونا عند الله^(١).
- ٢- المراد من الآية هو الرد على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام شفاعوهم عند الله، وهذا محض الافتراء على الله ﷻ، وهو داخل تحت عموم وعيد المفتريين على الله ﷻ.
- ٣- ينادى الكفار والمنافقون على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله، ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، أي بعده وسخطه وطرده من رحمته على الذين وضعوا العبادة لغير موضعها.
- ٤- الأشهاد جمع له مفرد، هو «شاهد»، ومرة يكون المفرد «شاهد» وهم:
أ- الملائكة؛ لأن الحق سبحانه يقول: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦]، كذلك ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

- ب- وشهود من الأنبياء-عليهم السلام- الذين بلغوهم منهج الله ﷻ؛ لأن الحق سبحانه يقول: ﴿كَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].
- ت- أيضاً الشهيد على هؤلاء هو المؤمن من أمة محمد ﷺ، فيبلغها إلى غيره، مصداقاً لقول الحق ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]^(٢).
- ث- ومن بين الشهود الذين يشهدون على الخلق أعضاء جسم الإنسان، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

المطلب الثاني: أكثر الناس خسارة يوم القيامة الذين يصدون عن سبيل الله. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانْ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ١٩ - ٢٢].

أولاً: معاني المفردات:

جَرَمَ: (جرم) الجيم والراء والميم أصل واحد يرجع إليه الفروع. فالجرم القطع. ويقال لصرام النخل

(١) التفسير المنير (١٢ / ٤٩).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١٠ / ٦٤٠٢).

الجرام^(١). وهي الذنب.

روى البخاري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنهما - عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُزْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ، فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ)^(٢).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- المقصود بقوله تعالى في ضمير المؤنث: ﴿يَبْغُوهَا﴾ عائد إلى سبيل الله ﷻ؛ لأن السبيل يجوز اعتباره مؤنثاً.

٢- قوله تعالى: ﴿هُم كَافِرُونَ﴾ فيه زيادة الضمير، وهو توكيد يفيد تقوي الحكم؛ لأن المقام هنا مقام تسجيل إنكارهم البعث، وتقريره إشعاراً بما يترقبهم من العقاب المناسب^(٣).

٣- أن مقارنة ﴿مُعْجِزِينَ﴾ بـ ﴿الْأَرْضِ﴾ جرى مجرى المثل في القرآن^(٤).

٤- في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾، المراد بالأولياء هم الأنصار، أي ما لهم ناصر ينصرهم من دون الله ﷻ. ويمكن أن يراد بالأولياء الأصنام التي تولوها، أي أخلصوا لها المحبة والعبادة، وجمع لهم سببي النجاة من عذاب القادر وهما المكان الذي لا يصل إليه القادر، أو معارضة قادر آخر يمنعه من تسليط عقابه، وجود من في السياق لاستغراق النفي^(٥).

٥- الاستعارة التصريحية التبعية: في قوله تعالى ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ أي أنهم كانوا يستنقلون سماع الحق الذي جاء به الرسول ﷺ ويستكروهونه إلى أقصى الغايات، حتى كأنهم لا يستطيعونه، وهو نظير قول القائل: العاشق لا يستطيع أن يسمع كلام العاذل^(٦).

٦- قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ بالغ الحق ﷻ في نفي السمع عنهم واكتفى بنفي الإبصار، وكأن الجملة جواب سؤال مقدر عن علة مضاعفة العذاب كأنه قيل: ما لهم استوجبوا تلك المضاعفة؟ فقيل: لأنهم كرهوا الحق أشد الكراهة واستنقلوا سماعه أعظم الاستنقال وتعاموا عن آيات الملك القهار المتعال^(٧).

(١) مقاييس اللغة (١/ ٤٤٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، رقم (٧٢٨٩)، (٩/ ٩٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٣٤).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٣٤).

(٥) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٢٣٢).

(٦) انظر: الجدول في إعراب القرآن (١٢/ ٢٤٣).

(٧) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٢٣٣).

٧- الإتيان بأفعال الكون في آية واحدة أربع مرات ابتداء من قوله: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ...﴾ إلى قوله... ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ لإفادة ما يدل عليه فعل الكون من تمكن الحدث المخبر به فقوله: ﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ أكد من: لا يعجزون وكذلك أخواته.

والاختلاف بين صيغ أفعال الكون إذ جاء أولها بصيغة المضارع والثلاثة بعده بصيغة الماضي؛ لأن المضارع المجزوم بحرف (لم) له معنى المضي فليس المخالفة منها إلا تفننا^(١).
٨- كلمة (الأخسر) جمع «أخسر» وهي أفعال تفضيل لخاسر، وخاسر اسم فاعل مأخوذ من الخسارة، والخسارة في الدنيا موقوتة بالدنيا، لكن خسارة الآخرة لا نهاية لها، وهو خسران محيط يستوعب كل الأمكنة^(٢).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآيات لما سبق: بعد أن تحدث القرآن الكريم عن فريقين الناس: وهما الذي يريد الدنيا وزينتها، والذي يريد الآخرة، أبان حال كل من الفريقين في الدنيا والآخرة، حيث كان القصد من آية من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ذم الحريصين على الدنيا ونسيان الآخرة، والقصد من آية أفمن كان على بينة من ربه الرد على منكري نبوة الرسول ﷺ والطعن في معجزاته، وأما المراد من آية ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً فهو الرد على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام شفعاؤهم عند الله، وهذا محض الافتراء على الله ﷻ، وهو داخل تحت عموم وعيد المفترين على الله ﷻ^(٣).

٢- فاصلة الآية: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ إلى قوله... ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ إن علاقة الفاصلة مع موضوع الآية وثيقة، حيث إن الآية تحدثت عن قدرة الله ﷻ في المعاندين لرسوله ﷻ الجاحدين لآياته، ناسب أن يختم الآية بنفي السمع والبصر عنهم رغم وجودهما؛ لأنهم لم يستمعوا لبلاغ الرسول ﷻ ولا إلى أعمال أبصارهم في الكون ليروا آيات الله ﷻ نظر تأمل وتفكر، بل كانوا يبصرون ولكن غير كاف للتأمل والتدبر، ولكن يترتب عليهم السماع للرسول ﷻ وفي هذا إشارة واضحة للعلاقة بين فاصلة الآية وموضوعها^(٤).

٣- أما علاقة الآيات بالآية السابقة: علاقة وطيدة فالآيتان شارحتان لأحوال الكفار وقررتا مآلهم ومصيرهم المحتوم. رابعاً:

التفسير الإجمالي:

ينبه الحق ﷻ على عظيم قدرته في الذين كذبوا رسوله ﷻ، وفي تحديهم للقرآن الكريم

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٣٧).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١٠ / ٦٤١٨).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٤٥).

(٤) انظر: أبو السعود (٤ / ١٩٧).

وعجزهم أمامه، فهؤلاء الظالمون لم يعجزوا الله بهربهم منه في الأرض، فإذا أراد عقابهم فهم في قبضته، وهو قادر على الانتقام منهم فلا يقدرون على الهرب منه، فلا ينفعهم أحدٌ ولا يستطيع نصرهم من دون الله ﷻ، ولكن يؤخر عقوبتهم وعقابهم إلى يوم القيامة فيضاعف لهم العذاب، لأنه خلق لهم السمع والأبصار والأفئدة فلم ينتفعوا بها فبقوا صماً عن سماع الحق وعمياً عن اتباعه^(١).

الموصوفون بالأوصاف السابقة خسرو أنفسهم لأنهم أدخلوا نارا حامية يتزايد سعيرها، لا موت ولا حياة فيها، وذهب عنهم الذي كانوا يفترونه من دون الله من الأنداد والأصنام، فلم تجد عنهم شيئاً، بل ضررتهم كل الضرر، لا بد حقا إنهم في الآخرة أخسر الناس صفقة؛ لأنهم استبدلوا بنعيم الجنان ودرجاتها عذاب جهنم ودرجاتها^(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- الظالمون وغيرهم لا يعجزون الله ﷻ بعقابهم في الدنيا، ولا يقدرون على الإفلات من سلطان الله وقدرته وخسف الأرض بهم، وليس لهم أنصار ينصرونهم من دون الله ﷻ، وعقابهم مضاعف على قدر كفرهم ومعاصيهم بسبب إضلالهم غيرهم، وبسبب تعطيلهم قدرات السمع والبصر الذي منحهم الله ﷻ إياها في استماع الحق وإبصار^(٣).
- ٢- عظم ذنب من يريد إخضاع الشريعة الإسلامية لهواه وشهوته بالتأويلات الباطلة والفتاوى غير المسؤولة ممن باعوا آخرتهم بديانهم^(٤).
- ٣- هؤلاء الظالمين خسرو أنفسهم وضاع عنهم افتراؤهم، وتبدد كل ما تعلقوا به من آمال خاسرة، وهم حقا في الآخرة أخسر الناس صفقة لاستبدالهم بنعيم الجنة بعذاب جهنم^(٥).

(١) انظر: أيسر التفاسير (٥٣٢/).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٦٣).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢/ ٥٠).

(٤) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٣٣).

(٥) انظر: تفسير الشعراوي (١٠/ ٦٤١٧).

المطلب الثالث: لا تساوي على الإطلاق بين المؤمنين والكافرين.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ [هود: ٢٣، ٢٤].

أولاً: معاني المفردات:

*أَخْبَتُوا: من (خَبَّتْ) فقد جاء أن الخَبَّتْ: المطمئن من الأرض فيه رمل. من المجاز: (أخبت) الرجل لله: إذا (خشع وتواضع)، وهو يصلي بخشوع وإخبات، وخضوع وإنصات. وقلبه مخبت. والإخبات، الخشوع. يقال: أَخْبَتَ لِلَّهِ. وفيه خَبْنَةٌ، أي تواضع وهذا ما يقتضيه السياق^(١).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ ﴾ تشبيه تمثيلي أي مثل فريق المسلمين كالبصير والسميع ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم وقد زادت الآية على جميع أمثلة التشبيه التمثيلي بتشبيه اثنين بأربعة كما هو واضح فقد شبهت كل واحد من الكافر والمؤمن تشبيهين.

هذا ولو جاءت الآية على وجه الطباق خلاف نظمها بأن يقال: كالأعمى والبصير والأصم والسميع لفسد المعنى وإن حصل الطباق في اللفظ لأنه سبحانه قسم المشبه به الى قسمين كالمشبه لأنه قسمان مبتلى ومعافى وضاد بينهما ليصح السؤال بينهما على قصد التوبيخ^(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ ﴾ تشبيه مرسل مجمل لوجود أداة التشبيه وحذف وجه الشبه، أي مثل الفريق الكافر كالأعمى والأصم في عدم البصر والسمع، ومثل الفريق المؤمن كالسميع والبصير. والخاصة: إن الله ﷻ وصف السعداء أهل الجنة بصفات تناسب أعمالهم ونواياهم، كما وصف الكفار بصفاتهم أيضاً^(٣).

٣- قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ في هذه الجملة استفهام المراد منه الإنكار: يعني الفريقين، وهذه الجملة مقررلة لما تقدم من قوله: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [هود: ١٧] وانتصاب مثلاً أي: هل يستويان حالاً وصفة أفلا تذكرون في عدم استوائهما وفيما بينهما من التفاوت الظاهر الذي لا يخفى على من له تذكر، وعنده تفكر وتأمل، والهزمة لإنكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين^(٤).

(١) انظر: تاج العروس (٤/ ٥٠٣)، منتخب من صحاح الجوهري (ص: ١١٩٠).

(٢) انظر: إعراب القرآن وبيانه (٤/ ٣٣٤).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢/ ٤٤).

(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٥٨).

٤- قوله تعالى: ﴿ وَأَخْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ فيه تنبيه بالأدنى على الأعلى؛ لأنهم إذا تضرعوا إليه مع استحضارهم رحمته ورأفته عليهم فأحرى مع استحضارهم قهره وعذابه^(١).

٥- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبِئُوا ﴾ وصف للمؤمنين بأنهم مخبتون لما في معنى هذه الكلمة، من جمال في التعبير أطلق على اطمئنان النفس، والخشوع تشبيها للمعقول بالمحسوس ثم صار حقيقة فيه^(٢).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآيتين لما سبق: هناك علاقة وثيقة بين الآيات السابقة وبين هاتين الآيتين، حيث المقابلة، فنجد أن الحق ﷻ عرض حال الفريقين: الفريق الذي ظلم نفسه بافتراء الكذب وعلى الله، وصدوا عن سبيل الله، وابتغوا الأمر عوجاً، هؤلاء لن يُعجزوا الله، وليس لهم أولياء يحمونهم من العذاب المضاعف، وهم الذين خسروا أنفسهم، ولن يجدوا عوناً من الآلهة التي عبدوها من دون الله، ولا شيء بقادر على أن يفصل بينهم وبين العذاب، وهم الأخسرون.

أما الفريق الثاني فهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات بخشوع وخشية ومحبة لله ﷻ، وهم أصحاب الجنة الخالدون فيها. لذلك فلكل فريق له مسلكه وغايته^(٣).

٢- فاصلة الآية: ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ بدأت هذه الآية بصفات طائفة من الناس بأنهم آمنوا بالله ﷻ وأتبعوا هذا الإيمان من مختلف الأعمال الصالحات، وخشعوا وتواضعوا لله ﷻ، فناسب أن يكون لهم جزاء على ذلك العمل، فكان من أنسب الجزاء الخلود في الجنة أبداً.

٣- فاصلة الآية: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾، ضرب الله ﷻ مثلاً للكافرين بمن هو أعمى لا يبصر ما حوله، ولا يكفيه ذلك بل لا يسمع شيء، وأتى بما يقابله من المؤمنين؛ الذي يرى ويشاهد كل ما حوله ويسمع ما يدور حوله، ناسب أن تختتم هذه الآية بالدعوة إلى التذكير من هو الذي على صواب من الفريقين وذلك للتنبيه ولفت أنظار الكافرين لما هم عليه من الضلال.

لذلك كانت فاصلة الآية قوله ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ولم يقل ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾؛ للإيدان بظهور الأمر وأنه كالمعلوم يحتاج من هؤلاء الكافرين إلى مجرد التفات وإخطار بالبال، فهي بديهية لا تقتضي التفكير، كما تدعو المشركين إلى وجوب التفكير في تلك الدلائل القاهرة الباهرة، حتى يتركوا ما هم عليه من الضلال والفساد ويخلصوا العبادة لله وحده، وهذا مما يدل على علاقة الفاصلة بموضوع الآية^(٤).

(١) انظر: تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة (٢/ ٣٥٦).

(٢) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٢٣٤).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١٠/ ٦٤٢٤).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٤٦٥)، التفسير المنير (١٢/ ٤٩).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

بعد أن ذكر ﷺ حال الأشقياء أعقبه بذكر السعداء، وهم الذين آمنوا بالله ﷻ ورسوله ﷺ، وعملوا في الدنيا الأعمال الصالحة، فأمنت قلوبهم، وثابروا على الطاعات وترك المنكرات، وخشعوا لله وأنابوا إليه، فلهم جنات العلى ذات النعم التي لا تعد ولا تحصى وهم مخلدون فيها، ماكنون فيها على الدوام. ثم ضرب الله ﷻ مثلاً للكافرين والمؤمنين فشبّه الكافرين بأهل الشقاء والعذاب؛ لأن حالهم يشبه حال الأعمى الذي يقف في وجه الحق ويصده من الانتشار في الدنيا، وكالأصم الذي يقف أمام الخير في الآخرة لا يهتدي به لإعراضه عن الحجج والبراهين فلا ينتفعون بها، أما فريق المؤمنين ففطن ذكى ينتفع بما أنعم الله عليه، فهو بصير بالحق، متبع له، تارك للشر، فهو يميز بينه وبين الباطل، فهل يستوي الفريقان فريق الضلال وفريق التوحيد؟ فالجواب: لا، ﴿أفلا تذكرون﴾ أي أفلا تعتبرون وتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء وتبتعدون عن الكفر والضلال^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- استحسان المقارنات بين الأشياء المتضادة للعبارة والعظة.
- ٢- المؤمنون المصدقون بالله ورسوله، العاملون الصالحات، الخاشعون الخاضعون المنيبون لربهم، هم أصحاب الجنة الماكنون فيها أبداً^(٢).
- ٣- لا تساوي إطلاقاً بين المؤمنين والكافرين، كما لا تساوي بين الأعمى والبصير، ولا بين الأصم والسميع، أفلا تنظرون في الوصفين وتتعضون وتعتبرون؟^(٣).
- ٤- الكافر ميت موتاً معنوياً لذا هو لا يسمع ولا يبصر، والمسلم حيٌ ولذا هو سميع بصير.
- ٥- "بيان ورثة دار النعيم وهم أهل الإيمان والطاعة، وورثة دار الخسران وهم أهل الكفر والظلم"^(٤).
- ٦- جاء الحق ﷻ بالأشياء المتناقضة، ليحكم الإنسان السامع أو القارئ لهذه الآية، وليفصل بحكم يذكره بالفارق بين الذي يرى ومن هو أعمى، وكذلك بين من يسمع ومن هو أصم، ومن الطبيعي ألا يستويان^(٥).
- ٧- من منهج القرآن ذكر المقارنة بين الفريقين الأعمى والبصير؛ ذلك لأخذ العبر والعظات.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣١٥/٤).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (١٨٦٨ / ٤).

(٣) انظر: التفسير المنير (٤٤ / ١٢).

(٤) أيسر التفاسير للجزائري (٥٣٥ / ٢).

(٥) انظر: تفسير الشعراوي (٦٤٢٣ / ١٠).

الفصل الثاني

العبر والعظات المستفادة من قصة نوح عليه السلام

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٢٥ - ٤٩).

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: قصة نوح عليه السلام
- المبحث الثاني: استعجال قوم نوح عليه السلام العذاب ويأسه منهم
- المبحث الثالث: يأس نوح عليه السلام من قومه وصنعه السفينة
- المبحث الرابع: انتهاء الطوفان ونجاة نوح عليه السلام ومن معه وهلاك ابنه وقومه

المبحث الأول

قصة نوح عليه السلام

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٢٥ - ٣١)

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: نوح عليه السلام يأمر قومه بعبادة الله وحده.
- المطلب الثاني: عليّة القوم يكذبون نوح عليه السلام.
- المطلب الثالث: مجادلة نوح عليه السلام لقومه وإقامة الحجة عليهم.
- المطلب الرابع: حقيقة النبي ليس ملكاً ولا يعلم الغيب وليس عنده خزائن الله.

المبحث الأول

قصة نوح عليه السلام

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٢٥ - ٣١)

أرسل الله ﷻ نوحاً عليه السلام إلى قومه حيث كانوا يعبدون أصناماً لهم فدعاهم إلى التوحيد وعبادة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت: ١٤]، دعاهم سراً وجهراً ليلاً ونهاراً، فأبوا ورفضوا دينه، فأمره الله ﷻ بصنع السفينة، وأخذ من آمن معه فيها، وما آمن معه إلا قليل، ولما علم نوح أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن؛ دعا عليهم، فأغرقهم الله ﷻ بالطوفان، وقد كان ابنه منهم، ونحى الله ﷻ نوحاً عليه السلام ومن آمن معه، وهم أقلية.

المطلب الأول: نوح عليه السلام يأمر قومه بعبادة الله ﷻ وحده.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴾ [هود: ٢٥، ٢٦].

أولاً: وجوه البلاغة:

- ١- في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ الواو ابتدائية، واللام واقعة في جواب قسم محذوف، ويقدر حرفه ياء لا واو، وإن كان هو الشائع لثلاثاً يجتمع واوان^(١).
- ٢- في قوله تعالى: ﴿ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أنه نذير للعصاة من العقاب وأنه مبين بمعنى أنه بين ذلك الإنذار على الطريق الأكمل والبيان الأقوى الأظهر^(٢).
- ٣- قوله تعالى: ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ بدل من قوله: ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾، ثم إنه أكد ذلك بقوله: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴾، والمعنى أنه لما حصل الألم العظيم في ذلك اليوم أسند الألم الذي يلقاه يوم القيامة إلى اليوم، كقولهم نهارك صائم، وليلك قائم^(٣).
- ٤- نجد الحق ﷻ يحزن قلوب الرسل-عليهم السلام- إلى أقوامهم لعلمهم يحسنون استقبال الرسول ﷺ ذلك في قوله: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴾، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف: ٦٥]؛ فالرسول أخ لهم فلن يغشهم أو يخذعهم وهو لهم ناصح أمين^(٤).

(١) انظر: تفسير الألويسي = روح المعاني (٦ / ٢٣٦).

(٢) انظر: فتح القدير (٢ / ٧١٠).

(٣) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧ / ٣٣٦).

٥- قوله تعالى: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ ذكر عذاب هنا نكرة في المعنى، لأنه أضيف إلى نكرة فكان محتملاً لعذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

٦- وجعل "الأليم" من صفة "اليوم" وهو في الحقيقة من صفة "العذاب"، إذ كان العذاب فيه، أي المؤلم على الإسناد المجازي، لأن المؤلم هو الله ﷻ نزل الظرف منزلة الفاعل نفسه لكثرة وقوع الفعل فيه، فجعل كأنه وقع الفعل منه، وكذا وصف العذاب بذلك في غير موضع من القرآن العظيم ويمكن اعتباره هنا أيضاً، وجعل الجر للجوار، ووجه التجوز حينئذ أنه جعل وصف الشيء لقوة تلبسه به كأنه عينه فأسند إليه ما يسند إلى الفاعل كما قيل: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، وإنما "السكن" من صفة ما سكن فيه دون الليل^(٢).

٧- المعلل به النهي من جملة المقول في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾، وهو إنذار خاص، فيكون ذلك بعضاً له أو كلا على الادعاء، والظاهر أن المراد - باليوم - يوم القيامة، وجوز أن يكون يوم الطوفان، ووصفه - بالأليم^(٣).

ثانياً: المناسبات:

١- مناسبة الآيات لما سبق: لما ذكر ﷺ عناد الكافرين من أهل مكة، وتكذيبهم لرسول الله ﷺ واتهامهم له بافتراء القرآن، ذكر هنا قصة نوح ﷺ مع قومه الكافرين لتكون كالعظة، والعبرة لمن كذب وعاند، ولتسلية الرسول ﷺ بسرد قصص المرسلين وما جرى لهم مع أقوامهم^(٤).

٢- فاصلة الآية: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ جاءت هذه الفاصلة في سياق الحديث عن قصة نوح ﷺ مع قومه، وهو أقوى في تحديد هدف الرسالة التي جاء بها، وإبرازه في وجدان السامعين^(٥).

يبين ﷺ في هذه الآية أنه أرسل نوحاً ﷺ بالدين الحق، لينذر الكافرين من قومه بعذاب الله ﷻ وعقابه إذا أشركوا معه غيره في العبادة، واقتصر على استخدام الإنذار دون التبشير؛ لأن دعوته كانت لمجرد الإنذار أو لكونهم لم يعملوا بما بشرهم به، وجملة ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ تعليلية بمعنى نهيتكم عن عبادة غير الله ﷻ لأنني أخاف عليكم، وفيها تحقيق لمعنى الإنذار في الآية السابقة واليوم الأليم، لذلك يظهر لنا مدى ارتباط فاصلة الآية بموضوعها ارتباطاً وثيقاً، حيث بين ﷺ وظيفة رسوله ﷺ وهي إنذار المشركين ووصف أحوالهم، فضلوا عن الحق

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١٠/٦٤٢٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥/٢٩٤).

(٣) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/٢٣٦).

(٤) انظر: صفوة التفاسير (٢/١٠).

(٥) انظر: في ظلال القرآن (٤/٥٣٨).

والهدى، فناسب أن يختم الآية بأنه أرسل رسوله إلى قومه؛ ليلبغهم أمر ربهم، وليعظهم بما أصاب المكذبين من قبلهم من المصائب ليرغبهم في طاعته، ويحذرهم من عقابه، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ بما لاقاه الرسل ﷺ قبله من أقوامهم^(١).

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

يخبر الله تعالى عن نوح ﷺ، فقد أرسله الله ﷻ إلى قومه المشركين عبدة الأصنام فقال لقومه: ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي نذير من الله إليكم، أنذركم عذابه وبأسه إن أشركتم به، فلا تعبدوا غيره، فأمنوا برسوله وأطيعوه فيما يأمركم به، فإني أخاف عليكم وقوع العذاب الشديد بكم يوم القيامة، فإذا ما وقع هذا العذاب؛ ما لكم من ولي ولا نصير إلا الله ﷻ^(٢).

رابعاً: المقاصد والأهداف:

- ١- إن نوحاً ﷺ واسمه عبد الغفار أول رسول إلى أهل الأرض، بعد أن أشركوا بربهم وعبدوا غيره من الأوثان والآلهة الباطلة^(٣).
- ٢- دعا نوح ﷺ قومه كدعوة سائر الأنبياء-عليهم السلام- إلى عبادة الله ﷻ وإطاعته وحده لا شريك له، وترك عبادة الأصنام فهي كسائر دعوات الأنبياء-عليهم السلام- لأقوامهم^(٤).
- ٣- الاستمرار على الكفر أو عبادة الأصنام يوجب العذاب الأليم الموجع الشاق في الدار الآخرة.
- ٤- قوله تعالى: ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ هو معنى لا إله إلا الله، وهذا معنى التوحيد الذي اشترك به جميع الأنبياء والمرسلين-عليهم السلام-؛ ليلبغوا به دين الله ﷻ^(٥).
- ٥- التذكير بعذاب يوم القيامة، حتى يزرع الحزن في قلوب قومه.

خامساً: القراءات:

اختلف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿ إِنِّي ﴾ على وجهين.
أ-قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة: ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ بكسر همزة إن^(٦).

(١) انظر: فتح القدير (٢/٧١٢).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٣١٦)، والتفسير المنير (١٢/٥٥).

(٣) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/٥٣٧).

(٤) انظر: التفسير المنير (١٢/٥٨).

(٥) انظر: في ظلال القرآن (٤/١٨٧١).

(٦) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥/٢٩٣).

وقد ذكر الإمام الشعراوي إيضاحاً لهذه القراءات فقال: "أما في القراءة بالكسر فتعني أن نوحاً عليه السلام قد جاء بالرسالة فبلغ قومه وقال: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾. والقراءة الأولى فيها حذف القول، وحذف القول كثير في القرآن.

ب- قرأ باقي القراء بفتحها ﴿أَنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، وعلى هذه القراءة تعني أن الرسالة هي: ﴿أَنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

فكأن القراءة الأولى تعني الرواية عن قصة البلاغ، والقراءة الثانية تحدد مضمون الرسالة: ﴿أَنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(١).

المطلب الثاني: عليّة القوم يكذبون نوح عليه السلام

قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (هود ٢٧).

أولاً: معاني المفردات:

١- الْمَلَأُ: دل على المساواة والكمال في الشيء. وملأت الشيء أملؤه ملئاً، والملء: الاسم للمقدار الذي يملأ؛ وسمي لأنه مساو لوعائه في قدره، ويقال: أعطني ملاءه وملأه ثلاثه أملائه، ومنه الملاء: الأشراف من الناس، لأنهم ملئوا كرمًا^(٢).

٢- أَرَادْنَا: من رذل الشيء بالضم رذالة ورذولة بمعنى ردؤ فهو رذل والجمع أرذل ثم يجمع على أرذال مثل: كلب وأكلب وأكالب والأنثى رذلة، والرذال بالضم والرذالة بمعناه وهو الذي انتقي جیده وبقي أرذله^(٣). (الأرذل) الدون الخسيس أو الرديء من كل شيء^(٤).

٣- بِأَدْيِ: من بادی بدا وبادی بُد وبادی بدي وهو أول الشيء^(٥).

وقد ذكر أن ﴿بَادِي الرَّأْيِ﴾ لها معنيان:

أحدهما: اتبعك في ظاهر أمرهم، وعسى أن بواطنهم ليست معك.

والثاني: اتبعوك بأول نَظَرٍ، وبالرأي البادي، دون تثبُّت.

(١) تفسير الشعراوي (١٠ / ٦٤٢٦).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٥ / ٣٤٦).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١ / ٢٢٥).

(٤) تاج العروس (٢٩ / ٦٦).

(٥) المعجم الوسيط (١ / ٤٥).

ويحتملُ أن يكون قولهم: **بَادِيَ الرَّأْيِ** وصفاً منهم لنوحٍ عليه السلام، أي: تدَّعي عظيمًا وأنتَ مكشوفُ الرأْيِ، لا حَصَافَةَ لك^(١).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- في قوله تعالى: **﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِبَادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى ﴾**، الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين. فالفعلان من رؤية العين، وقد ذكر في كتاب لسان العرب أن "الرؤية النظر بالعين والقلب"^(٢).

٢- بعد أن أوضحت الآيات السابقة عن هدف نوح عليه السلام من قومه، أجابوه عن مقالته بأربع حجج داحضة ظنا منهم أنها تكفي في رد دعوته^(٣).

أ- إن الأشراف والزعماء بادروا إلى الجواب بقولهم: ما أنت إلا بشر مثلنا في الجنس لا مزية لك علينا تجعلنا نطيعك، ونذعن لنبوتك.

ب- وإنا لم نر متبِعِك إلا الأخصاء كالزراع والصناع ومن في حكمهم في المكانة الاجتماعية، بادى الرأْي قبل التأمل في عواقبه، والنظر في مستنده، وترجيح العقل له، وهذا مما يرجح رد الدعوة والتولي عنها^(٤).

ت- وما نرى لك ولمن اتبعك أدنى امتياز عنا، والفضل: الزيادة في الشرف والكمال، والمراد هنا آثاره وعلاماته من قوة أو كثرة أو علم أو أصالة رأى يحملنا على اتباعكم ويجعلنا ننزل عن جاهنا ومالنا ونكون نحن وأنتم سواء لأنها التي ترى، فجعلوا عدم ظهور فضل لهم عليهم دليلاً على انتفاء فضلهم^(٥).

ث- بل إنا نرجح الحكم عليك وعليهم بالكذب، فأنت كاذب في دعوى النبوة، وهم كاذبون في تصديقك، وهذه الشبهة الأخيرة طعن في نوح عليه السلام أشركوا فيها أتباعه ولم يجابوه بها وحده كما أنهم جعلوها ظناً ولم يجزموا بها، لأن ذلك كاف في رد دعوته، وعدم الدخول في دينه^(٦).

(١) انظر: تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/ ٢٧٩).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٢٠٠)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٣٤٧)، لسان العرب (١٤/ ٢٩١).

(٣) انظر: تفسير المراغي (١٢/ ٢٥).

(٤) انظر: تفسير المراغي (١٢/ ٢٥).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٤٩).

(٦) انظر: تفسير المراغي (١٢/ ٢٥).

٣- الخطاب في هذه الآية منهم لنوح عليه السلام، وذلك أنهم إنما كذبوا نوحاً عليه السلام دون أتباعه، لأن أتباعه لم يكونوا رُسلًا، وأخرج الخطاب وهو واحد مخرج خطاب الجميع، كما قيل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾، [سورة الطلاق: ١] (١).

٤- استعمل الظن هنا في العلم كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٤٦] وهو إطلاق شائع في الكلام يفهم منه اليقين (٢).

ثالثاً: المناسبات:

فاصلة الآية: ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ إبطال للمنفي كآلة الدال على صدقه عليه السلام في دعواه بإثبات ضد المنفي، وهو ظنهم إياهم فهم كاذبون؛ لأنه إذا بطل الشيء ثبت ضده، فزعموا أن نوحاً عليه السلام كاذبٌ في دعوى الرسالة وأن أتباعه كاذبون في دعوى حصول اليقين بصدق، لذلك لما كان سياق الآية يتحدث عن إثبات الله تعالى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن هذا القرآن وحى من عنده تعالى، وبعد الحث على الاعتبار من قصص الأنبياء-عليهم السلام-ناسب أن تكون الفاصلة مبينة لكذب المشركين وافترائهم على رسوله صلى الله عليه وسلم، للمبالغة في كذبهم لقوته وشناعته، فكأنها انحصرت فيهم ماهية الموصوفين بالكذب، وفي هذا إشارة واضحة للعلاقة بين فاصلة الآية وموضوعها (٣).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

تتحدث الآية عن قوم نوح عليه السلام وموقفهم من دعوته، فقال كبراء قومه وأشرافهم الذين كفروا بالله وجدوا نبوة نبيهم نوح عليه السلام: ما أنت إلا بشر مثلنا في الخلق والصورة، وما تبعك إلا الفقراء والضعفاء دون الكبراء والأشراف، ولكن ما تبعه إلا الأشراف وأهل العقول الذين اتبعوا الحق وتركوا الضلال والانحلال الذي انغمر فيه قومهم من اتخاذهم آلهة من الحجر والشجر يتقربون إليها ويسجدون لها من دون الله تعالى، كما قالوا لستم أفضل منا فننقاد لكم، ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ فكذبوا كل آية جاء بها نوح عليه السلام مؤيدة له (٤).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- إن الغالب في إعراض قوم نوح عليه السلام من الأشراف والسادة والكبراء، كإعراض كل المكذبين الجاحدين، مبني على أعداء واهية، رأسها الاستكبار والاستعلاء على بقية الناس من الفقراء

(١) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٥ / ٢٩٧).

(٢) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٣٨).

(٣) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧ / ٣٣٦)، في ضلال القرآن (٤ / ١٨٧٣).

(٤) انظر: تفسير السعدي (١ / ٣٨٠)، وتفسير الطبري (١٥ / ١٧٩).

والضعفاء الذين يتبعون الحق غالباً، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] (١).

٢- الغالب على ضعفاء الناس اتباع الحق، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفته، كما ذكرت الآية: ﴿ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾ [سبأ: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ ﴾ ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان رضي الله عنه عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم قال له فيما قال: أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم. فقال هرقل: هم أتباع الرسل - عليهم السلام (٢).

٣- احتقار أهل الكبر لمن دونهم، وقد روى مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ) قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا، قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرٌ الْحَقُّ، وَغَمَطٌ) (٣) النَّاسِ (٤).

المطلب الثالث: مجادلة نوح عليه السلام لقومه وإقامة الحجة عليهم.

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ * وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَأُوا رِبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود: ٢٨، ٢٩، ٣٠].

أولاً: وجوه البلاغة:

١- افتتاح مراجعته بالنداء: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ ﴾ لطلب إقبال أذهانهم لوعي كلامه، واختيار استحضارهم بعنوان قومه لاستئصال طائر نفورهم، تذكيراً لهم بأنه منهم، وتأليفاً لقلوبهم في سماحة ومودة بندايمهم ونسبتهم إليه، ونسبة نفسه إليهم فلا يريد لهم إلا خيراً (٥).

(١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٥٨).

(٢) انظر: صحيح السيرة النبوية (ص: ٩).

(٣) غمط: غمط الناس: احتقارهم والإضرار بهم وما أشبه ذلك. وغمط الناس: احتقرهم واستصغروهم، لسان العرب (٧ / ٣٦٤).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانها، رقم ١٤٧، (١ / ٩٣).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٥٠)، في ظلال القرآن (٤ / ١٨٧٣).

٢- قوله تعالى: ﴿ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ شبه الذي لا يهتدي بالحجة لخفائها عليه، بمن سلك مفازة لا يعرف طرقها ومسالكها، واتبع دليلاً أعمى فيها على سبيل الاستعارة التمثيلية^(١)، والذي يلمس القارئ فيها روعة الأسلوب القرآني^(٢).

وقد ذكر الطبري: "أن هذه الكلمة مما حوّلت العرب الفعل عن موضعه. وذلك أن الإنسان هو الذي يعمى عن إِبصار الحق، إذ يعمى عن إِبصاره، و"الحق" لا يوصف بالعمى، إلا على الاستعمال الذي قد جرى به الكلام. وهو مثل استعمال العرب نظير قولهم: "دخل الخاتم في يدي، والخف في رجلي"، ومعلوم أن الرجل هي التي تدخل في الخفّ، والإصبع في الخاتم، ولكنهم استعملوا ذلك كذلك، لما كان معلوماً المرادُ فيه"^(٣).

٣- في قوله تعالى ﴿ وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ ! يتلطف نوح ﷺ في توجيه أنظارهم ولمس وجدانهم وإثارة حساسيتهم لإدراك القيم الخفية عليهم، والخصائص التي يغفلون عنها في أمر الرسالة والاختيار لها: ويصرهم بأن الأمر ليس موكولاً إلى الظواهر السطحية التي يقيسون بها^(٤).

٤- يقرر نوح ﷺ لهم المبدأ العظيم القويم، مبدأ الاختيار في العقيدة، والإقتناع بالنظر والتدبر، لا بالقهر والسلطان والاستعلاء^(٥).

٥- رد نوح ﷺ على قومه بالنفي، يقول لهم قولاً قاطعاً حازماً حاسماً فيه شدة وقوة ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لأنني جنّت للهداية لا للثروة والمال، عبر بالموصول في كلمة ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لبيان سبب النفي، وهو كونهم آمنوا، فحققوا ما جنّت به، فكيف أطردهم^(٦).

٦- في موضعي السؤال في الآية، قال: أرأيتم إن هداني الله وأضلكم أجبركم على الهدى وأنتم كارهون له معرضون عنه، واستفهامه في هذه الآية أولاً وثانياً على جهة التقرير. وعبارة نوح ﷺ كانت بلغته دالة على المعنى القائم بنفسه، لأن القول ما أفاد المعنى القائم بنفسه^(٧).

(١) إستعارة التمثيلية: للإشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلاً فهي مبيّنة على تشبيه التمثيل، ووجه الشبه فيه هيئة منزعة من متعدد - لهذا كانت أدق أنواع التشبيه، وكانت الاستعارة المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارات - ولذلك كان كل من تشبيه التمثيل، والاستعارة التمثيلية غرض البلغاء. هي اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، كقول الشاعر: "والمؤردُ العذبُ كثيرُ الرّحام" البلاغة العربية (٢/ ٢٦٧)، المنهاج الواضح للبلاغة (٥/ ١٣٧)

(٢) انظر: صفوة التفاسير (٢/ ١٤).

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان (١٥/ ٢٩٨).

(٤) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٧٤).

(٥) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٧٤).

(٦) انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٧٠١).

(٧) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٦٤).

٧- قوله تعالى: ﴿ عَلَى بَيِّنَةٍ ﴾، التاء المربوطة في بيينة للمبالغة كعلامة ونسابة، والمشار إليه بهذا كله النبوة والشرع، وقوله: ﴿ مِنْ رَبِّي ﴾ تأكيد، كما قال: ﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وفائدته رفع الاشتراك ولو بالاستعارة^(١).

٨- وقوله تعالى: ﴿ أَنْزَلْنَاهُكُمْ ﴾ يريد: إلزام جبر كالقتال ونحوه، وأما إلزام الإيجاب، فهو حاصل.

٩- في قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ هذا الاستدراك من القول اللين المعطوف إلى القول الحق الذي لا يخلو من عنف في لطف، انتقل من عذرهم بخفاء الأمور عليهم إلى رميهم بالجهل المستمر الذي يتجدد آناً بعد آناً^(٢).

١٠- وكلمة ﴿ مَنْ ﴾ في النص تدل على مجابته لله ﷻ، ومدافعة لإرادته، ومن ينصرني أمامه^(٣).

١١- في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الاستفهام للإنكار والتقريع، والتوبيخ لهم؛ لأن طرد نوح ﷺ لمن آمن معه، إهانة تؤذيهم بلا موجب معتبر عند الله ﷻ، والله ﷻ لا يحب إهانة أوليائه^(٤).

ثانياً: المناسبات:

١- مناسبة الآيات لما سبق: ما زلنا في حوار بين نوح ﷺ مع قومه، حيث إنهم اعترضوا على أتباع نوح ﷺ من أنهم من الفقراء، كذلك من أقل الناس شأنًا بين قومهم،- هذا بزعمهم- مما اضطر نوح ﷺ أن يوضح الحقيقة لهم، أن هذه الدعوة لن يكره إليها أحد فهي منة من الله ﷻ، كذلك فهو لم يطلب منهم الأجر على إبلاغ هذه الدعوة، وأما الذين يؤمنون بهذه الدعوة فلا ينبغي أن أطردهم، فهؤلاء استجابوا، وآمنوا بربهم، لكنكم أنتم جاهلون بذلك، عليكم أن تتذكروا إذا طردتهم لم ينصرني من الله ناصر.

٢- فاصلة الآية: ﴿ إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ تعليل لنفي طردهم، أي لن أطردهم؛ لأنهم قد آمنوا بي، ولأن مصيرهم إلى الله ﷻ، فيحاسبهم على سرهم وعلنهم، أما رسوله نوح ﷺ فيكتفي منهم بظواهر أعمالهم التي تدل على صدق إيمانهم، وشدة إخلاصهم لله ﷻ^(٥).

ويرى الباحث أن علاقة فاصلة الآية بموضوعها أن الله ﷻ بين في هذه الآية الكريمة موقف نبيه ﷺ من قومه، ومن الذين اتبعوه وآمنوا به وصدقوه، فناسب أن يختم الآية بوصف الكافرين من قومه بالجهل؛ ليدل على أن جهلهم صفة لازمة ملاصقة لهم لا تنفك عنهم ولتجدد

(١) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٦٤).

(٢) انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٧٠١).

(٣) انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٧٠١).

(٤) التحرير والتوير (١٢/ ٥٦).

(٥) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٤٧٤).

ذلك في كل وقت، فهم يجهلون أن مرد الناس جميعاً إلى الله ﷻ ؛ ليحاسبهم على أعمالهم، وفي هذا إشارة واضحة للعلاقة بين فاصلة الآية وموضوعها.

٣- فاصلة الآية: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ استفهام إنكاري أستمعون هذا فلا تتذكرون فيكون الإنكار وارداً على عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده، وهو المثل المضروب أي أفلا تفعلون التذكر، ومعنى إنكار عدم التذكر استبعاده من المخاطبين وأنه مما لا يصح وقوعه.

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

بينت الآية الكريمة موقف نوح عليه السلام من قومه، حيث وجه لهم نداءً ثانياً زيادة في التلطف معهم، وطمعاً في إثارة وجدانهم نحو الحق ﷻ بقوله ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً ﴾ أي لا أطلب منكم شيئاً من المال مقابل التبليغ والدعاء إلى الله ﷻ للإيمان به، فيثقل ذلك عليهم مما يجعلهم يتوهمون بأنه محب للمال، وإنما قال لهم بأن أجره وثوابه من الله فيجزيه على ذلك ومن تبعه من قومه الذين آمنوا بالله وحده وليس بطارد أحد منهم تعظيماً لشأنهم، ويجازي الله ﷻ من طردهم من قومهم، فوصفهم نوح عليه السلام بالجهالة لاستهزائهم منهم^(١).

ويا قوم، لا أطلب منكم على نصحي لكم مالا، أي آخذه منكم، وإنما أجري على الله ﷻ. وليس من شأني طرد المؤمنين وتحتيتهم من مجلسي^(٢).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- الأنبياء-عليهم السلام- يتمسكون دائماً بما يوحى إليهم، رغم معارضة أكثر الناس لهم.
٢- منهج الأنبياء-عليهم السلام- دائماً؛ عدم إكراه أحد من الناس على قبول دعوتهم، أي لا يمكن لنبي أن يجبر أحداً إلى الإيمان والمعرفة بها، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله أو النبوة والرحمة الإلهية، أو البينة. وهذا أول نص يمنع الإكراه على الدين^(٣).
٣- الحق ﷻ يريد قلوباً تخشع، ولو أراد قوالب لأخضع الخلق كلهم لعبادته، ولذلك يقول تبارك وتعالى: ﴿ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ [الشعراء: ٤]. لذلك نعلم أن الحق ﷻ منزّه عن رغبة إخضاع القوالب البشرية، بل شاء سبحانه أن يجعل الإنسان مختاراً؛ ولذلك لا يكره الله ﷻ أحداً على الإيمان^(٤).

٤- لا يصح عقلاً وذوقاً وأدباً طرد الأنبياء-عليهم السلام- لمن يؤمنون بهم، فقط لأنهم فقراء ضعفاء، فلو فعل ذلك أحدهم فرضاً لخاصموه عند الله ﷻ، وجازاهم على إيمانهم، وجازى من

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٣١٧).

(٢) انظر: التفسير المنير (١٢/٥٧).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢/٥٧).

(٤) انظر: تفسير الشعراوي (١١/٦٤٣٨).

طردهم، ولا يجد من ينصره ويمنعه من عذاب الله ﷻ إن طردهم لأجل إيمانهم، ويكون طرد المؤمنين بصفة دائمة لطلب مرضاة الكفار من أصول المعاصي، ولا يقدم عليه نبي. والمقصود هو الطرد المطلق على سبيل التأبيد^(١).

٥- قال القشيري^(٢): قوله تعالى: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾، فيه تنبيه للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء - عليهم السلام - أن يتأسوا بأنبيائهم، وألا يطلبوا من الناس شيئاً في بث علومهم، ولا يرفقوا منهم بتعليمهم، والتذكير لهم، وما ارتفق من المستمعين في بث فائدة يذكر بها من الدين، ويعظ بها المسلمين فلا يبارك الله ﷻ فيما يُسمعون به عن الله تعالى، ولا ينتفعون به، ويحصلون به على سخط من الله ﷻ^(٣).

٦- الحق ﷻ لن يترك المرسلين، ولا المرسل إليهم، فهو سبحانه القائل: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

المطلب الرابع: حقيقة النبي ليس ملكاً ولا يعلم الغيب وليس عنده خزائن الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٣١]

أولاً: معاني المفردات

تَزْدَرِي: من كلمة ازدرى، يزدرى، ازدرء، فهو مُزْدِرٍ، والمفعول مُزْدَرَى ازدرى خصمه/ ازدرى بخصمه: حفره واستخفَّ به، الازدرء أفسى أنواع التأنيب [مثل]- ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفي أثوابه أسد جسور - دلت هذه الكلمة على كامل معناها وهو منتهى الاحتقار ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾^(٤).

(١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٦٠).

(٢) القشيري: هو عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر: واعظ، من علماء نيسابور، من بني قشير. علت له شهرة كأبيه. زار بغداد في طريقه إلى الحج، ووعظ بها، فوعدت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، فاستدعاه نظام الملك إلى أصبهان (إطفاء للفتنة ببغداد) فذهب إليه ولقي منه إكراماً. وعاد إلى نيسابور، فلزم الوعظ والتدريس إلى أن فلج. وتوفي بها سنة ٥١٤هـ. كان ذكياً حاضر الخاطر، فصيحاً، جريئاً، يحفظ كثيراً من الشعر والحكايات. له (المقامات والآداب - خ) تصوف ووعظ، "الأعلام للزركلي (٣ / ٣٤٦)".

(٣) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢ / ٥٢٤).

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٢ / ٩٨٣).

ثانياً: وجوه البلاغة:

- ١- في قوله تعالى: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ ﴾ نفى ذلك بصيغة المضارع للدلالة على أنه منتف عنه ذلك في الحال، فأما انتفاؤه في الماضي فمعلوم لديهم حيث لم يقله، أي لا تظنوا أنني مضمّر ادعاء ذلك وإن لم أقله^(١).
- ٢- ذكر الخزائن هنا استعارة مكنية شبهت النعم والأشياء النافعة بالأموال النفيسة التي تدخر في الخزائن، ورمز إلى ذلك بذكر ما هو من روادف المشبه به وهو الخزائن. وإضافة خزائن إلى الله ﷻ لاختصاصه بها^(٢).
- ٣- إن في قول نوح ﷺ لقومه: ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ﴾ [هود: ٢٩] ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾، أدعوكم إلى اتباعي عليها. ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ يعني: ما خفي من سرائر العباد، فإن ذلك لا يعلمه إلا الله ﷻ، فأدعي الربوبية وأدعوكم إلى عبادتي^(٣).
- ٤- في تكرار فعل القول في الآية ﴿ وَلَا أَقُولُ ﴾ أراد معنى غير المراد منه، فالقول هنا كناية عن الاعتقاد لأن المرء إنما يقول ما يعتقد، وهي تعريضة بالمخاطبين لأنهم يضمنون ذلك ويقدرونه^(٤).
- ٥- في قوله تعالى: ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ هذا كالدلالة على أنهم كانوا ينسبون أتباعه مع الفقر والذلة إلى النفاق فقال: إني لا أقول ذلك، لأنه من باب الغيب والغيب لا يعلمه إلا الله ﷻ، فربما كان باطنهم كظاهريهم فيؤتيهم الله ملك الآخرة فأكون كاذباً فيما أخبرت به^(٥).
- ٦- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ عطف على ﴿ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾ أي: ولا أقول لكم أنا أعلم الغيب حتى تكذبوني استبعاداً، أو حتى أعلم أن هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب نفاقاً^(٦).
- ٧- في قوله تعالى: ﴿ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾ أخبر بتدليله وتواضعه لله عز وجل، وأنه لا يدعي ما ليس له من خزائن الله، وهي إنعامه على من يشاء^(٧).

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٥٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٥٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاکر (١٥ / ٣٠٢).

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١١٣٤).

(٥) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧ / ٣٤٠).

(٦) انظر: تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣ / ١٣٣).

(٧) انظر: تفسير القرطبي (٩ / ٢٧).

٨- وجيء في النفي بحرف ﴿لن﴾ الدالة على تأكيد نفي الفعل في المستقبل، تعريضاً بقومه لأنهم جعلوا ضعف أتباعه نوح ﷺ وقرهم دليلاً على انتفاء الخير عنهم فاقتضى دوام ذلك ما داموا ضعفاء فقراء، فلسان حالهم يقول: لن ينالوا خيراً، فكان رده عليهم بقول: لن يؤتيتهم الله خيراً^(١).

٩- جيء باسم التفضيل في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ﴾ هنا بأسلوب المفاضلة مقصود منه شدة العلم، التي لا تكون إلا لله ﷻ^(٢).

١٠- وإسناده إلى الأعين في قوله تعالى ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ للمبالغة، والتبنيه على أنهم استزدلوهم بادي الرؤية من غير روية بما عينوا من رثاة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكما لاتهم^(٣).

١١- تحول الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ﴾، فلم يخاطب نوح ﷻ الضعاف، فاللام في كلمة {الَّذِينَ} تعني الحديث عن الضعاف، لا حديثاً إلى الضعاف. ومجيء «اللام» بمعنى «عن» له نظائر، مثل قول الحق سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سبأ: ٤٣] وهم هنا لا يقولون للحق، ولكنهم يقولون عن الحق^(٤).

١٢- وقول الله تعالى: ﴿إِذَا﴾ حرف جواب وجزاء مجازة للقول، أي لو قلت ذلك لكنت من الظالمين، وذلك أنه يظلمهم بالقضاء عليهم بما لا يعلم من حقيقتهم، ويظلم نفسه باقتحام القول بما لا يصدق^(٥).

١٣- أكد جملة ﴿إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بثلاث مؤكدات: (إن ولام الابتداء وحرف الجزاء) تحقيقاً لظلم كل من يدعى شيئاً من هذه الدعاوى، وتكديباً لأولئك الكافرين الذين احتقروا المؤمنين، وزعموا أن الله ﷻ لن يؤتيتهم خيراً^(٦).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآية لما سبق: هذه الآية تفصيل لما رد به مقالة قومه إجمالاً، فهم استدلووا على نفي نبوته بأنهم لم يروا له فضلاً عليهم، فجاء هو في جوابهم بالقول بالموجب أنه لم يدع فضلاً غير الوحي إليه كما حكى الله عن أنبيائه- عليهم السلام- في قوله: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١]، ولذلك نفى أن يكون قد

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٥٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٥٩).

(٣) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣ / ١٣٣).

(٤) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٤٤٧).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٥٩).

(٦) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٧ / ١٩٧).

ادعى غير ذلك. واقتصر على بعض ما يتوهمونه من لوازم النبوءة، وهو أن يكون أغنى منهم، أو أن يعلم الأمور الغائبة^(١).

٢- فاصلة الآية: ﴿ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ بعد أن أخبرهم نوح عليه السلام، أنه ليس عنده خزائن المال، ولا يعلم الغيب، وليس بمالك، ولن يقول للذين اتبعوه أن الله تعالى لن يعطيهم خيراً، فالذي يعلم ما في النفوس هو الله تعالى، لذلك كان من المناسب أن تختتم هذه الآية بوصف حال من يعمل بهذه الأعمال، أنه من الظالمين.

رابعاً: التفسير الإجمالي:

يخبر الحق تعالى، عما أجاب نوح عليه السلام قومه حيث يبلغهم، لا أقول لكم عندي خزائن رزق الله تعالى، وأمواله حتى جردتم فضلي، ولا أقول لكم أنا أعلم الغيب حتى تكذبوني استبعاداً، أو حتى أعلم أن هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب، ولا أقول إني ملك حتى تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا، ولا أقول للذين تزدي أعينكم ولا أقول في شأن من استرذلتموهم لفرهم، لن يؤتيهم الله خيراً؛ فإن ما أعده الله تعالى لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا، الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين؛ إن ادعيت أية دعوى من هذه الدعاوي. ظالم لنفسي فأعرضها لغضب الله، وظالم للناس فأنزلهم غير ما أنزلهم الله، إن قلت شيئاً من ذلك^(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- خزائن الرزق في تصرف الله تعالى، فهو الملك المتفرد بذلك ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧]، والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ولا يقول نبي: إن منزلته عند الناس منزلة الملائكة^(٣).

٢- وقد ذكر الدكتور وهبة الزحيلي؛ أن الفضائل الحقيقية الروحانية ليست إلا ثلاثة أشياء^(٤):

أ- الاستغناء المطلق فلا ادعيه: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾.

ب- العلم التام: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾.

ت- القدرة التامة الكاملة: ﴿ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ والملائكة أكمل المخلوقات في القدرة والقوة.

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٥٧).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣ / ١٣٣)، في ظلال القرآن (٤ / ١٨٧٥).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٨٧٥).

(٤) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٦٠).

٣- يشير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إلى أن الاعتبار ليس للصورة ولكن إلى نور القلوب، وهي الجملة المعترضة بين قوله: (وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا) وقوله تعالى: (إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) أي إذا قلت لهم ذلك مطاوعة لرغباتكم، - إذن - في زمرة الظالمين الذين لا يعرفون إلا بالظلم إذ اشتهروا به^(١).

٤- إن استحقاق المؤمن ثواب الله ﷻ لا يمنعه اعتراض أحد عليه، وهذا الاعتراض لا يكون من مؤمن صلح إيمانه، لكنه يكون ممن حارب أهل الإيمان.

٥- يجب على كل داعية أن يعطي أصحاب الدعوة في أجيالها جميعاً، نموذجاً للداعية، ودرساً في مواجهة أصحاب السلطان بالحق المجرد، دون استرضاء لتصوراتهم، ودون ممالأة لهم، مع المودة التي لا تتحني معها الرؤوس، قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٨٣]^(٢).

٦- أرشد قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بأن اللائق لكل أحد أن لا يبيت القول إلا فيما يعلمه يقينا ويبني أموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس على بينة ظاهرة، مع أن نوح ﷺ جازم بأن الله ﷻ سيؤتيهم خيراً عظيماً في الدارين وأنهم على يقين راسخ في الإيمان، ومع هذا فأوكل العلم كله لله ﷻ^(٣).

سادساً: القول أن الملائكة أفضل من الأنبياء:

الرأي الأول: ظاهر قول الله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ فضل الملك على البشر وعلى سائر الأنبياء-عليهم السلام.

وقد ذكر ابن عطية في تفسيره: "وإن أخذنا قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ على حد أن لو قال: ولا أقول إني كوكب أو نحوه- زالت طريقة التفضيل، ولكن الظاهر هو ما ذكرنا"^(٤).
وقد أبو الطيب في تفسيره بهذه الآية ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ على أن الملائكة أفضل من الأنبياء-عليهم السلام- لدوامهم على الطاعة، واتصال عباداتهم مذ خلقوا إلى يوم القيامة^(٥).

(١) انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٧٠٢)

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٧٥)

(٣) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٢٠٣).

(٤) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٦٥).

(٥) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٤/ ١٤٦).

الرأي الثاني: وأما قوله: ﴿ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ فنفي لشبهة قولهم: ﴿ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ﴾ [هود: ٢٧] ولذلك أعاد معه فعل القول، لأنه إبطال دعوى أخرى ألصقوها به، وتأكيد به (إن) لأنه قول لا يقوله قائله إلا مؤكداً لشدة إنكاره لو ادعاه مدع، فلما نفاه نفى صيغة إثباته^(١).

يرى الباحث أن الله ﷻ فضل الملائكة على الرسل -عليهم السلام- من غير الملائكة فلبراهين منها قول الله ﷻ أمر الرسول ﷺ أن يقول ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ [هود: ٣١] فلو كان الرسول أرفع من الملك أو مثله ما أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقول لهم هذا القول الذي إنما قاله منحطاً عن الترفع بأن يظن أنه عنده خزائن الله أو أنه يعلم الغيب أو أنه ملك منزل لنفسه المقدسة في مرتبته التي هي دون هذه المراتب بلا شك إذ لا يمكن البتة أن يقول هذا عن مراتب هو أرفع منها وأيضاً فإن الله ﷻ ذكر محمداً ﷺ الذي هو أفضل الرسل بعد الملائكة وذكر جبريل عليهما السلام وكان من التباين من الله ﷻ بينهما تبايناً بعيداً وهو أنه ﷻ قال ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]، فهذه صفة جبريل ﷺ ثم ذكر محمداً ﷻ فقال: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير: ٢٢].

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٥٨).

المبحث الثاني

استعجال قوم نوح عليه السلام العذاب ويأسه منهم

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٣٢-٣٥)

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: رفض المشركين لدعوة نبيهم نوح عليه السلام.
- المطلب الثاني: بيان أن عذاب الله للمشركين بمشيئته وأنهم لا يعجزونه.
- المطلب الثالث: الكفار يتهمون النبي صلى الله عليه وسلم بالإفتراء.

المبحث الثاني

استعجال قوم نوح عليه السلام العذاب ويأسه منهم

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٣٢ - ٣٥)

المطلب الأول: رفض المشركين لدعوة نبيهم نوح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

[هود: ٣٢ - ٣٥]

أولاً: معاني المفردات:

* جَادَلْتَنَا: الجدل:

أ- لغة: "الجيم والذال واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه"^(١).
ب- اصطلاحاً: هو مقابلة الحجة بالحجة فإن كان في الوقوف على الحق كان محموداً قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وإن كان في مدافعة الحق كان مذموماً قال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]، وسمي هذا لئلا يعناداً، وإنما أرادوا أنه جادلهم فيما هو شر فعبّر عن مرادهم بلفظ الجدل الموجه^(٢).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ الجملة خبر مستعمل في التذمير والتضجير والتأيس من الاقتناع، كأنه أجابهم بالمبادرة لبيان العذاب؛ لأن ذلك أكثر في الموعظة، فبادر به ثم عاد إلى بيان مجادلته^(٣).

٢- في قوله تعالى: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ على تقدير أن المقصود منه عذاب في الدنيا، والذي أشير إليه في قوله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْبَيْمِ﴾ ولا يكون المراد باليوم يوم القيامة^(٤).

ثانياً: المناسبات:

١- مناسبة السياق للسابق: بعد أن أجاب نوح عليه السلام قومه على شبهاتهم، ردوا عليه أمرين: الأول - أنهم وصفوه بكثرة المجادلة، والثاني - أنهم استعجلوا العذاب الذي كان يتوعدهم به.

(١) مقاييس اللغة (١/ ٤٣٣).

(٢) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص: ٥٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٦٠).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٢٠٤).

فما زال هناك محاورة ومجادلة بين نوح عليه السلام وبين قومه^(١).

٢- فاصلة الآية: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ لما كان اتهامهم نوح عليه السلام بكثرة جداله لهم، وهو ناصح لهم، مبددين استخفافهم، وعدم اكترائهم بما يدعوه، لذا طلبوا منه أن يأتيهم بالعذاب الذي وعدهم، فحسن أن تختتم بإعلانهم صراحة أنهم غير مصدقين بما يدعوه إليه، وهذا ما دلت عليه فاصلة الآية.

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

قال قوم نوح عليه السلام له: قد حاجبتنا فأكثرنا من ذلك، ونحن لا نتبعك، فأتنا بما تعدنا به من العذاب المعجل في الدنيا، مستهزئين ومنكرين بما يعدمهم، وكذلك متهمينه بعدم الصدق في دعواه، بأن الله يعذبنا على عصيانه في الدنيا قبل الآخرة^(٢).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- إن عناد الكفار وغباءهم وحماقتهم استوجب كل ذلك التكرار لدعوة النبي نوح عليه السلام، مهما أتى به من الأدلة المثبتة، لتوحيد الله تعالى ووجوب طاعته وعبادته، وورطهم في طلب تعجيل نقمة الله تعالى وعذابه وسخطه.

٢- الجدل في الدين لتقرير الأدلة وإزالة الشبهات أمر محمود، وهو حرفة الأنبياء، والرسول -عليهم السلام- والعلماء من بعدهم، ولهذا جادل نوح والأنبياء -عليهم السلام- قومهم حتى يظهر الحق، فمن قبله نجا، ومن رده خاب وخسر^(٣).

٣- الجدل لغير الحق حتى يظهر الباطل في صورة الحق أمر مذموم، قال تعالى:

﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦].

٤- التقليد والجهل والإصرار على الباطل حرفة الكفار، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

المطلب الثاني: بيان أن عذاب الله تعالى للمشركين بمشيئته وأنهم لا يعجزونه.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٣، ٣٤].

أولاً: معاني المفردات:

(١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٦١).

(٢) انظر: التفسير الواضح (٢ / ١١٨).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٦٠).

* نُصِحِي: أ- لغةً: "خلص، والنصح: نقيض الغش، مشتق منه. نصح له ونصحه ينصح نصحا ونصوحا ونصيحة ونصاحة ونصاحية"^(١).

ب- اصطلاحاً: "هي الدعاء والطلب إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد"^(٢).
المراد بالنصح هنا هو ما سماه قومه بالجدال، أي هو أولى بأن يسمى نصحاً، لأن الجدال يكون للخير والشر، أما النصح فلا يكون إلا في الصلاح والنهي عما فيه الفساد، وهذا ما كان عليه نوح عليه السلام مع قومه^(٣).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ ﴾ تعلق العذاب بمشيئته التابعة لله تعالى، فيه من الحكمة ما لا يخفى من تهويل الموعد فكأنه قيل الإتيان به أمر خارج عن دائرة القوى البشرية وإنما يفعله الله تعالى الذي كفرتم به، وفي قوله: ﴿ إِنْ شَاءَ ﴾ احتراس راجع إلى حمل العذاب على عذاب الدنيا، وحملاً لكلامهم على ظاهره على طريقة مجازاة الخصم في ظاهر المناظرة^(٤).

٢- جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ذكر ابن عاشور أن في هذه الآية جملة شرط وهي كالتالي^(٥):

أ- جملة الشرط الأولى: قوله: ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ هي المقصود من الكلام، جوابها في معنى قوله: ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي ﴾ ولكن نظم الكلام بني على الإخبار بعدم نفع النصح اهتماماً بذلك فجعل معطوفاً على ما قبله وأتى بالشرط قيدياً له.

ب- جملة الشرط الثانية: قوله: ﴿ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ ﴾ فهو شرط معترض بين الشرط وبين دليل جوابه وهو في معنى قوله: ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي ﴾ لأنه ليس هو المقصود من التعليق ولكنه تعليق على تعليق. حيث كل من الشرطين مقصود التعليق به، وقد حذف جواب أحدهما لدلالة جواب الآخر عليه^(٦).

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ١٥٧).

(٢) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٣/ ٢٧٨).

(٣) التحرير والتنوير (١٢/ ٦١).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٦٠).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٦٠).

(٦) انظر: الجدول في إعراب القرآن (١٢/ ٢٦١).

٤- وفي معنى قوله تعالى: ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾، يقول الزمخشري " قلت: إذا عرف الله ﷻ من الكافر الإصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه، سمي ذلك إغواءً وإضلالاً، كما أنه إذا عرف منه أنه يتوب ويرعوى^(١)، فلفظ به: سمي إرشاداً وهداية"^(٢).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآية للسياق: كان نوح ﷺ يعدهم العذاب إن لم يجيبوه؛ وما كان وعد لهم في غير آية من القرآن إن لم يجيبوه فقالوا: ﴿ فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ من العذاب، فناسب أن يبلغهم أنه ليس لي إتيان ذلك إنما ذلك إلى الله ﷻ، إن شاء عجل وإن شاء أخر إلى ما بعد الموت؛ فإنكم لا تعجزون الله عن تعذيبكم، وما زال يرد عليهم بقوله: لا ينفعم دعائي إلى ما به نجاتكم إن كان الله يريد أن يغويكم، هو خالقكم والمتصرف في أموركم، والحاكم العادل الذي لا يجور، وإليه ترجعون في الآخرة، فيجازيكم بما كنتم تعملون من خير أو شر^(٣).

٢- فاصلة الآية: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ لتعلل وتؤكد بأن مرجعهم إلى الله ﷻ، فهو يبعثهم ويجازيهم، فهم في قبضته وسلطانه، فما لهم من دون الله من ولي يلي أمورهم، ولا نصير ينصرهم من الله إن أراد بهم سوءاً، وهذا مما يدل على ضعفهم وعجزهم أمام الله ﷻ^(٤).

٣- فاصلة الآية: ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ جاءت تسليية للنبي ﷺ لتكذيب وجحود قومه له، وللتأكيد والتذكير بعاقبة مضمونها بأن مصير هؤلاء قد آل إلى لقاء الله ﷻ للتهديد والوعيد لهم جزاء جحودهم وإنكارهم ما جاء به رسولهم ﷺ فيجازي كلاً منهم بما يليق به إما الجنة أو النار، ويظهر تلك العلاقة بين فاصلة الآية وموضوعها^(٥).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

قال لهم نوح ﷻ: إنما الذي يعاقبكم ويعجل تعذيبكم الله ﷻ الذي لا يعجزه شيء، إن شاء عاقبكم عاجلاً أو آجلاً، فما أنتم بمعجزين أي بفائتي الله ولا بمستطيعي الهرب من عذابه لأنكم في قبضته وملكه وسلطانه، ولا يفيدكم نصحي واجتهادي في إيمانكم، إن أراد الله إغواءكم أي إيقاعكم في

(١) معنى يرعوى: قال ابن مسعود رضي الله عنه: "كونوا للعلم وعاء ولا تكونوا رواة، فإنه قد يروى ولا يرعوى، ويرعوى ولا يروى". من كتاب: الشكوى والعتاب (ص: ٢٢٣).

(٢) تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٣٩١).

(٣) انظر: تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٦ / ١٢٦).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٦١).

(٥) انظر: بيان المعاني (٣ / ١١٥).

الغي والضلال والفساد، ودماركم وهلاككم، هو ريكم أي خاللكم والمتصرف في أموركم، والحاكم العادل الذي لا يجور، وإليه ترجعون في الآخرة، فيجازيكم بما كنتم تعملون من خير أو شر^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- إرادة الله ﷻ قبل كل إرادة وما شاء الله يكون وما لم يشأه لم يكن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ ۝﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤]^(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ رد على المعتزلة والقدرية ومن وافقهما، الذين زعموا أن الله ﷻ لا يريد أن يعصي العاصي، ولا يكفر الكافر، ولا يغوي الغاوي، وأنه يفعل ذلك، والله لا يريد ذلك^(٣).

٣- "ينبغي عدم إصدار حكم على عبد لم يمت فيعرف بالموت مآله، إلا قول الله أعلم به"^(٤).

المطلب الثالث: الكفار يتهمون النبي ﷺ بالإفتراء.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيْ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥].
أولاً: معاني المفردات:

١- افْتَرَاهُ: افتري يفترى، افتر، افترأ، فهو مُفْتَرٍ، والمفعول مُفْتَرَى (للمتعدّي) افتري الشَّخْصُ: ظلم بممارسة البَطْش، افتري القول/ افتري عليه القول: اختلقه، ادّعاه، كذب فيه قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١]^(٥).

٢- إِجْرَامِي: الجرم: جمع جروم وأجرام. والجرم: الذنب أجرم يجرم إجراماً وجرم يجرم جرماً، والاسم الجرم والمصدر الجرم، أجرم الرَّجُلُ: ارتكب ذنباً أو جنىً جنائية، وبه سمي الرجل جرماً^(٦).

٣- بَرِيءٌ: أصلها (برأ) فأما الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فروع الباب: أحدهما الخلق، يقال: برأ الله ﷻ الخلق يبرؤهم براء. والبارئ الله جل ثناؤه، والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايته، من ذلك البرء وهو السلامة من السقم، يقال: برئت وبرأت^(٧).

(١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٦٢).

(٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٤١).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٦٤).

(٤) أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٤١).

(٥) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٢ / ٨٩).

(٦) جمهرة اللغة (١ / ٤٦٥).

(٧) انظر: مقاييس اللغة (١ / ٢٣٦).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- الاستفهام الذي يؤذن به حرف ﴿أَمْ﴾ المختص بعطف الاستفهام استفهام إنكاري، وموقع الإنكار بديع لتضمنه الحجة عليهم. وهنا للانتقال من غرض لغرض^(١).

٢- لما كان الافتراء على الله ﷻ إجراماً عدل في الجواب عن التعبير بالافتراء مع أنه المدعي إلى التعبير بالإجرام، كذلك تقديم ﴿فَعَلِيَّ﴾ يؤذن بالقصر والاختصاص، أي إجرامي علي لا عليكم، وهذا جار على طريقة الاستدراج لهم والكلام المنصف^(٢).

٣- ذكر كثير من المفسرين أن قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلِيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ لفظة عجيبة في ذات السياق، إلى استقبال مشركي قريش لمثل هذه القصة، التي تشبه أن تكون قصتهم مع الرسول ﷺ ودعواهم أن محمداً ﷺ يفترى هذه القصص^(٣).

يرى الباحث أن الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ عائد على قوم نوح ﷺ أي: بل يقولون افترى ما أخبرهم به من دين الله ﷻ وعقاب من أعرض عنه، فقال ﷺ: قل: إن افتريته فعلي إثم إجرامي وإن كان ما جرى لنوح ﷺ قد جرى بمثله مع سائر الأنبياء والمرسلين-عليهم السلام-ومن دعا بدعوتهم إلى يوم الدين، لذلك لا أرى حرج أن يكون الخطاب قد وجه لنوح ﷺ أولاً، وقد جرى مثله وفي زمن نزول الآيات على النبي محمد ﷺ.

٤- وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ هذه الجملة توجيه بديع، وهو إفادة تبرئة نفسه من أن يفترى القرآن، فإن افتراء القرآن دعوى باطلة ادّعواها عليه فهي إجرام منهم عليه ﷺ^(٤).

٥- قوله تعالى: ﴿فَعَلِيَّ إِجْرَامِي﴾، أسلوب الآية الكريمة يحذف عنهم البراءة في الشطر الأول منها، ولو جاء بالقول دون احتباك، لقال سبحانه: قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنتم براءة منه، وإن لم أفتر فعليكم إجرامكم وأنا بريء، حيث جاء الحذف من شق المقابل من شق آخر، وهذا ما يسمى في اللغة «الاحتباك»^(٥).

٦- أراد الحق ﷻ أن يبين لنا قول رسوله محمد ﷺ حين خاطب قومه، فقال سبحانه:

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٦٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٦٤).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٨٧٦).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٦٥).

(٥) «الاحتباك» هو: حذف من الأول لدلالة الثاني، وحذف من الثاني لدلالة الأول؛ نحو: {فِنَّةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ}.. والتقدير: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت. كتاب: الأطلال في علوم القرآن (ص: ٣٣١).

﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ: ٢٥]، ولم يقل: ﴿ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾. فلم يقابل إيذاءهم القولي والمادي له بإيذاء قولي، كذلك ذكر الحق ﷺ ما جاء على لسان محمد ﷺ:

﴿ وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤]. وهذا ارتقاء في الجدل يناسب رحمة رسول الله ﷺ التي أنزلها الله ﷻ على العالم كله، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] (١).

٧- إن الحق ﷺ لا يغوي، ولكنه يترك الخيار للمكلف إن شاء أطاع، وإن شاء عصى، ولو أنه جعلنا مؤمنين لما كان لنا اختيار، فإن أطاع الإنسان نال عطاء الله ﷻ؛ وإن ضل، فقد جعل الله ﷻ له الاختيار، ووجهه لغير المراد مع صلاحيته للمراد، فالاختيار ليس مقصوراً على الإغواء بل فيه الهداية أيضاً، والإنسان قادر على أن يهتدي، وقادر على أن يضل (٢).

ثانياً: المناسبات:

١- مناسبة الآية لما سبق: وما زال نوح ﷺ يدافع وينافح عن دعوته فقد اتهموه بالافتراء لكنه رد ذلك بعاقبة هذا الإجماع عليه، وبعد أن وصل ما وصل من التقرب بالوعظ والمحااجة أبلغهم براءته من كل الذي يعبدون، واعتراضاً في القصة، وهو براءة محمد ﷺ من نسبة افتراء قومه عليه (٣).

٢- فاصلة الآية: ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ تنذيل للكلام وتأبيده بمقابلة، أي إجرامي وذنب علي لا عليكم، كما أن إجرامكم وذنبكم على أنفسكم فلا ينالني منه شيء، فكل إنسان محاسب عن نفسه، فناسب أن تختم الآية ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ لأن حُكْمَ الله ﷻ هو العدل وهو صفة من صفاته فيجازي كل امرئ بعمله، فأثبت عليهم الإجماع جزاء ما اكتسبوا، وعد ذلك من أسلوب الجدل والتي هي أحسن فيستخفه السمع ويقبله الطبع (٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

وقد جاء بكلام معترض في وسط قصة نوح ﷺ، مؤكداً لها، مقرر لها، وهي حكاية لقول مشركي مكة في تكذيب هذه القصص: بل يقول هؤلاء الكافرون الجاحدون في مكة: إن محمداً ﷺ افتري القرآن، أي اختلقه من قبل نفسه، ومنه ما أخبر به عن نوح ﷺ وقومه، فرد الله ﷻ معلماً نبيه ﷺ أن يقول لهم: إن افتريته فعلي عقوبة إثم، وعذاب ذنبي، وكل ما ترتب على ذلك، وأنا بريء من آثامكم وذنوبكم، وسيجزيكم الله ﷻ على أعمالكم، فكل إنسان مسئول عن ذنبه، كما قال

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١١/ ٦٤٥٧).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١١/ ٦٤٥٤).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢/ ٦١).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٢/ ٦٥).

تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾
[النجم: ٣٩ - ٤١] (١).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- كل إنسان مسئول عن نفسه، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥] فإن افتري أو اختلق نبي الوحي والرسالة كما يزعم قومه المعادون له، فعليه عقاب إجرامه، وإن كان محققاً فيما يقول، وهو الحق الأكيد، فعليهم عقاب تكذيبهم وسيئاتهم (٢).

خامساً: القراءات:

وردت قراءتان في ﴿تَرْجِعُونَ﴾ (٣):

١- قرأ يعقوب ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم

٢- قرأ الباقر ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم.

معنى الرَّجُوعُ: العود إلى ما كان منه البدء، أو تقدير البدء مكاناً كان أو فعلاً، أو قولاً، وبذاته كان رجوعه، أو بجزء من أجزائه، أو بفعل من أفعاله. فَالرَّجُوعُ: العود، والرَّجْعُ: الإعادة، والرَّجْعَةُ والرَّجْعَةُ في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات (٤).

*قال ابن عاشور: "و﴿تَرْجِعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم في قراءة الجمهور، وقرأ يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم والقراءة الأولى على اعتبار أن الله أرجعهم وإن كانوا كارهين؛ لأنهم أنكروا البعث والقراءة الثانية باعتبار وقوع الرجوع منهم بقطع النظر عن الاختيار أو الجبر (٥).

*قال الشعراوي: "قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تقرأ قراءتان. بضمه على التاء. ومرة بفتحة على التاء. الأولى معناها، أننا نجبر على الرجوع، فلا يكون الرجوع إلى الله ﷻ بإرادتنا، وهذا ينطبق على الكفار الذين يتمنون عدم الرجوع إلى الله، أما الثانية «ترجعون» فهذه فيها إرادة، وهي تنطبق على المؤمنين لأنهم يتمنون الرجوع إلى الله" (٦).

(١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٦٢).

(٢) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٦٢).

(٣) انظر: النشر (٢ / ٢٠٨).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٤٢).

(٥) التحرير والتنوير (١ / ٣٧٧).

(٦) تفسير الشعراوي (١ / ٢٢٨).

*يرى الباحث: أن كلتا القراءتين معاً تؤكدان حتمية الرجوع إلى الله ﷻ. فقراءة المبني للمفعول تخبر أن الله ﷻ يُرْجِع الكفار جبراً لا بإرادتهم، والقراءة بالبناء للفاعل بيان لمدى خضوع الكفار الى تصرف الله ﷻ برجعهم إليه خاضعين، على الرغم مما ينتظرهم من عذاب. والله ﷻ أعلم.

المبحث الثالث

أوحى الله ﷻ إلى نوح عليه السلام بصناعة السفينة

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٣٦-٤١)

وفية أربعة مطالب:

- المطلب الأول: أوحى الله ﷻ لنوح عليه السلام بعدم إيمان أحد من قومه إلا من آمن.
- المطلب الثاني: يحمى الله ﷻ الرسل وينجيهم.
- المطلب الثالث: سخرية قوم نوح عليه السلام عند صناعته للسفينة.
- المطلب الرابع: سنة الأنبياء جميعا الابتداء بالبسملة.

المبحث الثالث

أوحى الله ﷻ إلى نوح عليه السلام بصناعة السفينة

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٣٦-٤١)

المطلب الأول: أوحى الله ﷻ لنوح عليه السلام بعدم إيمان أحد من قومه إلا من آمن.
قال تعالى: ﴿ وَأَوْحِي إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٣٦].
أولاً: معاني المفردات:

تَبْتَئِسُ: المبتئس: الكاره والحزين والبأساء: الشدة والبؤس: ضد النعمة، ولا تبتئس، أي: لا تحزن ولا تشتك والمبتئس: الكاره، قال: ما يقسم الله أقبل غير مُبتئس... منه وأفعد كريماً ناعم البال^(١).
ثانياً: وجوه البلاغة:

- ١- بدأت الآية بحرف عطف حيث عطفت على جملة ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْنَا ... ﴾ [هود: ٣٢]، أي بعد ذلك أوحى إلى نوح عليه السلام أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن^(٢).
- ٢- حرف ﴿ لَنْ ﴾ المفيد تأبيد النفي في المستقبل، وذلك شديد على نوح عليه السلام.
- ٣- وردت ﴿ إِلَّا ﴾ هنا حرف بمعنى ﴿ غير ﴾ وليس للاستثناء، أي: لن يؤمن من قومك غير الذي آمن. وهذا وارد في إسلوب القرآن الكريم من مثله حين قال الحق سبحانه: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]^(٣).
- ٤- في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ أي لا تحزن ولا تشتك، فقد ناسب معنى الكلمة ما كان من حال نوح عليه السلام فقد كان حزينا على قومه وكذلك كان كارهاً أن يقع بهم العذاب الموعود^(٤). كذلك جاءت الفاء لتفريع التسلية على الخبر المحزن الذي اخبر به نوح عليه السلام^(٥).
- ٥- وتأكيده الفعل بـ ﴿ قد ﴾ في قوله: ﴿ مَنْ قَدْ آمَنَ ﴾ للتصحيح على أن المراد من حصل منهم الإيمان يقيناً دون الذين ترددوا.

ثالثاً: المناسبات :

بعد أن اتهموا نوحاً عليه السلام بالافتراء وأكالوا له التهم وضيقوا عليه وهو يدعوهم إلى الهداية والرشاد،

(١) انظر: معجم ديوان الأدب (٤/ ٢٣٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٦٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري = جامع (١٥/ ٣٠٦)، زهرة التفسير (٧/ ٣٧٠٧).

(٤) انظر: زهرة التفسير (٧/ ٣٧٠٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥/ ٣٠٦)، زهرة التفسير (٧/ ٣٧٠٧).

وقد يؤس منهم، علم الله ﷺ ما عليه نوح عليه السلام من عناء ونصب، فأبلغه بما أراح به نفسه. فناسب ذلك أن يبلغه الله ﷻ بأن لا يبتئس بعملهم فأمرهم مقضي لا محالة ولن يهدي منهم أحداً بعد ذلك.

رابعاً: التفسير الإجمالي:

بعد أن بذل نوح عليه السلام أقصى جهده في التقريب والتأليف والنصيحة والإرشاد وتحمل سفه القول منهم حتى آمن من آمن، وما آمن معه إلا قليل، ومن بعد إيمان هؤلاء القليل من قومه؛ أوحى الله ﷻ إلى نوح عليه السلام أنه لن يؤمن غيرهم، فلا تحزن ولا تستكن ولا تأسف بما كان يفعل من استكبروا في الأرض من سخرية وازدراء لأهل الإيمان، وإنما أنت نذير وقد أذرتهم، فإني مهلكهم، ومنقذك منهم ومن اتبعك. وأوحى الله ذلك إليه، بعد ما دعا عليهم نوح بالهلاك فقال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] (١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- علم الله ﷻ، هو علم مطلق، أخبر الله ﷻ أن هؤلاء قوم لن يتوبوا، فأوحى إلى نوح عليه السلام بذلك.
- ٢- لطف الله ﷻ بنبيه نوح عليه السلام، إذ أخبره قبل الهلاك بألا يغتم بهلاك قومه، حتى لا يصبح بائساً حزيناً على ما سيقع بهم من العذاب (٢).
- ٣- كراهية الحزن والأسى والأسف على ما يقوم به أهل الباطل والشر والفساد فالله ﷻ مطلع على أعمالهم، فلن يبرحوا من قبضة الله ﷻ (٣).
- ٤- إن الله ﷻ يمهل الكافر لعله يتعظ و يتوب ويرجع، فإن علم منه عدم الهداية فلن ينجوا من عذاب الله ﷻ قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَةَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ [هود: ١٠٢].

المطلب الثاني: يحمى الله ﷻ الرسل وينجيهم.

قال تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ [هود: ٣٧].

أولاً: وجوه البلاغة:

- ١ - في قوله تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ ﴾ الظاهر أنه أمر إيجاب؛ لأنه لا سبيل إلى صون روح نفسه، وأرواح غيره من الهلاك إلا بهذا الطريق وصون النفس من الهلاك واجب

(١) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥ / ٣٠٦)، زهرة التفاسير (٧ / ٣٧٠٧).

(٢) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٧٠).

(٣) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٤٣).

وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ ﴾ عطف على جملة ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ [هود: ٣٦] وهي بذلك داخلة في الموحى به فتدل على أن الله أوحى إليه كيفية صنع الفلك كما دل عليه قوله: ﴿ وَوَحِينَا ﴾^(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾، الباء للملابسة وهي في موضع الحال من ضمير (اصْنَعِ)^(٣).

قال الإمام الطبري^(٤): "وقوله: (بأعيننا) ، يقول: بعين الله ووحيه كما يأمرك، وقد روى عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قوله: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾، وذلك أنه لم يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله إليه أن يصنعها على مثل جَوْجُو الطائر."

٤- ذكر سيد قطب^(٥) أن النهي دل في قوله: ﴿ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ على ما يلي.

أ- على أن كفار قومه سينزل بهم عقاب عظيم، لأن المراد بالمخاطبة المنهي عنها، المخاطبة التي ترفع عقابهم فتكون لنفعهم كالشفاعة، وطلب تخفيف العقاب لا مطلق المخاطبة^(٦).

ب- لعل هذا النهي توطئة عن مخاطبته في شأن ابنه الكافر قبل أن يخطر بباله سؤال نجاته، حتى يكون الرد عليه حين السؤال ألطف على قلب نوح عليه السلام.

٥- في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ مجيء الخبر إنكارياً مؤكداً بـ(إِنَّ) تأكيداً للكلام وتنزيلاً للسامع منزلة المتردد وإخباراً بما سيقع، وبيان لسبب الأمر بصنع الفلك^(٧).

ثانياً: المناسبات:

١- مناسبة الآية للسياق: لما كان الله ﷻ قد أخبر نوحاً عليه السلام بأنه لم يؤمن منهم إلا الذين سبق وآمنوا معك، نهاه أيضاً عن الابتئاس بفعلهم مع شدة جرمهم، مؤذناً بأن الله ﷻ ينتصر له، حيث أوحى الله ﷻ إلى نوح عليه السلام حين ظهر عليهم امارات الإنكار ولاح منهم علامات الاستخفاف والاستكبار أعقبه بالأمر بصنع الفلك لتهيئة نجاته ونجاة من قد آمن به من العذاب الذي قدره الله ﷻ

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (١٧٥ / ٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٦٦ / ١٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٦٦ / ١٢).

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان (٣٠٨ / ١٥)، جَوْجُو الطائر " (بضم الجيم، ثم سكون الهمزة، ثم ضم الجيم) : هو صدره.

(٥) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٨٨٥).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (٦٧ / ١٢).

(٧) انظر: الجدول في إعراب القرآن (١٢ / ٢٦٥).

لقومه، كما قال الله عنه: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ [القمر: ١٠، ١١] (١).

٢- فاصلة الآية: ﴿ إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ ﴾ جاءت هذه الفاصلة في سياق الحديث عن إحياء الله ﷻ إلى نوح ﷺ بالشروع بصناعة الفلك والتي بها سينجو هو ومن آمن من قومه معه، أما طريقة النجاة؛ فهي بركوب الفلك الذي أمر بصناعته نوح ﷺ فناسب أن يكون هلاك العصاة من قومه بالغرق والذي هو سبيل النجاة لهم.

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

وبعد ما حصل لك يا نوح اليأس والقنوط عن إيمانهم، اصْنَعِ الْفُلْكَ والسفينة لحفظك وحفظ من آمن معك من الغرق ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، اى بكنفنا وجوارنا وحفظنا وحصارنا ووَحِينَا لك كيف تصنعها وتشيدها وبعد ما صنعت لا تُخَاطِبْنِي ولا تتاج يا نوح معي في إنجاء القوم، الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ بالمكابرة والعناد ونبذوا وراء ظهورهم ما جئت به من لدنا من الهداية والرشاد، إِنَّهُمْ بسبب انهماكهم في الغفلة والغرور مُعْرِفُونَ، مهلكون، حتماً جزماً لا نجاة لهم أصلاً ولا مناص (٢).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- أول سفينة عبرت البحر هي سفينة نوح ﷺ، وكان صنعها برعاية الله ﷻ وتعليمه نوحاً كيفية الصنع، والمقصود من ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، معنى الإدراك والإحاطة لا التجسيم لأنه سبحانه منزه عن الحواس والتشبيه والتكليف، لا رب غيره ولا خالق سواه (٣).

٢- تبليغ الله ﷻ الى عباده، لا يكون الا بوحى منه ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ ۗ ﴾ [الشورى: ٥١].

٣- الأنبياء-عليهم السلام- يطبقون أمر الله ﷻ بدون أدنى تردد أو شك، فنوح ﷺ لم يسمع ولم ير قبل ذلك بالفلك لكنه فعل كما أمره ربه.

٤- كل من أشرك بالله وكفر بما أنزل على رسوله يكون من الظالمين، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾.

٥- جميع الأنبياء والرسل -عليهم السلام- يحبون لأقوامهم الهداية فهذا نبينا ﷺ مع عمه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال رسول الله ﷺ لعنه عند الموت:

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٦٦)، في ظلال القرآن (٤ / ١٨٨٦).

(٢) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية (١ / ٣٥٣).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٧١).

(قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة، فأبى فأنزل الله ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦] ^(١) .

خامساً: أورد المفسرون في سياق قصة نوح عليه السلام في هذه السورة وفي غيرها بيانات كثيرة منسوبة إلى كعب الأحبار وغيره من رواة المسلمين من اليهود وغيرهم وكثير منها لم يرد في القرآن ولا في السنة، مع أن هناك بعضاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من كان يعرف أشياء كثيرة من قصة نوح عليه السلام وطوفانه وقلبه التي ركبها، وتظاهرت الروايات وكتب التفسير بأن الغرق نال جميع أهل الأرض وعم الماء جميعها، قاله ابن عباس-رضي الله عنهما- وغيره، ويوجب ذلك أمر نوح عليه السلام بحمل الأزواج من الحيوانات كلها خوفاً من إفناء أجناسها من جميع الأرض ^(٢) .

وقد بذلت كل ما بوسعي للحصول على أحاديث مخرجة، فلم أجد سوى هذا الحديث: الذي أخرجه ابن أبي حاتم بسنده أن عائشة-رضي الله عنها- زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال: «لَوْ رَحِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ أَحَدًا، لَرَحِمَ أُمَّ الصَّبِيِّ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : (كَانَ نُوحٌ مَكَثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ وَعُزِسَ مِائَةَ سَنَةٍ الشَّجَرِ فَعَظُمَتْ، وَذَهَبَ كُلُّ مَذْهَبٍ ثُمَّ قَطَعَهَا، ثُمَّ جَعَلَهَا سَفِينَةً وَيَمْرُونَ عَلَيْهِ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَيَقُولُونَ: يَعْمَلُ سَفِينَةً فِي الْبِرِّ، فَكَيْفَ تَجْرِي؟ قَالَ: سَوْفَ تَعْلَمُونَ، فَلَمَّا فَرَعَ وَنَبَعَ الْمَاءُ وَصَارَ فِي السَّكِّ خَشِيَتْ أُمَّ الصَّبِيِّ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ تُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، فَخَرَجَتْ إِلَى الْجَبَلِ حَتَّى بَلَغَتْ ثُلُثَهُ، فَلَمَّا صَارَ الْمَاءُ عَلَى الْجَبَلِ فَلَمَّا بَلَغَهَا الْمَاءُ خَرَجَتْ بِهِ حَتَّى اسْتَوَتْ عَلَى الْجَبَلِ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءُ رَقَبَتَهَا دَفَعَتْهُ بِيَدَيْهَا فَرَفَا فَلَوْ رَحِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ أَحَدًا لَرَحِمَ أُمَّ الصَّبِيِّ) ^(٣) .

هذه التفاصيل عن السفينة وطولها وطبقاتها وما حمل فيها، وعن المخلوقات وكيفية خلقها من بعضها ... إلخ ذكرها الطبري والسيوطي أيضاً، وهي من الإسرائيليات التي اختلقها اليهود وأضربهم على مر العصور، وكانت شائعة مشهورة في الجاهلية، فلما جاء الإسلام نشرها أهل الكتاب الذين أسلموا بين المسلمين، وهؤلاء رووها بحسن نية، ولم يزيفوا اعتماداً على أن ظاهرها البطلان ^(٤) .

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب دعوة الكافر إلى الإسلام، رقم: ٤١ ، (٤٣/١٤١) .

(٢) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/١٦٨) .

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦/٢٠٢٧) .

(٤) انظر: تفسير البغوي - طيبة (٤/١٧٥) .

المطلب الثالث: سخرية قوم نوح عليه السلام عند صناعته للسفينة.

قال تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ [هود: ٣٨، ٣٩].

أولاً: وجوه البلاغة:

- ١- وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ ﴾ الواو في أول الآية تفيد عطف على جملة ﴿ وَاَصْنَعُ الْفُلْكَ ﴾، أي أوحى الله ﷻ إلى نوح عليه السلام أن اصنع الفلك ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ ﴾ وهي حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة، فنحن نراه ماثلاً لخيالنا من وراء هذا التعبير. ونرى الجماعات من قومه المتكبرين يَمرون به فيسَخرون^(١).
- ٢- عبر عن صنعه بصيغة المضارع لاستحضار الحالة لتخييل السامع أن نوحا عليه السلام بصدد العمل.
- ٣- وجملة ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ ﴾ في موضع الحال من ضمير يصنع، كأنه قيل: ويصنعها، والحال أنه كلما مر عليه المَلَأَ^(٢).
- ٤- كلمة ﴿ وَكُلَّمَا ﴾ مركبة من (كلّ) و (ما) الظرفية المصدرية أشربت معنى الشرط مثل (إذا) فاحتاجت إلى جواب وهو ﴿ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾^(٣).
- ٥- السخر بضم السين وفتح الخاء هو الذي يسخر من الناس: أو الهزاء، قيل: وهو النظر إلى المسخور بعين النقص، وقال القرطبي: إنَّ السخرية وهي اسم منه، الاستحراق والاستهانة، والتبنيه على العيوب والنقائص بوجه يضحك منه. والأكثر تعدية فعله بـ ﴿ مِنْ ﴾ وهي لغة الكتاب العزيز، كما تدل عليه الآية التي نحن بصددنا^(٤).

(١) انظر: التحرير والتنوير (٦٨ / ١٢).

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير (٦ / ١٥١)، التحرير والتنوير (٦٧ / ١٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٦٧ / ١٢).

(٤) انظر: تفسير آيات الأحكام للسايس (ص: ٧٠٧)، انظر: دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٢ / ١٢١).

٦- في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا﴾ جمع الضمير في قوله: ﴿مِنَّا﴾، وفي قوله: ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ يشير إلى أنهم يسخرون منه في عمل السفينة ومن الذين آمنوا به إذ كانوا حوله واثقين بأنه يعمل عملاً عظيماً^(١).

٧- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ وبها أقوال:
أ- إن تسخروا من قولنا فإننا نسخر من غفلتكم.

ب- إن تسخروا من فعلنا عند بناء السفينة، فإننا نسخر منكم عند الغرق.

ت- إن تسخروا منا في الدنيا، فإننا نسخر منكم في الآخرة.

ث- إن تسخروا منا، فإننا نستنصر الله عليكم.

ج- إن حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع فإننا نحكم عليكم بالجهل فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله فسمى هذا سخرية، ليتفق اللفظان مجازاً وإنما أطلق ذلك لأن جزاء الذم على السخرية بالمقدار المستحق، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] ، وقد تضمن هذا وعيد شديد وتهديد أكيد^(٢).

د- وإن كان بين السببين بون. فالسخريتان مقترنتان في الزمن. بذلك يتضح وجه التشبيه في قوله: كما تسخرون فهو تشبيه في السبب الباعث على السخرية^(٣).

فإن قيل: كيف تجوز السخرية من النبي ﷺ؟ قيل: هذا على ازدواج الكلام، يعني: إن تستجهلوني فإنني أستجهلكم إذا نزل العذاب بكم. وقيل: معناه إن تسخروا منا فسترون عاقبة سخرتكم^(٤).

وقد ذكر في تفسير ابن أبي حاتم؛ حدثنا أبي، حدثنا أبو تقي هشام بن عبد الملك، حدثنا ببيعة، حدثتني أم عبد الله يعني بنت خالد بن معدان، عن أبيها قال: يقال: " الَّذِينَ يَسْخَرُونَ مِنَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَإِذَا أُنْزِلَتْ رُدُّوا وَقِيلَ لَهُمْ: سَخِرَ بِكُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَسْخَرُونَ بِالنَّاسِ فِي الدُّنْيَا"^(٥).

٨- من أسباب سخرية قوم نوح ﷺ به:

(١) انظر: التحرير والتنوير (٦٨ / ١٢).

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص ت قماوي (٣٧٧ / ٤)، مختصر تفسير ابن كثير (٢ / ٢١٩)، انظر: تفسير النيسابوري = غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٤ / ٢١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٦٨ / ١٢).

(٤) انظر: تفسير البغوي - إحياء التراث (٢ / ٤٤٨).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ٢٠٢٧).

أ- أنهم كانوا يرونه يبني في البر سفينة فيسخررون منه ويستهزئون به ويقولون: يا نوح صرت بعد النبوة نجاراً.

ب- أنهم لما رأوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا يا نوح: ما تصنع؟ قال: أبني بيتاً يمشي على الماء؛ فعجبوا من قوله وسخروا منه^(١).

ت- وقيل: إن المدة التي عكف على صنع الفلك طالت، وكان يذره في الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة^(٢).

٩- كاف التشبيه في قوله تعالى: ﴿ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ تفيد معنى التعليل كالتي في قوله تعالى: ﴿ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨]، أفادت هنا التفاوت بين السخريتين، لأن السخرية المعللة أحق من الأخرى، فالكفار سخروا من نوح ﷺ لعمل يجهلون غايته، ونوح ﷺ وأتباعه سخروا من الكفار لعلمهم بأنهم جاهلون في غرور، كما دل عليه قوله: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ فهو تفریع على جملة فإننا نسخر منكم أي سيظهر من هو الأحق بأن يسخر منه^(٣).

١٠- في إسناد (العلم) إلى ضمير المخاطبين ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ دون الضمير المشارك بأن يقال: فسوف نعلم، إيماء إلى أن المخاطبين هم الأحق بعلم ذلك، وفي هذا القول ما يؤكد أن نوحا ﷺ يعلم أن العذاب سوف يأتيهم؛ لأنهم كفروا وسخروا وقالوا ﴿ فَأَتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢]^(٤).

١١- ذكر القرطبي في تفسيره، عن قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ جاءت ﴿ مَنْ ﴾ كالتالي^(٥):

أ- جاءت متصلة بـ ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ و ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ هنا من باب التعدية إلى مفعول، أي فسوف تعلمون الذي يأتيه العذاب.

ب- ويجوز أن تكون "من" استفهامية، أي أينما يأتيه العذاب؟.

ت- وقيل: "من" في موضع رفع بالابتداء و "يأتيه" الخبر.

(١) انظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون (٢ / ٤٧١)، تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (٢ / ٤٨٣).

(٢) انظر: تفسير النيسابوري = غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٤ / ٢١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٦٨).

(٤) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٤٦٩).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (٩ / ٣٣).

١٢- الخزي مصدر خزي يخزي بمعنى ذل وهان بمراى من الناس، وأخزاه أدله على رؤوس الأشهاد، ووجه تعليل طلب الوقاية من النار بأن دخولها خزي. والخزي لا تطيقه الأنفس، لئلا يكون معنى الجزاء ضروري الحصول من الشرط فلا تظهر فائدة للتعليل بالشرط، لأنه يخلي الكلام عن الفائدة حينئذ^(١).

ولأجل هذا أعقبوه بما في الطباع التقادي به عن الخزي والمذلة بالهرع إلى أحلافهم وأنصارهم، فعملوا أن لا نصير في الآخرة للظالم فزادوا بذلك

١٣- حلول العذاب: في قوله تعالى: ﴿ وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ حصوله شبه الحصول بحلول القادم إلى المكان وهو إطلاق شائع حتى ساوى الحقيقة الراسخة.
ثانياً: المناسبات:

أ- فاصلة الآية أولى: في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ جاءت هذه الفاصلة في سياق الحديث عن إحياء الله ﷻ لنبيه نوح ﷺ أن يصنع الفلك، ولما كان قومه لم يروا ماءً وليس عندهم أنهار لاستخدام مثل هذا المركب سخروا منه، فكان رد نوح ﷺ وأتباعه بالمثل، فناسب أن تختتم هذه الآية بالسخرية والتي هي رد عى سخرية القوم لجهلهم بما يفعل نوح ﷺ.

ب- فاصلة الآية الثانية: في قوله تعالى: ﴿ وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ كالنتيجة لتعليلاً لما سبق وتقريراً له للتهويل بمكانة العذاب ووقوعه عليهم ، فعبر بصيغة المضارع في الآية ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ لما في ذلك من الدلالة على قرب وقوع العذاب بهم وتقرير وقوع المخبر به العذاب المقيم بما لا يخفى على أحد^(٢).

ت- مناسبة الآيتين لما سبق: بعد أن تلقى نوح ﷺ وحي ربه وأمره أن هؤلاء هم الذين آمنوا، ولن يؤمن غيرهم أحد، يأمره ﷻ بصنع الفلك ويعلمه كيف تصنع، مشهد نوح يصنع الفلك، وقومه يمررون عليه، والتعبير بالمضارع، ونحن نراه ماثلاً لخيالنا من وراء هذا التعبير، وقومه المتكبرون يمررون به فيسخرون، يسخرون من الرجل الذي كان يقول لهم إنه رسول ثم إذا هو ينقلب نجاراً يصنع مركباً، فكانت نتيجة هذا الاستخفاف به إحلال العذاب الاليم في الدنيا والآخرة^(٣).

(١) انظر: تاج العروس (٣٧/ ٥٤٣)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: ٢٧٥)، انظر: الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٥٠).

(٢) انظر: تفسير أبو السعود (٤/ ١٩٠).

(٣) انظر: صفوة التفاسير (٢/ ١٦).

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

يخبر تعالى أنه أوحى إلى نوح عليه السلام لما استعجل قومه نعمة الله تعالى بهم وعذابه لهم أن يصنع السفينة، وكلما مرّ عليه جماعة من كبراء قومه، هزئوا من نوح، ويقولون له: أتحوّلت نجاراً بعد النبوة، وتعمل السفينة في البر؟ فيجيبهم نوح عليه السلام، إن تهزءوا منا اليوم، فإننا نهزأ منكم في الآخرة، كما تهزءون منا في الدنيا فإذا عاينتم عذاب الله، فسترون من الذي يأتيه عذاب الله لا انقطاع له، مقيم عليه أبداً^(١).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- بيان تاريخ صنع السفن، وكيفية صنعها، وأنها بتعليم من الله لنوح عليه السلام.
- ٢- الأنبياء-عليهم السلام- أول من ينفذوا أوامر الله تعالى من غير سؤال أو اعتراض.
- ٣- بيان سنة البشر في الاستهزاء والسخرية بأهل الحق ودعاته لظلمة نفوسهم بالكفر والمعاصي، وسخريتهم إما بقولهم: يا نوح صرت بعد النبوة نجاراً، وإما؛ لأنهم لم يشاهدوا سفينة تبنى وتجري على الماء^(٢).
- ٤- المؤمن واثق بأن الكافر لن يفلت من عقاب الله تعالى سواء في الدنيا أو في الآخرة.
- ٥- اليأس من إيمان قوم نوح عليه السلام واستدامة كفرهم، تحقيقاً لنزول الوعيد بهم^(٣).
- ٦- الواثق بأنه على الحق لا يززع ثقته مقابلة السفهاء أعماله النافعة بالسخرية، ولا يثنية ذلك عن مواصلة عمله^(٤).
- ٧- يجب على الدعاة إلى الله تعالى ألا ييأسوا من تبليغ دعوة الله لأقوامهم، مهما كذبوا وأذوا.

المطلب الرابع: سنة الأنبياء جميعاً الابتداء بالبسملة.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ * وَقَالَ اذْكُبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [هود: ٤٠، ٤١].

أولاً: معاني المفردات:

(١) انظر: صفوة التفاسير (٢/ ١٦)، تفسير الطبري = جامع البيان (١٥/ ٣١٠).

(٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٤٣).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢/ ٧١).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٣٣).

التَّنُورُ: نوع من الكوانين، وفي الصحاح: التنور: (الكانون) الذي (يخبز فيه)، وقيل أن هذا الاسم في الأصل أعجمي، فعربتھا العرب، فصار عربياً على بناء فعول^(١).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى ﴾ هي التي يبتدأ بعدها الكلام، وهي غاية لـ ﴿ يَصْنَعُ الْفُلْكَ ﴾ [هود: ٣٨]، أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعود^(٢).

٢- ﴿ إِذَا ﴾ ظرف متضمن معنى الشرط ولذلك جيء له بجواب، وهو جملة ﴿ قُلْنَا ائْمَلْ ﴾، وجعل الشرط وجوابه غاية باعتبار ما في حرف الشرط من معنى الزمان وإضافته إلى جملة الشرط، فحصل معنى الغاية عند حصول مضمون جملة الجزاء وفيه إيجاز^(٣).

٣- وقد ذكر الإمام الرازي الأمر في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ على وجهين^(٤):
أ- أنه تعالى بين أنه لا يحدث شيء إلا بأمر الله ﷻ كما قال: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠] فكان هذا المراد.

ب- أن يكون المراد من الأمر هنا هو العذاب الموعود به".

٤- ذكر المفسرون في ﴿ التَّنُورُ ﴾ أقوالاً كثيرة، منها: هو المكان الذي كان آدم عليه السلام يخبز فيه، أو هو المكان الذي كانت تعمل فيه حواء، أو هو بيت نوح عليه السلام، أو هو بيت سيدة عجوز^(٥).

قال النحاس^(٦): وهذه الأقوال ليست بمتناقضة، لأن الله ﷻ أخبرنا أن الماء جاء من السماء والأرض، قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر: ١١]، [١٢]. فهذه الأقوال تجتمع في أن ذلك كان علامة. والפורان الغليان. والتنور اسم أعجمي عربته العرب، التمثيل لحضور العذاب، كقولهم: حمي الوطيس إذا اشتدت الحرب^(٧).

(١) انظر: تاج العروس (١٠ / ٢٩٥).

(٢) انظر: الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٣٩٤).

(٦) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧ / ٣٤٦).

(٥) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٤٧١).

(٦) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس: مفسر، أديب. مولده ووفاته بمصر. كان من نظراء نبطويه وابن الأثيري. زار العراق واجتمع بعلمائه. (٣٣٨ هـ = ٩٥٠ م)، صنف (تفسير القرآن) و (إعراب القرآن - خ) و (تفسير أبيات سيبويه - ط) و (ناسخ القرآن ومنسوخه - ط) و (معاني القرآن - خ) الجزء الأول منه، و (شرح المعلقات السبع - ط) الأعلام للزركلي (١ / ٢٠٨).

(٧) انظر: تفسير القرطبي (٩ / ٣٤).

٤- الفائدة في دخول ("إلا" و "ما") لأنك لو قلت: آمن معه فلان وفلان جاز أن يكون غيرهم قد آمن، فإذا جئت ب("إلا" و "ما")، أوجبت لما بعد إلا ونفيت عن غيرهم والاستثناء جوز أن يكون متصلاً إن أريد بالأهل الأهل إيماناً، وأن يكون منقطعاً إن أريد به الأهل قرابة^(١).

٥- قوله تعالى: ﴿ مِنْ كُلِّ ﴾ تعني: أن يحمل من كل الكائنات، وتدل على ذلك كلمة ﴿ كُلِّ ﴾ المنونة وتفيد التعميم أي: احمل في السفينة من كل شيء، تطلبه حياة الناجين من جميع أصناف النباتات والحيوانات^(٢).

٦- قوله تعالى: ﴿ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ تدل على أن كلمة (زوج) تعني مفرد معه مثله، ذكراً وأنثى سواءً بسواء ؛ بدليل قول الحق ﷻ: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء: ١]. وذلك من أجل بقاء أصل النسل بعد الطوفان^(٣).

٥- الفائدة في قوله: ﴿ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾:

أ-لأننا نقول هذا على مثال قوله: ﴿ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [النحل: ٥١]، وقوله: ﴿ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٣].

ب- قوله تعالى: ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ يدخل فيه كل الحيوانات، وأما النبات فاللفظ لا يدل عليه، إلا أنه بحسب قرينة الحال لا يبعد بسبب أن الناس محتاجون إلى النبات بجميع أقسامه والله أعلم^(٤).

٨- قوله تعالى: ﴿ وَأَهْلِكَ ﴾ وأهل الرجل هم قرابته وأهل بيته، ويطلق لفظ الأهل على امرأة الرجل قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ [القصص: ٢٩]، وقال تعالى:

﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢١] أي من عند عائشة- رضي الله عنها والواو هنا هي عطف على ﴿زَوْجَيْنِ﴾ أو على ﴿ اثْنَيْنِ ﴾ والمراد امرأته وبنوه ونسأؤهم^(٥).

٩- التعريف في قوله تعالى: ﴿ الْقَوْلُ ﴾ للعهد، يعني إلا من كان من أهلك كافراً. وجيء بعلى لكون السابق ضاراً لهم، كما جيء باللام فيما هو نافع لهم من قوله ﷻ ﴿ إِنَّ الدِّينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْهُ الْحُسْنَى ﴾ [الأنبياء: ١٠١]^(٦).

(١) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٨٧٨)، تفسير القرطبي (٩ / ٣٥).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٤٧١).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٩ / ٣٤).

(٤) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٨٧٧).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٧٢)، انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٢٠٨).

(٦) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٢٠٨).

١٠- قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ سبق بحرف على لتضمين سبق معنى: حكم، كما عدي باللام في قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١] لتضمينه معنى الالتزام النافع^(١).

١١- قوله تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ إيثار صيغة الإفراد في آمن محافظة على لفظ ﴿مَنْ﴾ للإيذان بقلتهم^(٢). اعتبار المعية في إيمانهم للإيماء إلى المعية في مقر الأمان والنجاة.

١٢- قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ يعلمنا أن جريانها إنما يتم بمشيئة الله ﷻ وأنهم يركبون فيها، لا لمكانتهم الشخصية، ولكن لإيمانهم بالله ﷻ، والأصل اركبوا قائلين ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ نصب على الظرفية أي وقت إجرائها وإرسائها على أنهما اسما زمان، والباء في ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ للملابسة، وهي في موضع الحال من ضمير ﴿ارْكَبُوا﴾ أي ملابسين لاسم الله، وهي ملابسة القول لقائله، وهذا تعبير عن تسليمها للمشيئة في جريانها ورسوها، فهي في رعاية الله ﷻ وحماه^(٣).

١٤- قوله تعالى: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾:

أ- أي صيروا فيها، وجعل ذلك ركوبا؛ لأنها في الماء كالمركوب في الأرض ففيه استعارة تبعية من حيث تشبيه الصيرورة فيها بالركوب، ومعنى الركوب العلو على شيء له حركة؛ إما إرادية كالحيوان أو قسرية كالسفينة، والعجلة، ونحوهما فإذا استعمل في الأول توفر له حظ الأصل فيقال: ركبت الفرس، وعليه قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨]، وإن استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال: ركبت في السفينة، وعليه الآية الكريمة، وقوله سبحانه:

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾ [العنكبوت: ٦٥]^(٤).

ب- ليس المعنى على اركبوا في وقت الإجراء والإرساء، أو في مكانهما وإنما المعنى متبركين أو قائلين فيهما، وفي ذلك حث على الركوب وإزالة لما عسى يختلج في قلوبهم من خوف الغرق ونحوه^(٥).

١٥- ذكر القرطبي^(٦) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٧٢).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٢٠٨).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٤٧٥)، في ظلال القرآن (٤ / ١٨٧٨)، التحرير والتنوير (١٢ / ٧٣).

(٤) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٨٧٧).

(٥) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٥٥).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (٩ / ٣٦).

- أ- الجملة مستأنفة لبيان الموجب أي لولا مغفرته ورحمته إياكم لما أنجاكم من هذه الطامة، وفيه دلالة على أن نجاتهم لم تكن عن استحقاق لأنهم كانوا مؤمنين بل بمحض رحمة الله ﷻ وغفرانه.
- ب- يقال: امتثلوا هذا الحكم لينجيكم من الهلاك بمغفرته ورحمته.
- ت- أو يقال: اركبوا فيها ذاكرين الله تعالى ولا تخافوا الغرق لما عسى فرط منكم من التقصير لأن الله ﷻ شأنه غفور للخطايا والذنوب رحيم بعباده.
- ث- قد جعلت تعليلاً بالنظر إلى ما فيها من الإشارة إلى النجاة فكأنه قيل: اركبوا لينجيكم الله.
- ثالثاً: المناسبة:**

استكمالا لقصة نوح ﷺ، بعد أن أمره الله ﷻ بصنع الفلك، فامتثل لأمر ربه، وبدأ يصنعها بإيحاء من الله تبارك وتعالى كيفية صنعها، والقوم يمرّون عليه ساخرين مما يعمل، وهو واثق بما أبلغه ربه، وعند كمال صنعها، وجاء وعد الله ﷻ للقوم ناسب السياق أن ينجي الله ﷻ من آمن من القوم حيث يأمرهم بالركوب في هذا الفلك لأنه سوف ينجيهم ويغرق المكذبين، فهذا الركوب وهذه النجاة من الله ﷻ لأولياته إنه هو الذي يغفر ويتجاوز عما كان من تقصير.

رابعاً: التفسير الإجمالي:

حَتَّى إِذَا حَانَ حُلُولُ أَجَلِنَا الَّذِي قَدْ أَجَلْنَا وَقَدَرْنَا لِمَقْتِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ فِي حَضْرَةِ عَلْمِنَا وَلَوْحِ قَضَائِنَا وَنَبْعِ وَعِلَا حَيْثُ النَّوْرُ الْمَعْهُودِ وَنَبْعِ مَاءِ الطُّوفَانِ مِنْهُ وَبَعْدِ فُورَانِ التَّنُورِ الْمَعْهُودِ وَغَلِيَانِهِ وَاطْلَعَتْ عَلَيْهِ امْرَأَتُهُ فَأَخْبَرْتَهُ قُلْنَا لَهُ تَفَضَّلَا عَلَيْهِ وَامْتَنَانَا أَحْمِلْ فِيهَا أَيَّ فِي السَّفِينَةِ مِنْ كُلِّ رَوْجَيْنِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْبَرِّ وَفِي الْهَوَاءِ اثْنَيْنِ ذَكَرَا وَأُنْثَى وَاحِمِلْ أَيْضًا عَلَيْهَا أَهْلَكَ أَيَّ جَمِيعِ أَهْلِ بَيْتِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ قَضَاؤُنَا بِأَنَّهُ قَدْ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ الْمَغْرُوقِينَ وَاحِمِلْ أَيْضًا فِيهَا جَمِيعَ مَنْ آمَنَ لَكَ مِنْ قَوْمِكَ وَالْحَالُ أَنَّهُ مَا آمَنَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا قَلِيلٌ قِيلَ كَانُوا تِسْعَةً وَسَبْعِينَ.

وَبَعْدَ مَا نَبَعَ التَّنُورُ وَانْتَشَرَ الْمَاءُ وَانْبَسَطَ عَلَى الْأَرْضِ قَالَ نُوْحٌ ﷺ بُوْحِي اللَّهُ ﷻ إِيَّاهُ وَالْهَامَةَ صَيَّرُوا فِي جَوْفِهَا مَتَمَكِّنِينَ وَاسْتَقَرُّوا عَلَيْهَا قَاتِلِينَ مَتِيمِينَ بِسْمِ اللَّهِ إِذْ هُوَ ﷻ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ إِجْرَاءَهَا مُرْسَاهَا حَيْثُ أَرَادَ إِجْرَائُهَا وَإِرْسَاءُهَا، إِنَّ رَبِّي الَّذِي رَبَّنِي بَلَطْفِهِ وَأَوْحَالِي بِصَنْعِهَا وَنَحْتِهَا لَعَفُورٌ لِمَنْ اسْتَغْفَرَ لَهُ، رَحِيمٌ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ وَيَمْحُو زَلَّتَهُ، وَيُنْجِي مِنْ عَذَابِهِ، فَرَكَبُوا مَسْمِيِينَ مَتِيمِينَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- الطرق التي يبلغ الله ﷻ أنبياءه ليس فقط بالإلهام أو الوحي؛ بل كان جلياً هنا بالعلامات الواضحة لكن تفسيرها كان يعفره نوح ﷺ.

(١) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية (١/ ٣٥٣)، تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٢٥٦).

٢- إن سبب نجات قوم نوح عليه السلام لم تكن عن استحقاق بسبب أنهم كانوا مؤمنين، بل بمحض رحمة الله تعالى وغفرانه، وهذا للناس عامة وللمؤمنين خاصة، ليعلموا أن رحمة الله تعالى ومغفرة الذنوب بفضل الله ومنته ^(١).

٣- هذه الآيات الكريمة قد قررت حكم الله الفاصل في شأن قوم نوح عليه السلام بعد أن لبث فيهم زمنا طويلا يدعوهم إلى الحق، ولكنهم صموا آذانهم عنه فأمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يحمل في السفينة بعد أن أتم صنعها من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكراً وأنثى ^(٢).

٤- دائماً أهل الإيمان أقلّة، لكن هؤلاء الله تعالى ناصرهم ومؤيِّدهم، فهذا نوح عليه السلام قال عنه الله تعالى : **﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾** [العنكبوت: ١٤] وقال تعالى: **﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾** [هود: ٤٠].

٥- "الآية دليل على ذكر البسمة عند ابتداء كل فعل" ^(٣).

سادساً: القراءات القرآنية:

١- قوله تعالى: **﴿ اِحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ ﴾** : هناك قراءتان لهذه الكلمة ^(٤):

أ- قرأ حفص **﴿ كُلٌّ ﴾** بالتثوين.

ب- قرأ الباقون **﴿ كُلُّ ﴾** بترك التثوين.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة **﴿ كُلِّ ﴾** بالتثوين، على معنى: من كل شيء ومن كل زوج زوجين فحذف المضاف اليه، وهو بتقدير شيء أو زوج وعوض عنه بالتثوين. ومفعول **﴿ اِحْمِلْ ﴾** هو **﴿ زَوْجَيْنِ ﴾**، و**﴿ اثْنَيْنِ ﴾** توكيد له ^(٥).

وقراءة **﴿ كُلِّ ﴾** بترك التثوين على الإضافة، وفيه وجهان : أحدهما أنّ مفعول **﴿ اِحْمِلْ ﴾** هو **﴿ اثْنَيْنِ ﴾** توكيد له. وعلى هذه القراءة به وجهان :

أحدهما أنّ مفعول **﴿ اِحْمِلْ ﴾** هو **﴿ اثْنَيْنِ ﴾**، تقديره: احمِلْ فيهما اثنين من كل زوج.

والثاني أن **﴿ من ﴾** زائدة والمفعول **﴿ كل ﴾** و**﴿ اثْنَيْنِ ﴾** توكيد ^(٦).

(١) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٥٦).

(٢) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٧ / ٢٠٣).

(٣) التفسير المنير (١٢ / ٧١).

(٤) انظر: الحجة للقراء السبعة (٤ / ٣٣١).

(٥) انظر: مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني (ص: ٢١٢)، تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن

(٥ / ١٧٠).

وعليه فإن القراءة بالإضافة جاءت موضحة للقراءة بالتتوين وعلى كلتا القراءتين يصبح معنى الآية: حمل في السفينة من كل صنف زوجين، ذكراً وأنثى. والله تعالى أعلم.
قال الإمام الطبري " : وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين :الزوجان في كلام العرب : الاثنان مطلقاً"^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ هناك قراءتان لهذه الكلمة:

أ- قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿ مَجْرَاهَا ﴾ بفتح الميم.

ب- قرأ الباقون ﴿ مُجْرَاهَا ﴾ بضم الميم.

(الجرى) :المَرُّ السريع، يقال :جَرَى يجري جَرِيًا وجريَانًا وجَرِيَةً، وأصله كَمَر الماء، ولما يجري بجريه و﴿ مَجْرَاهَا ﴾ بالفتح والضم: مصدرًا جَرَى وأجرى^(٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات^(٣):

* القراءة الأولى: ﴿ مَجْرَاهَا ﴾ بفتح الميم مصدر(جرى) الثلاثي من قولهم: جرت السفينة جَرِيًا ومَجَرَى، على معنى :بسم الله حين تجري نسب الجري إلى السفينة، وفي هذا إشارة إلي ضرورة الأخذ بالأسباب -فلولا إتقان الصنعة ما جرت وهذا بتوجيه ورعاية من الله ﷻ.

* القراءة الثانية: ﴿ مُجْرَاهَا ﴾ بضم الميم مصدر (أجرى) الرباعي، على معنى: بالله إجراؤها. فقد نسبت (الجري) إلى الله ﷻ، وفي هذا توجيه، أن مقاليد الأمور كلها لله ﷻ، فلو لم يشأ بجريها لم تجربها.

وكلا القراءتين تخدم المعنى، إذ لولا توجيه الله ﷻ إلى نوح ﷺ بصنع السفينة وتسخير السفينة من الله ﷻ للجري على الماء ما نجا نوح ﷻ ولا أحد من قومه، وكل ذلك تنبيه لنا على ضرورة الأخذ بالأسباب ومن ثم التوكل على الله ﷻ والله تعالى أعلم.
سابعاً: الأسباب التي جعلت نوح ﷻ يدعو على قومه:

روى الإمام أحد بسنده عن الحسن، (أن نُوحًا ﷻ لَمْ يَدْعُ عَلَى قَوْمِهِ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٣٦]، فَأَنْقَطَعَ رَجَاؤُهُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ قَالَ: «فَدَعَا عَلَيْهِمْ عِنْدَ ذَلِكَ»^(٤).

(١) انظر: النحو الوافي (١ / ٤٠)، التحرير والتنوير (١٢ / ٧٢).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان (١٥ / ٣٢٣).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٥٤)، القاموس المحيط (ص: ١٢٨٨)، الحجة للقراء السبعة (٤ / ٣٣١).

(٤) انظر: حجة القراءات (ص: ٣٤٠)، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني (ص: ٢١٢).

(٥) الزهد لأحمد بن حنبل، كتاب: قصة نوح عليه السلام (ص: ٤٦).

قيل لنوح هذا بعد أن طال عليه كفر القرن بعد القرن به، وكان يأتيه الرجل بابنه فيقول: يا بني لا تصدق هذا الشيخ فهكذا عهدته أبي وجدي كذابا مجنوناً رواه عبيد بن عمير وغيره، وهذه الآية هي التي أياست نوحا عليه السلام من قومه، فروي أنه لما أوحى إليه ذلك دعا فقال: ﴿ رَبِّ لَا تَذُرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] (١).

روى ابن أبي حاتم بسنده، أَنَّهُمْ " كَانُوا يَبْطِشُونَ بِهِ يَعْنِي: نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَخْنُقُونَهُ حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ، فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، حَتَّى إِذَا تَمَادَوْا فِي الْمَعْصِيَةِ وَعَظُمَتْ فِيهِمْ فِي الْأَرْضِ الْخَطِيئَةُ، وَتَطَاوَلَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الشُّنُّ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ مِنْهُمْ الْبَلَاءُ، وَأَنْتَظَرَ النَّجْلَ بَعْدَ النَّجْلِ فَلَا يَأْتِي قَرْنٌ إِلَّا كَانَ أَحَبَّتْ مِنَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، حَتَّى إِنْ كَانَ الْآخِرُ مِنْهُمْ لَيَقُولُ: قَدْ كَانَ هَذَا مَعَ آبَائِنَا وَمَعَ أَجْدَادِنَا هَكَذَا مَجْنُونًا، لَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ شَيْئًا، حَتَّى شَكَا ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَقَالَ: كَمَا قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ" (٢).

(١) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٦٨).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٢).

المبحث الرابع

انتهاء الطوفان ونجاة نوح عليه السلام ومن معه وهلاك ابنه وقومه

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٤٢-٤٩)

وفيه ستة مطالب:

- المطلب الأول: غرق ابن نوح عليه السلام.
- المطلب الثاني: انتهاء فترة هلاك قوم نوح عليهم السلام.
- المطلب الثالث: العدل الإلهي مطلق.
- المطلب الرابع: استعادة نوح عليه السلام بالله تعالى من سؤاله ما لم يعلم.
- المطلب الخامس: نجاة نوح عليه السلام ومن معه.
- المطلب السادس: قصة نوح عليه السلام من أنباء الغيب.

المبحث الرابع

انتهاء الطوفان ونجاة نوح عليه السلام ومن معه وهلاك ابنه وقومه

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٤٢ - ٤٩)

المطلب الأول: غرق ابن نوح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود: ٤٢، ٤٣].

أولاً: معاني مفردات:

١ - سَأُوِي: وأويت إلى فلان وأواني هو. وأويت للرجل إذا رحمته.

وأوى الرجل إلى الموضع يأوي أويًا وأويته إلى نفسي إيواء. ومصدر أوى يأوي أويًا وأويت إيواء أوى: تقول العرب: أوى إلى منزله يأوي أويًا، وأويته أنا إيواء أوى المأوى، كل مكان يأوي إليه شيء ليلًا أو نهارًا. وقد أوى فلان إلى منزله يأوي أويًا، على فعول، وإواء^(١).

٢ - "موج" الموج: (م وج) : ماج البحر موجا اضطرب والموجة أخص من الموج وجمع الواحدة على لفظها موجات وجمع الموج أمواج مثل ثوب وأثواب وتموج اشتد هياجه واضطرابه ومنه قيل ماج الناس إذا اختلفت أمورهم واضطربت^(٢).

المجاز: الموج: (الميل). يقال: (ماج عن الحق) : مال عنه، من الأساس^(٣).

٣ - "مَعْزِلٍ": العين والزاء واللام أصل صحيح يدل على تنحية وإمالة تقول: عزل الإنسان الشيء يعزله، إذا نحاه في جانب. وهو بمعزل من أصحابه، أي في ناحية عنهم. والعزلة: الاعتزال^(٤). والمعزل: في قوله تعالى: ﴿ فِي مَعْزِلٍ ﴾ مكان العزلة أي الانفراد، أي في معزل عن المؤمنين إما لأنه كان لم يؤمن بنوح عليه السلام فلم يصدق بوقوع الطوفان، وإما لأنه ارتد فأنكر وقوع الطوفان فكفر بذلك لتكذيبه الرسول^(٥).

(١) انظر: جمهرة اللغة (١/ ٢٥٠)، تهذيب اللغة (١٥/ ٤٦٦)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٢٧٤).

(٢) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٥٨٥)، جمهرة اللغة (١/ ٤٩٥).

(٣) تاج العروس (٦/ ٢٢١).

(٤) مقاييس اللغة (٤/ ٣٠٧).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٧٥).

ثانياً: وجوه البلاغة:

- ١- في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى ﴾ عطف هذه الجملة على أعلق الجمل بها اتصالاً وهي ﴿ وَقَالَ اذْكَبُوا فِيهَا ﴾ لأن نداءه ابنه كان قبل جريان السفينة في موج كالجبال، إذ يتعذر إيقافها بعد جريها لأن الراكبين كلهم كانوا مستقرين في جوف السفينة^(١).
- ٢- في قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ ﴾ اتصلت بمحذوف دل عليه ﴿ اذْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ ﴾ كأنه قيل: فركبوا فيها يقولون: بسم الله^(٢).
- ٣- في قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ ﴾ أى تجرى وهم مستقرون فيها.
- ٤- في قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾، إن القارئ يرى في هذا صوراً تثير الخيال، وتجعل الخبر كالمركب، وإن ذكر الموج في هذا المقام يصور كيف كان السيل عارماً، وأنه لم يكن غيثاً، حتى لم يبق إلا من خرج بالسفينة نجياً، فضخامة الموج وارتفاعه، تصور بالجبال، وصورة الجبال مألوفة مشاهدة، ، وتصور في الوقت نفسه، ما كان يحس به ركاب هذه السفينة وهم يشاهدون هذه الأمواج، من رهبة وجلال معاً، كما يحس بهما من يقف أمام شامخ الجبال^(٣).
- ٥- في قوله تعالى: ﴿ مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ الكاف للتشبيه، شبه الموج بالجبال في الضخامة والامتداد الشامخ. وتشبيه (الموج) بالجبال ضرورة بيانية لأن المقام يقتضي إبراز نعمة الله وكيف نجى المؤمنين وسط الطوفان وتلاطم الأمواج، ومع هذا فإن السفينة ظلت تمخر الماء في سلام^(٤).
- ٦- في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾، استثناء منقطع، كأنه قيل: ولكن من رحمه الله ﷻ فهو المعصوم، كقوله تعالى: ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾^(٥).
- ٧- في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ عدة أقوال وهي:
أ- قيل: كان كافراً واسمه كنعان^(٦).
ب- قيل: إن نوحاً ﷺ لم يعلم أن ابنه كان كافراً وظن أنه مؤمن، ولذلك قال له: ﴿ وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ [هود: ٤٢]^(٧).

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٧٥).

(٢) تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٣٩٦).

(٣) انظر: المعجزة الكبرى القرآن (ص: ١٥٤). خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١ / ٢٦١)، وظيفة

الصورة الفنية في القرآن (ص: ١٠٠)، من بلاغة القرآن (ص: ١٤٨).

(٤) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢ / ٢٦٣).

(٥) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٣٩٧).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (٩ / ٣٨).

(٧) انظر: تفسير القرطبي (٩ / ٣٨).

ت- قيل: كان ابن قريب له ودعاه بالبنوة حناناً منه وتلطفاً^(١).

ج- قرأ علي، وعروة، وعلي بن الحسين، وابنه أبو جعفر، وابنه جعفر-رضي الله عنهم أجمعين: ابنه بفتح الهاء من غير ألف أي: ابنها مضافاً لضمير امرأته، ويمكن أن نسب إلى أمه وأضيف إليها، ولم يضاف إلى أبيه لأنه كان كافراً مثلها^(٢).

ح- وعن علي-كرم الله تعالى وجهه- أنه قرأ ابنها علي أن ضمير التأنيث لامرأته، وفي إضافته إليها إشعار بأنه ربيبه لأن الإضافة إلى الأم مع ذكر الأب خلاف الظاهر^(٣).

خ- لكنه عليه السلام ظن أنه عند مشاهدة تلك الأحوال وبلوغ السيل الزبي ينجر عما كان عليه ويقبل الإيمان^(٤).

يري الباحث أن من آداب المفسرين -جزاهم الله خيراً- محاولتهم إبعاد صلة القرابة بين نوح عليه السلام وابنه، تقديراً ورفعة واحتراماً لمكانته، لكنني مع إجلالي واحترامي لنبي الله نوح عليه السلام، وكذلك تقديري واحترامي إلى من افنوا أعمارهم في تفسير كتاب الله عز وجل فنحن من زرعهم. ومن المعلوم أن الآباء والأبناء بمنزلة واحدة، قال تعالى: ﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١]. وقد ثبت بالدليل القاطع أن أبا إبراهيم كان مشركاً، قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ [مريم: ٤٤]. أرى أن الله عز وجل لا يحابي أحداً.

٨- في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ من رحم يقع فيه من على المعصوم. والضمير الفاعل يعود على الله عز وجل، وضمير الموصول محذوف، ويكون الاستثناء منقطعا أي: لا يعصمك اليوم معتمصم قط من جبل ونحوه سوى معتمصم واحد، وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم، يعني في السفينة. لكن من رحمه الله معصوم^(٥).

١٠- في قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ اذْكَبْ مَعَنَا﴾، هذه الجملة بيان لجملة ﴿وَنَادَى﴾ وهي ارشاد له ورفق به^(٦).

١١- وأما جملة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ فهي معطوفة على جملة ﴿اِذْكَبْ مَعَنَا﴾ لإعلامه بأن إعراضه عن الركوب يجعله في صف الكفار إذ لا يكون إعراضه عن الركوب إلا أثراً لتكذيبه بوقوع الطوفان.

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير (١٥٧ / ٦).

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير (١٥٧ / ٦).

(٣) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٢٥٦ / ٦).

(٤) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٢٥٧ / ٦).

(٥) انظر: البحر المحيط في التفسير (١٥٨ / ٦)، تفسير الألوسي = روح المعاني (٢٥٨ / ٦).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (٧٦ / ١٢).

١٢- قوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ اَرْكَبْ مَعَنَا ﴾ كناية عن دعوته إلى الإيمان بطريقة العرض والتحذير. وقد زاد ابنه دلالة على عدم تصديقه بالطوفان قوله متهماً ﴿ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾^(١).

١٣- قوله تعالى: ﴿ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾، مراد الابن في مخالفة مراد أبيه^(٢).
١٤- قوله تعالى: ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾، جملة وقوعه في سياق المحاوراة بين نوح عليه السلام وابنه وزاد اليوم للتبنيه على أنه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص منها بالالتجاء إلى بعض الأسباب العادية^(٣).

١٥- قوله تعالى: ﴿ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ جواب على سؤال؛ لماذا يأوي إلى جبل؟ والجواب تقديره لأنه قد سمع نوح عليه السلام حين ينذر الناس بطوفان عظيم فظن الابن أن أعلى الجبال لا يبلغه الماء. والعاصم على هذا حقيقة لكن إسناده إلى المكان مجازي، وقيل: إنه مجاز مرسل عن مكان الاعتصام، والمعنى لا مكان اعتصام إلا مكان من رحمه الله^(٤).

١٦- قوله تعالى: ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ ﴾ والتعبير ﴿ وَحَالَ ﴾، يشعر بسرعة فيضان الماء واشتداده، حتى لكان هذه السرعة لم تمهلها ليكملا حديثهما^(٥).

١٧- قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرُقِينَ ﴾. أفاد أنه غرق وغرق معه من توعدده بالغرق، فهو إيجاز بديع^(٦).

ثالثاً: المناسبات:

أ- مناسبة الآيتين للسياق: بعد أن أمر نوح عليه السلام أهله والمؤمنين بركوب السفينة قائلين: بسم الله، وكانت هذه الفئة المؤمنة والتي سوف ينجيها الله ﷻ أعقبه بتصوير إلهي رائع لسير السفينة وسط المياه ذات الأمواج العظيمة، الشامخة كالجبال في علوها، ذلك بسبب الرياح الشديدة العاصفة، ويقصد بيان شدة الهول والفرع، تلاه نتيجة الفئة الأخرى الكافرة، فلما كان نجات المؤمنين بالسير في الفلك على الماء، أعقبه هلاك الكافرين بالغرق في هذا الماء^(٧).

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٧٦).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٤٧٧).

(٣) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٥٨).

(٤) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٥٨).

(٥) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٧ / ٢٠٩).

(٦) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٧ / ٢٠٩).

(٧) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٧٤).

ب- فاصلة الآية الأولى: ﴿ وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ تأكيد للأمر معطوفة على جملة ﴿ اِرْكَبْ مَعَنَا ﴾ لإخبار نوح ﷺ ابنه؛ بأن إعراضه عن الركوب معه يجعله في صف الكفار، فجاءت الفاصلة في مقام التهديد والوعيد والتحذير له من الانضمام لهؤلاء الكفار لأنه ﷺ قد توعدهم بالغرق حتى يكونوا عبرة لغيرهم، وهذا مما يوضح مدى العلاقة بين الفاصلة والآية^(١).

ت- فاصلة الآية الثانية: ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُهْرَقِينَ ﴾، بدأت الآية بكيفية النجاة من الغرق زعماً منه أن ذلك كسائر المياه في أزمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود إلى أعالي الجبال فيكفيها أن تسير في السهل، لكن الفعل الإلهي الخالص والمقصود يجعل الماء يعلو على الجبال، فكانت النتيجة وقوعه فيما كان يحذر منه؛ فناسبت أن تختتم هذه الآية بإهلاكه بالغرق.

رابعاً: التفسير الإجمالي:

يصف الحق ﷺ السفينة وركابها وهي تجري بهم في موج كالجبال، لا بين موج هائج فحسب، ولكن كان الموج كالجبال، وهذا يدل على أنها تسير بقوة عالية لا تؤثر فيها الأمواج، ثم يجيء الحديث عن عاطفة الأبوة حين ينادي نوح ﷺ ابنه: ﴿ يَا بُنَيَّ اِرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ ورفض الابن مطلب أبيه معتمداً على أن الجبل يحميه.

وفي هذا يبين الحق ﷺ مراد الابن في مخالفة مراد أبيه: قال سوف ألقأ إلى جبل يحميني من هذا الماء هكذا ظناً منه أنه سينجو إن أوى إلى جبل، لعل ارتفاع الجبل يعصمه من الغرق، لكن نوحا ﷺ يعلم أن لا نجاة لكافر، بل النجاة فقط هي لمن رحمه الله بالإيمان. وهكذا فرق الموج بين نوح وابنه؛ وغرق الابن^(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- إجراء السفن في البحار بقدره الله ﷻ وإرادته، وحفظه ورعايته.
- ٢- للأبوة عاطفة أوجدها الله ﷻ في كل مخلوقاته، فالأب دائماً يريد الخير لابنه، ولا يرضى أن يراه شقيماً، أو مطروداً من رحمة الله ﷻ.
- ٣- لن يحقق العناد والاستكبار فائدة أو مصلحة لمن يتصف بهما، فقد أغرق الله ابن نوح ﷻ لأنه كان كافراً.

(١) انظر: روح البيان (٨٠/٤) ، وتفسير أبي السعود، (٢١٠/٤)، روح المعاني(٥٩/١٢).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٤٧٧).

٤- إذا أراد الله ﷻ أن ينفذ أمراً لم ينج من وقع عليه أمر الله ﷻ ولو اعتصم بأعالي الجبال، فإذا وقع العذاب العام على الكفار فلا مانع منه؛ لأنه يوم حق فيه ذلك العذاب^(١).

٥- من أراد الله ﷻ أن يرحمه، ينجيه من كل كرب ويعصمه.

٦- جواز الاعتراض في الكلام إذا حسن موقعه؛ لإقامته حجة أو إبطال باطل أو تنبيه على أمر مهم^(٢).

٧- تقرير مبدأ تحمل كل إنسان مسؤولية عمله قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

٨- جنود الله ﷻ كثيرة لا حصر لها، فكان (الموج) في هذه القصة، هو أحد هذه الجنود، والذي أغرق الله ﷻ به الكفار.

٩- الغرق أو الطوفان ليس له علاج إلا الهلاك أو الدمار.

سادساً: القراءات:

في قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ اذْكَبْ مَعَنَا﴾، قراءتان متواترتان:

١- قرأ عاصم ﴿يَا بُنَيَّ﴾، بفتح الياء. سمي بذلك لكونه بناء للأب، فإن الأب هو الذي بناه وجعله الله ﷻ بناء في إيجاده، ويقال لكل ما يحصل من جهة شيء أو من تربيته، أو بتفقدته أو كثرة خدمته له أو قيامه بأمره: هو ابنه، نحو: فلان ابن الحرب، وابن السبيل للمسافر، وابن الليل، وابن العلم^(٣).

٢- قرأ الباقر ﴿يَا بُنَيَّ﴾، بكسر الياء. فعلى الكسر أصله يا بني، فحذفت الياء كما تقول: يا غلام، والأصل: يا غلامي، وعلى الفتح أبدلت الياء ألفاً؛ لتوالي الياءات والكسرات، ثم حذفت الألف وبقيت الفتحة دالة عليها^(٤).

وبالنظر الى كلتا القراءتين نجد أن القراءة بالكسر تشعر الإنسان بحرارة عاطفة الأبوة وانكسار قلبه لعدم تلبية ابنه لندائه، أما القراءة بالفتح فقد ناسب خفة الحركة ما في الابن المنادى من خفة عقل وسوء تقدير^(٥).

(١) انظر: التفسير المنير (٧٨ / ١٢).

(٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٤٥).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ١٤٧).

(٤) انظر: إبراز المعاني من حرز الأمانى (ص: ٥١٤).

(٥) انظر: إبراز المعاني من حرز الأمانى (ص: ٥١٤).

المطلب الثاني: انتهاء فترة هلاك قوم نوح عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

أولاً: معاني المفردات:

١- أَقْلِعِي: (قلع) القاف واللام والعين أصل صحيح يدل على انتزاع شيء من شيء، ثم يفرع منه ما يقاربه، تقول: قلعت الشيء قلعا، فأنا قالع، وهو مقلوع: منزوع^(١).

٢- اسْتَوَتْ: استوى الطَّعَامُ ونحوه: نَضِجَ "استوى العِنْبُ استوت الثَّمَرَةُ: أِينعت- استوى على سُوْقِه: نضج واستحصد أي آن وقت حصاده. استوى الشَّيْءُ: استقرَّ وثبَّت "استوى الكرسيُّ قال تعالى:

﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ استقرَّت على جبل الجودي؟ استوت به الأرض: هلك فيها^(٢).

الْجُودِيّ: جبل بأرض الجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه الصلاة والسلام^(٣).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- خطاب الأرض، في قوله تعالى: ﴿ يَا أَرْضُ ﴾ والسماء بطريقة النداء وبالأمر استعارة لتعلق أمر التكوين بكيفيات أفعال في ذاتيهما وانفعالهما بذلك. فالاستعارة هنا في حرف النداء وهي تبعية^(٤).

٢- قوله تعالى: ﴿ ابْلَعِي ﴾ البلع حقيقته اجتياز الطعام والشراب إلى الحلق بدون استقرار في الفم. وهو هنا استعارة لإدخال الشيء في باطن شيء بسرعة، ومعنى بلع الأرض ماءها: دخوله في باطنها بسرعة كسرعة ازدياد البالع بحيث لم يكن جفاف الأرض بحرارة شمس أو رياح بل كان يعمل أرضي عاجل بأمر من الله تعالى^(٥).

٣- قوله تعالى: ﴿ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ إقلاع السماء مستعار لكف نزول المطر منها لأن عدم نزول المطر لم يخلف الماء الذي غار في الأرض، ولذلك قدم الأمر بالبلع؛ لأنه السبب الأعظم لغيض الماء^(٦).

٤- قوله تعالى: ﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ وفي قران الأرض والسماء محسن الطباق، وفي مقابلة (ابلعي) ب (أقلعي) محسن الجنس.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥ / ٢١).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢ / ١١٤١).

(٣) مختار الصحاح (١٣٦ / ١٣٦).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٧٨).

(٥) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٧٨).

(٦) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٤٧٩).

٥- قوله تعالى: ﴿وَعِضَ الْمَاءِ﴾ بني فعل ﴿عِضَ﴾ لنائب فاعل باعتبار سبب الغيض، أو؛ لأنه لا فاعل له حقيقة لأن حصوله حصول مسبب عن سبب والغيض: بالضاد مصدر غاض الماء يغيض غيضا: إذا قل ونضب، والمراد: الماء الذي نشأ بالطوفان زائدا على بحار الأرض وأوديتها^(١).

٦- في الآية اعتراض بثلاث جمل وهي: ﴿وَعِضَ الْمَاءِ﴾، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾، ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ في ذلك إفادة أن هذا الأمر واقع بين القولين لا محالة ولو أتى به آخر لكان الظاهر تأخره فبتوسطه ظهر كونه غير متأخر. فهذه جمل معطوف بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة. وحصول الأمن ثم فيه اعتراض في اعتراض فإن ﴿وَعِضَ الْمَاءِ﴾ معترض بين ﴿وَعِضَ﴾ و ﴿وَاسْتَوَتْ﴾ لأن الاستواء يحصل عقب الغيض^(٢).

٧- قوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ فإنه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى. فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى مرادفه، لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل، وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس؛ لأن الاستواء يدل على معنى لا يدل عليه واحد من نظيريه المذكورين^(٣).

٨- التمثيل: في قوله ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أنه عبر عن هلاك الهالكين، ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن المعنى الموضوع^(٤).

٩- الاحتراس^(٥): في قوله ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، إذ الدعاء يشعر بأنهم استحقوا الهلاك احتراساً من ضعيف يتوهم أن الهلاك لعمومه ربما شمل غير مستحق^(٦).

١٠- الإيجاز: فانه تعالى أمر فيها ونهى، وأخبر ونادي، ونعت وسمى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقص من الأنباء ما لو شرح لجفت الأقلام^(٧).

١١- لأن مفردتها موصوفة بصفات الحسن، كل لفظة سهلة مخارج الحروف، عليها رونق الفصاحة، سليمة من التنافر، بعيدة عن البشاعة وعقادة التركيب^(٨).

(١) انظر: الاعتماد في نظائر الظاء والضاد (ص: ٦).

(٢) انظر: الإتيان في علوم القرآن (٣/ ٢٥٤)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٣٠٧).

(٣) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٢١٩)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١/ ٢٦١).

(٤) انظر: التفسير المنير للزحيلي (١٢/ ٨١).

(٥) "وهو أن يكون الكلام محتملا لشيء بعيد فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال" البرهان في علوم القرآن (٣/ ٦٤).

(٦) انظر: تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر (ص: ٦١٢).

(٧) انظر: أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: ٤٣٠).

(٨) أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: ٤٣٠).

- ١٢- حسن النسق: فإنه تعالى قصَّ القصة، وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب^(١).
- ١٣- ائتلاف اللفظ مع المعنى: لأن كل لفظة لا يصلح معها غيرها.
- ١٤- الكناية: فإنه لم يصرح بمن غاض الماء، ولا بمن قضي الأمر وسوى السفينة، ولا بمن قال: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾، كما لم يصرح بقائل: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي﴾، ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي﴾ في صدر الآية، سلوكا في كل واحد من ذلك سبيل الكناية، ومن الواضح أن ذلك لا يقع إلا من مقتدر جبار فلا مجال لذهاب العقل إلى غيره ﷺ^(٢).
- ١٥- قوله تعالى: ﴿بُعْدًا﴾، وهو نائب عن الفعل كما هو الاستعمال في مقام الدعاء ونحوه كالمدح والذم مثل: تباً له، وشكراً له. والبعد كناية عن التحقير بلازم كراهية الشيء^(٣).
- ١٦- حسن التقسيم: فإنه استوعب أقسام الماء حالة نقصه، إذ ليس إلا احتباس ماء السماء، والماء النابع من الأرض، وغيض الماء الذي على ظهرها^(٤).
- ١٧- حسن البيان؛ لأن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام، ولا يشكل عليه شيء منه^(٥).
- ١٨- التسهيم^(٦)، لأن أول الآية يدل على آخرها.
- ذكر الكرمانى^(٧): "أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية، بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها في فخامة ألفاظها، وحسن نظمها، وجودة معانيها في تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال"^(٨).
- ثالثاً: المناسبات:**

١- مناسبة الآية لما سبق: وصف للسفينة وهي تغالب الماء وتمخر عيابه وأمواج الماء ترتفع حتى تكون كالجبال في ارتفاعها وقبلها نادي نوح ﷺ ابنه بأن يركب في السفينة مع أبيه

- (١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٧٨).
- (٢) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٦٨).
- (٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٧٩).
- (٤) انظر: أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: ٤٣٠).
- (٥) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢ / ٤٦٣).
- (٦) التسهيم: هو أن يتقدم من الكلام ما يدل على أن المتأخر منه تارة بالمعنى وطورا باللفظ ثم إذا كانت دلالته معنوية، فمرة يدل بمعنى واحد ومرة يدل بمعنيين، الكليات (ص: ٣٠١).
- (٧) علي أصغر بن عبد الصمد القنوجي البكري الكرمانى: فاضل هندي، بكري النسب. أصله من المدينة، انتقل بعض أسلافه إلى كرمان، فنسبوا إليها. مولده ووفاته في قنوج. له " اللطائف العلية في المعارف الإلهية " على نسق فصوص الحكم لابن عربي، و " تبصرة المدارج " في علم السلوك، و " ثواقب التنزيل " في التفسير، كتفسير الجلالين. (١٠٥١ - ١١٤٠ هـ)، الأعلام للزركلي (١ / ١٥٦).
- (٨) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن (١ / ٢٢٦).

والمؤمنين فأبى ملتجئاً إلى قمم الجبال ظناً منه أنه سوف ينجو بذلك، وهو جاهل لأمر الله، والذي أمر السماء أن تمسك عن هطول المطر والأرض أن تجف، فكانت النتيجة الغرق لمن كفر فناسبت هذه الآية السياق فهي من باب تكملة القصة، كذلك نتيجة للإعراض عن الحق^(١).

٢- فاصلة الآية: ﴿بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، بعد أن أمر الله ﷻ الأرض والسماء عن إيقاف العذاب عن العصاة. حيث أهلكوا، ختم إظهاراً لمكان السخط ولجهة استحقاقهم إياه، وأن قيامة الطوفان وتلك الصورة الهائلة. إنما كانت بسبب ظلمهم. وهو بعد نهائي إلى يوم القيامة. وهذا من باب الذم فناسبت أن تختتم هذه الآية بهذه الفاصلة^(٢).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

أمر الله ﷻ الأرض أن ابلي ماءك والسماء أفلعي نوديا بما ينادي به أولو العلم وأمرأ بما يؤمرون به، تمثيلاً لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالأمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر إلى امتثال أمره، مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه، والبلع النشف والإقلاع الإمساك. وغار الماء في باطن الأرض، وقضي الأمر وأنجز ما وعد من إهلاك الكافرين وإنحاء المؤمنين، واستقرت السفينة، على جبل -يقال أنه بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل- ولا بهمنا ذلك كثيراً لأن العبرة بالحدث لا بالمكان. وقيل هلاكاً وبعداً بحيث لا يرجى عوده للظالمين، والآية في غاية الفصاحة^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- كل المخلوقات طوعاً لإرادة الله ﷻ فهو المتصرف كيف يشاء قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]^(٤).
- ٢- كما أن طاعة الوالدين فيها النجاة في الدنيا والآخرة، كذلك فإن عقوق الوالدين كثيراً ما يسبب الهلاك في الدنيا، أما عذاب الآخرة فهو ملازم له^(٥).
- ٣- مظهر من مظاهر رحمة الوالد بولده. هو الدافع الغريزي عند كل أب رؤوف، ينغصه ويعصر فؤاده، أن يرى ولده مشرفاً على الهلاك والموت، فهذا سبب إلحاح نوح ﷺ على إنقاذ ابنه، رغم شططه وعدم إيمانه بنبوته^(٦).

(١) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٤٦).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١١/ ٦٤٨٠)، التحرير والتنوير (١٢/ ٨١).

(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٣٦).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٨٠).

(٥) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٤٧).

(٦) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٤٧).

- ٤- كل من ظلم نفسه، أو ظلم غيره، فمصيره الطرد من رحمة الله ﷻ وفي الآخرة يكون محسوباً مع القوم الظالمين. وإن الطوفان وتلك الأمور الهائلة ما كانت إلا لظلمهم^(١).
- ٦- الاستكبار والتمرد على دعوة الله ﷻ ومنهجه، يقرر معه الهلاك والدمار.
- ٧- قدرة الله ﷻ المطلقة في إهلاك الظالمين.

المطلب الثالث: العدل الإلهي مطلق.

قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦، ٤٥]

أولاً: وجوه البلاغة:

- ١- قوله تعالى حكاية عن نوح ﷺ: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾، نداء دعاه إليه داعي الشفقة فأراد به:
- أ- نفع ابنه في الآخرة بعد اليأس من نجاته في الدنيا، لأن الله أعلمه أنه لا نجاة إلا للذين يركبون^(٢)
- ب- ويجوز أن يكون دعاء نوح ﷺ هذا وقع قبل غرق الناس، أي نادى ربه أن ينجي ابنه من الغرق.
- ت- ويجوز أن يكون بعد غرق من غرقوا، نادى ربه أن يغفر لابنه، وأن لا يعامله معاملة الكافرين في الآخرة^(٣).
- ٢- النداء في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ﴾ هو نداء دعاء فكأنه قيل: ودعا نوح ربه، لأن الدعاء يصدر بالنداء غالباً.
- ٣- التعبير عن لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ﴾ بوصف الرب مضافاً إلى نوح ﷺ تشريف لنوح وإيماء إلى رافة الله ﷻ به، وأن نهيه الوارد بعده نهى عتاب^(٤).
- ٤- قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ﴾، قال هنا بالفاء، لأنه أريد بالنداء هنا إرادته، فهي سبب له، فناسب الفاء الدالة على السببية، وهي دالة على الترتيب الذكري بمعنى أن المذكور بعدها

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي (١٢ / ٧٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٨٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٨٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٨٤).

- مرتب على ما قبلها؛ أي ترتب على نداء نوح عليه السلام أنه يدعو ربه بأن ابنه من أهله^(١).
- ٥- في قوله تعالى: **﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾** يسأل ولكن سؤالاً مطويًا ضمن ما يقرره من وصف العدالة والحكمة الباهرة لله تعالى، أي فلماذا لم يكن من الناجين وقد وعدتني - ووعدك الحق - بأن يكون أهلي في المرحومين من ذلك الغرق؟^(٢).
- ٦- لما انتفتق قرابة الدين؛ نفاه الله تعالى بأبلغ الألفاظ وهو قوله: **﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾**^(٣).
- ٧- قوله تعالى: **﴿وَأَنْتَ أَكْرَمُ الْحَاكِمِينَ﴾** وهو مقام تضرع وسؤال ما ليس بمحال، تفيد أنه لا راد لما حكم به وقضاه، أخذاً بأقصى دواعي الشفقة والرحمة بابنه.
- وقد كان نوح عليه السلام غير منهي عن ذلك، ولم يكن تقرر في شرعه العلم بعدم المغفرة للكافرين، فكان حاله كحال النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لأبي طالب: روى البخاري بسندة عن سعيد بن المسيب عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَتُكِّرْهُ عَلَيْكَ) فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾** [التوبة: ١١٣] الآية^(٤).
- ٦- في قوله تعالى: **﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾**، يريد الحق صلى الله عليه وسلم أن يعلم نبيه نوحا عليه السلام أن أهلية الأنبياء ليست أهلية الدم واللحم، ولكنها أهلية المنهج والاتباع، وإذا قاس نوح عليه السلام ابنه على هذا القانون، قال تعالى: **﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾** فلن يجده ابناً له، بمفهوم المخالفة، فلو كان عملاً صالحاً كان ابناً له، وهذا يقاس على كل من اتبع هذا الدين^(٥).
- ٧- قوله تعالى: **﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾** جملة استثنائية فيها معنى التعليل والإخبار معاً، أي إنه ذو عمل غير صالح، وإنما أخبر عنه بالعمل نفسه، وجعلت ذاته عملاً غير صالح، مبالغة في ذمّه، وليبيان أن العمل السيئ لم يكن يفارقه^(٦).
- ٨- قوله تعالى: **﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾**، كان نهيي نهي لوم وعتاب حيث لم يتبين من ربه تعالى جواز ذلك^(٧).
- ٩- قوله تعالى: **﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾**، سؤاله المغفرة لابنه طلباً تخصيصه من العموم.

(١) انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (١/ ٢٦٥)، تفسير الألويسي = روح المعاني (٦/ ٢٦٥)، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة (ص: ١٣٧).

(٢) انظر: من روائع القرآن (ص: ٢٧٥).

(٣) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨/ ٣٥٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، رقم ١٣٦٠، (٢/ ٩٥)، انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٨٥).

(٥) انظر: تفسير الشعراوي (١١/ ٦٤٨٤).

(٦) انظر: من روائع القرآن (ص: ٢٧٦)، تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٣٩٩).

(٧) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٤٨).

ثانياً: المناسبات:

١- مناسبة الآيتين لما سبق: جملة معطوفة على التي قبلها دون ترتيب، وذلك أن هذه القصة كانت في أول ما ركب نوح عليه السلام في السفينة، ويظهر أن ذلك كان بعد استواء السفينة على الجودي نداء دعاه إليه داعي الشفقة فأراد به نفع ابنه في الآخرة بعد اليأس من نجاته في الدنيا، لأن الله تعالى أعلمه أنه لا نجاة إلا للذين يركبون السفينة ولأن نوحا عليه السلام لما دعا ابنه إلى ركوب السفينة فأبى وجرت السفينة قد علم أنه لا وسيلة إلى نجاته فكيف يسألها من الله فتعين أنه سأل له المغفرة، وهذه الآية احتجاج من نوح عليه السلام، وذلك أن الله أمره بحمل أهله وابنه من أهله فينبغي أن يحمل، فأظهر الله له أن المراد من آمن من الأهل فالآيتان جاءتا بالأحداث التي حصلت خلال هذه القصة^(١).

٢- فاصلة الآية: ﴿ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾، بعد أن طلب نوح عليه السلام من ربه متأدباً أن ينجي له ابنه مما أصاب به القوم الظالمين، وذلك لأن نوحاً عليه السلام كان يعتقد أن ابنه من الناجين، بحسب ما وعده به ربه، لكنه يسلم لأمر ربه، ذلك لثقتة بأن الله تعالى حكمه يصدر عن كمال العلم والحكمة، فناسب أن تختتم هذه الآية بالتسليم المطلق لحكمه، وهذا مطلق العدالة تعالى.

٣- فاصلة الآية: ﴿ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾، نهى الله تعالى نوح عليه السلام عن الإلحاح أو العود إلى سؤاله وإن كان قول نوح عليه السلام مجرد تمهيد للسؤال لاختبار حال إقبال الله تعالى على سؤاله كان قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ ﴾ نهياً عن الإفضاء بالسؤال الذي مهد له بكلامه. والمقصود من النهي تنزيهه عن تعريض سؤاله للرد. والجهل فيه ضد العلم، وهو المناسب لمقابلته بقوله: ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾، ناسب أن تختتم هذه الآية بموعظة وهي ترك التثبت قبل الإقدام^(٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

ونادى نوح عليه السلام ربه تعالى فقال: رب إنك وعدتني أن تتجيني وأهلي وهو سؤال استعلام من نوح عليه السلام، عن حال ولده الذي غرق، فقال: يا رب إن ابني هو من أهلي، وقد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدك حق لا يخلف، فكيف غرق، وأنت أحكم الحاكمين، وحكمك يصدر عن كمال العلم والحكمة، ولا يعرض له الخطأ والظلم أو النسيان؟

فرد الله تعالى قائلاً: يا نوح إنه ليس من أهلك الذين وعدتكم بإنجائهم معك في السفينة، لأنني وعدتكم بنجاة من آمن من أهلك. وابتك هذا منه، إذ إنه بكفره قد انقطعت الموالاة بينك وبينه، وقد عمل أعمالاً غير صالحة، فلا تسألني عن شيء لا علم ثابت لك به، وإني أنهاك أن تكون من

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٨٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٨٧).

زمرة من يجهلون، فيسألون الله ﷻ أن يبطل حكمه، وتقديره في خلقه، استجابة لشهواتهم وأهوائهم^(١).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- يقرر القرآن الكريم أن المعرفة بالحقائق والمعلومات شرط أساسي لمناقشتها، لذلك يجب على المتعلم أن يكون على معرفة وفهم وإلمام بما يناقش فيه معلميه^(٢).

٢- الرابطة الحقيقية هي رابطة العقيدة، وليس فوقها أي رابطة، والدليل؛ ما جرى بين نوح ﷺ وابنه، رفض الابن أن يركب في السفينة، وينجو مع من نجا من المؤمنين إنما أنجى من أنجى من أهله لصالحهم، لا لأنهم أهلك وأقاربك. وإنّ هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك^(٣).

٣- قوله تعالى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾، فيها دليل على أن الابن من الأهل لغة وشرعا، هو من أهل البيت، فمن وصى لأهله دخل في ذلك ابنه، ومن تضمنه منزله، وهو في عياله. قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ٧٦] فسمى جميع من ضمه منزله من أهله^(٤).

٤- لا ينبغي لأهل العلم الصحيح الوقوع في الخطأ غير المقصود، وترك الأفضل والأكمل، وحسنات الأبرار سيئات المقربين، لذا عاتب الله ﷻ نوح ﷺ وأمره بالاستغفار^(٥).

٥- طلب إزالة الشبهة واجب، عوتب نوح ﷺ على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه. حيث إن الله ﷻ قدّم له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم، فكان عليه أن يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح، وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أنه من المستثنين^(٦).

٦- هذه الآية مواساة للخلق في فساد أبنائهم، وإن كانوا صالحين، فقد جرى ذلك برسول من أولي العزم من الرسل^(٧).

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٦/ ١٩٢)، التفسير الميسر (١/ ٢٢٦).

(٢) انظر: السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم (ص: ٢٧٨).

(٣) انظر: أحكام القرآن للكمي الهراسي (٤/ ٢٢٦).

(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص ت قماوي (٤/ ٣٧٧)، الإكليل في استنباط التنزيل (ص: ١٥٠)، تفسير

القرطبي (٩/ ٤٧)، تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٣٩٩).

(٥) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤٠٠)، انظر: تفسير الرازي = مفاتيح

الغيب أو التفسير الكبير (١٨/ ٣٥٨).

(٦) انظر: تفسير الخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤٠٠).

(٧) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٨٨)، نهاية الأرب في فنون الأدب (٧/ ١٧٥).

٧- العدل الإلهي مطلق، لا محاباة فيه لنبي أو ولي، وإنه تعالى يجزي الناس في الدنيا والآخرة بإيمانهم وأعمالهم، لا بأنسابهم: ﴿ فَاِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

٨- إن قوله: ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ يدل على أن ذلك السؤال كان قد صدر لا عن العلم، والقول بغير العلم ذنب لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٩] (١).

٩- حال الناس كحال أمة نوح عليه السلام كانوا على ثلاثة أقسام كافر يظهر كفره ومؤمن يعلم إيمانه وجمع من المنافقين، وقد كان حكم المؤمنين هو النجاة وحكم الكافرين هو الغرق، وكان ذلك معلوماً، وأما أهل النفاق فبقي حكمهم مخفياً وكان ابن نوح منهم، ليعلم أن هذه حال المنافق (٢).

خامساً: القراءات

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾؛

١- قرأ الكسائي ويعقوب عَمِلَ بكسر الميم وفتح اللام وحذف التنوين، ونصب راء غَيْرَ (٣).
الحجة لمن نون ورفع «غير»: أنه جعله اسماً أخبر به عن إنَّ ورفع «غير» اتباعاً له على البديل. ومعناه: إن سؤالك إياي أن أنجي كافراً ليس من أهلك عمل غير صالح، فالسؤال هنا لم يجر له ذكر ولكنه لما ذكر ﴿ إِنْ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ دلَّ على السؤال (٤).

٢- قراء الباقر عَمِلَ غَيْرٌ بفتح الميم وضم اللام وتوينها وضم راء غَيْرٌ.

الحجة لمن فتح: أنه جعله فعلاً ماضياً وفاعله مستتر فيه، وغير منصوب لأنه وصف قام مقام الموصوف. ومعناه: أنه عمل عملاً غير صالح. والهاء كناية عن ابن نوح عليه السلام أي إنه ذو عمل غير صالح (٥).

بالنظر الى القراءتين نجد أن القراءة الأولى نسب الفعل المذموم إلى نوح عليه السلام بمعنى سؤال نوح الى ربه بقوله ﴿ إِنْ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ هو عمل غير صالح، وأما على القراءة الثانية فقد نسب الفعل المذموم إلى ابن نوح عليه السلام، سواءً نفسه أو عمله.

(١) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٣٥٨).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩ / ٢٩٣).

(٣) انظر: القراءات وأثرها في علوم العربية (١ / ٥٥١).

(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع (ص: ١٨٧).

(٥) انظر: العلاقة التفسيرية بين القراءات: معاني القراءات للأزهري (٢ / ٤٦)، حجة القراءات (ص: ٣٤٣).

يرى الباحث أنه إذا كان هذا العمل صدر من نوح عليه السلام فقد كان يتمنا أن ينجوا ابنه؛ لأن علمه يقيني بأن الله تعالى عادل في حكمه، هذا من جهة ومن أخرى، الأنبياء جميعهم معصومون فلا يقع منهم اعتراض على فعل الله تعالى، أما أن يكون هذا قاله الله تعالى عن ابن نوح عليه السلام فهو أولاً والله أعلم.

المطلب الرابع: استعادة نوح عليه السلام بالله تعالى من سؤاله ما لم يعلم
قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٧].
أولاً: وجوه البلاغة:

- ١- في هذه الآية الكريمة يأتي الإذعان الكامل والخوف من الله تعالى وطلب مرضاته ورحمته من عبده الصالح نوح عليه السلام ^(١).
 - ٢- لم يقل أعوذ بك منه أو من ذلك مبالغة في التوبة وإظهاراً للرغبة والنشاط فيها وتبركاً بذكر ما لفته الله تعالى وهو أبلغ من أن يقول أتوب إليك وهو ﴿ أَنْ أَسْأَلَكَ ﴾ ^(٢).
 - ٣- قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تادباً بأدبك واتعاضاً بموعظتك ^(٣).
 - ٤- قوله تعالى: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾، فيه طلب المغفرة ابتداءً لأن التخلية مقدمة على التحلية ثم أعقبها بطلب الرحمة لأنه إذا كان بمحل الرضى من الله تعالى كان أهلاً للرحمة ^(٤).
- قال ابن العربي ^(٥): " وهذه زيادة من الله وموعظة يرفع بها نوحا عليه السلام عن مقام الجاهلين، ويعليه بها إلى مقام العلماء والعارفين، ف (قال) نوح: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ ^(٦).

(١) انظر: اللولاء والبراء في الإسلام (ص: ١٥٣).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٢١٣).

(٣) انظر: تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٦٥).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٨٨).

(٥) ابن العربي، عبد الوهاب بن العربي بن يوسف الفاسي، أبو الفضل: أديب، من القضاة. مولده ووفاته بفاس. ولي نظارة أوقاف " القرويين " نحو عشر سنين، ثم تولى عنها " حفظاً لمروءته " كما يقول محمد الصغير في ترجمته. وولي القضاء بتطوان. ثم عاد إلى فاس، فتاب بها عن خطيب القرويين (١٠٠٩ - ١٠٧٩ هـ)، الأعلام للزركلي (٤/ ١٨٤).

(٦) تفسير القرطبي (٩/ ٤٨).

ثانياً: المناسبات:

١- مناسبة الآية لما سبق: بعد أن نادى نوح عليه السلام ربه إن ابني من أهلي، فإنك قد وعدتني أن تنجيهم من العذاب، وإن وعدك الحق وأنت الصادق في وعدك، وأنت أعدل العادلين، فقال تعالى له إن ابنك عملَ بَعْمَلِ المشركين، ولم يعمل بعمل المؤمنين. إن سؤالك ودعاءك لابنك الكافر عمل غير صالح، فلا تسألن ما ليس لك به بيان. إني أنهاك أن تكون ممن يترك أمري.

٢- فاصلة الآية: ﴿ اَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ لما بدأ الله ﷻ حكاية عن نوح عليه السلام بالندم واللجوء الى الله ﷻ مما قاله، وطلب منه المغفرة فناسب المغفرة من الله على هذا الذنب وغيره، فإن لم يتب عليه الله يكن من القوم الذين خسروا أخراهم ﷻ.

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

لما علم نوح عليه السلام بأن سؤاله يخالف لفهم عقائدي، وأن دعاءه ناشئ عن وهم كان يتوهمه بادر إلى الاعتراف بالخطأ وطلب المغفرة والرحمة، فقال رب إني أعوذ بك أن أطلب منك ما لا علم لي بصحته وجوازه، وإلا تغفر لي ذنب ما دعوت به على غير علم مني، وترحمني برحمتك التي وسعت كل شيء فقبل توبتي؛ أكن من الخاسرين في أعمالي فلا أريح فيها أبداً^(١).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- يوضح لنا الله ﷻ أن الإنسان لا يعوذ من شيء بشيء إلا إن كانت قوته لا تقدر على أن تمتنع عنه. ولذلك يستعيز نوح عليه السلام من أن يسأل ما ليس له به علم، ويرجو مغفرة الله ﷻ، ورحمته حتى لا يكون من الخاسرين ﴿ اِنِّي اَعُوذُ بِكَ ﴾^(٢).

٢- حقيقة التوبة تقتضي أمرين:

أ- هو العزم على الترك في المستقبل، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ اِنِّي اَعُوذُ بِكَ اَنْ اَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾.

ب- وهو الندم على ما مضى وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَاِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي اَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾. وذلك لأن التخلية مقدمة على التحلية^(٣).

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (٢ / ٥٧١).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٤٨٥).

(٣) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٣٥٨)

ذكر ابن أبي حاتم^(١) قال: "قال: جاءنا كتاب عمر بن عبد العزيز في زحف كان في ولاية: **أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ هَذَا الرَّحْفَ شَيْءٌ يُعَاقِبُ اللَّهُ بِهِ خَلْقَهُ، فَقُولُوا كَمَا قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَلَّا تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [هود: ٤٧]"^(٢)

٣- إذا كان نوح عليه السلام يطلب المغفرة من الله ﷻ فكيف بالبشر، فهم من باب أولى لطلب المغفرة من الله ﷻ.

٤- الخسران المبين هو من خسر آخرته وليس من خسر دنياه.

المطلب الخامس: نجاة نوح عليه السلام ومن معه.

قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنَتِّهَهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤٨].

أولاً: معاني المفردات:

١- البركة: هي الزيادة والنماء من حيث لا يوجد بالحس ظاهراً، فإذا عهد من الشيء هذا المعنى خافياً عن الحس، قيل هذه بركة قيل: اشتقاقها من البروك، وهو اللزوم والثبوت، لثبوتها في الشيء. ويوصف بها كل شيء لزمه وثبت فيه خير إلهي. فلذلك يقال فيه: قليل البركة، ولا يسند فعل البركة إلا إلى الله، فلا يقال: بارك زيد في الشيء، وإنما يقال: بارك الله فيه^(٣).

٢- أُمَّة [جمع]: أُمَمٌ: ويحتمل فيها عدة معانٍ كما ذكر في معجم اللغة العربية المعاصرة^(٤):

أ- جيل، جماعة من الناس يعيشون في وطنٍ واحد وتجمعهم رغبة في الحياة المشتركة وعناصرُ أخرى كاللغة والدين والعرق "الأُمَّة العربية ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّتَالِكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ب- رجلٌ جامع لخصال الخير يُفْتَدَى به ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠].

ت- ملةٌ رد قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢].

(١) ابن أبي حاتم الرازي (٢٤٠ - ٣٢٧ هـ) عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم. كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليهما نسبته. له تصانيف، منها (الجرح والتعديل - ط) ثمانية مجلدات منه، و (التفسير) عدة مجلدات، منها جزآن مخطوطان [ثم طبع]، و (الرد على الجهمية) كبير، و (علل الحديث - ط) جزآن، و (المسند) كبير، والكثير من الكتب الأخرى، تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤٠).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، (٦/ ٢٠٤٠).

(٣) انظر: معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة (ص: ٩٦).

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ١٢١).

ت-مدّة وحين، قد يصل إلى سنوات ﴿وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥].
والباحث يرى سياق الآية يحتمل أن تكون بمعنى جيل وجماعات سابقة لإستبعاد ورودها
بالمعاني الأخرى والله تعالى أعلم.

ثانياً: وجوه البلاغة:

- ١- قوله تعالى: ﴿اهْبِطْ﴾ هو أمر بالخروج من السفينة إلى أرض الجبل وكذلك أمراً بالهبوط من الجبل إلى الأرض المستوية^(١).
- ٢- في قوله تعالى: ﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ زال عنه ذلك الخوف؛ لأن ذلك يدل على حصول السلامة من الآفات ولا يكون ذلك إلا مع الأمن وسعة الرزق.
- ٣- في قوله تعالى: ﴿بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾ لما وعده الله ﷻ بالسلامة أرفهه بأن وعده بالبركة هي عبارة عن الدوام والبقاء، والثبات، ونيل الأمل، ومنه بروك الإبل، ومنه البركة لثبوت الماء فيها، ومنه تبارك وتعالى، أي ثبت تعظيمه^(٢).
- ٤- في قوله تعالى: ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذريته وأتباعه فقد جعل جميع الأنبياء من ذريته وأئمة الدين في القرون الباقية من نسله^(٣).
- ٥- في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ واختلفوا في المراد منه على ثلاثة أقوال:
أ- هم أولئك الأقوام الذين نجوا معه وجعلهم أمماً وجماعات، لأنه ما كان في ذلك الوقت في جميع الأرض أحد من البشر إلا هم، لذلك جعلوا أمماً^(٤).
ب- المراد ممن معك نسلاً وتولداً ودليل ذلك أنه ما كان معه إلا الذين آمنوا وقد حكم الله ﷻ عليهم بالقلّة في قوله تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].
ت- المراد من ذلك مجموع الحاضرين مع الذين سيولدون بعد ذلك.
وقد رجح الإمام الرازي أن يكون نسلاً وتولداً؛ لعلّة ابتداء الغاية، والمعنى: وعلى أمم ناشئة من الذين معك^(٥).
- ٤- في قوله تعالى: ﴿بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ إنه تعالى إنما عظم شأن نوح ﷺ بإيصال السلامة والبركات منه إلي الله ﷻ .

(١) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٣٦٠).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٨ / ٣٦٠).

(٣) انظر: تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢ / ٦٥).

(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني (٢ / ٥٧١)، التحرير والتنوير (١٢ / ٩٢).

(٥) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب (١٨ / ٣٦١).

٥- الآية التي نحن بصددنا تحوي ستة عشر ميماً، ومع كثرة الميمات المذكورة، إلا أنها غير مملة، بل من يتلها يجد متعة في تلاوتها^(١).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآية لما سبق: بعد أن جاء نوح عليه السلام الى ربه معترداً مستحياً يقول: رَبِّ إِنِّي بَعْدَ ظُهُورِ خَطَايَ وَزَلَّتِي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ بَعْدَ هَذَا مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي زَلَّتِي وَلَمْ تُرْحَمْنِي بِفَضْلِكَ وَجُودِكَ أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ خسرانا مبيناً. ناسب أن يكون جواباً من الله تعالى إلى نوح عليه السلام، بعد ما غاض الماء واستوت وانكشفت الأرض وبيست يا نُوحُ اهْبِطْ وانزل أنت من السفينة ومن معك مقرونا بِسَلَامٍ وسلامة ونجاة وأمن ناشئ مِنَّا عليك تفضلاً وامتناناً وَبَرَكَاتٍ وخيرات كثيرة نازلة من لدنا عَلَيْكَ أَصَالَةٌ وَعَلَى أُمَّمٍ مِمَّنْ مَعَكَ، وَمِنْ ذُرِّيَةٍ مِنْ مَعِكَ أُمَّمٌ سَمَّتْهُمْ وَنَرِيهِمْ فِي النِّشْأَةِ الْأُولَى بأنواع النعم ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا فِي النِّشْأَةِ الْأُخْرَى بسبب كفرهم وفسقهم عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ بِدَلِّ مَا تَلَذَّذُوا بِنِعَمِ الدُّنْيَا وكفروا بها^(٢).

٢- فاصلة الآية: ﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ لما بدأ الله تعالى هذه الآية ببشارة نوح عليه السلام بالنجاة من الغرق، ناسب أن تختتم بحال المخالفين حتى تقر عين نوح عليه السلام وليعلم أن الله تعالى قد أنجز وعده بغرق الكفار كما أنجز وعده بنجاتك ومن آمن معك بك.

رابعاً: التفسير الإجمالي:

بعد أن طلب نوح عليه السلام من ربه تعالى المغفرة، أجابه الرب تعالى بالهبوط من السفينة أنت ومن معك من المؤمنين بأمن منا وتحيات، وبركات عليك وعلى ذرية من معك، فلا تخافوا جوعاً ولا شقاءً، وأمم من ذرية من معك ستمتعهم متاع الحياة الدنيا بالأرزاق ثم يمسهم منا عذاب أليم يوم القيامة؛ لأنهم انحرفوا عن الإسلام وعاشوا على الشرك والكفر. وهذا من علم الغيب الذي أخبر الله تعالى به فكان كما أخبر فقد نشأت أجيال وأجيال من ذرية نوح عليه السلام منهم الكافر ومنهم المؤمن وفي الجميع ينفذ حكم الله ويتم فيهم وعده ووعيده^(٣).

خامساً: الأهداف والمقاصد:

١- الصديقون لا يفرحون بالنعمة من حيث إنها نعمة ولكنهم إنما يفرحون بالنعمة من حيث إنها من الحق، وفي التحقيق يكون فرحهم بالحق وطلبهم للحق وتوجههم إلى الحق، وهذا مقام شريف لا

(١) انظر: المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة (ص: ١٤٦).

(٢) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية (١/ ٣٥٥).

(٣) انظر: التفسير الإجمالي: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٤٩)، التحرير والتنوير (١٢/ ٩٢).

يعرفه إلا خواص الله ﷻ، فإن الفرح بالسلامة والبركة من حيث هما سلامة وبركة يختلف عن الفرح بالسلامة والبركة من حيث إنهما من الحق ﷻ^(١).

٢- لما ذكر أحوال المؤمنين لم يذكر البتة أنه يعطيهم الدنيا أم لا، ولما ذكر أحوال الكافرين ذكر أنه يعطيهم الدنيا. قال تعالى: ﴿أُمَمٌ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مما يدل على خساسة الدنيا، والترغيب في المقامات الروحانية^(٢).

٣- المتاع والانتفاع بنعم الدنيا، والتعذيب في الآخرة، لكل كافر وكافرة إلى يوم القيامة، بدءاً من ذرية المؤمنين في عصر نوح ﷺ وذرية أمم من بعدهم.

المطلب السادس: قصة نوح ﷺ من أنباء الغيب.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

أولاً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أي بعض أخباره التي لها شأن وكونها بعض ذلك باعتبار أنها على التفصيل لم تبق لطول العهد معلومة لغيره^(٣).

٢- قوله تعالى: ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ فيه:

أ- أفاد تقديم الضمير الاختصاص ونفي أن يكون علم ذلك بكهانة أو تعلم من الغير^(٤).

ب- التعبير بصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية.

ت- المقصود من ذكر كونها موحاة إلهية إجماع قومه ﷺ للتصديق بنبوته وتحذيرهم مما نزل بالمكذابين.

٣- قوله تعالى: ﴿أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ ذكر القوم معه ﷺ من باب الترقّي كما تقول: هذا الأمر لا يعلمه زيد ولا أهل بلدته لأنهم مع كثرتهم إذا لم يعلموا ذلك فكيف يعلمه واحد منهم، وقد علم أنه ﷺ لم يخالط غيرهم^(٥).

(١) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٣٦١).

(٢) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٨٤).

(٣) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٧٢).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٩٢)، تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٧٢).

(٥) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٧٣).

٤- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ فيها تعليل للأمر بالصبر وتسليية للنبي ﷺ، فالعاقبة بالظفر في الدنيا وبالغفور بالآخرة للمتقين كما سمعت ذلك في نوح ﷺ وقومه^(١).

٥- الآية فيها بيان الحكمة في إحياء ذلك القصاص الى النبي ﷺ من إرشاده وتهديد قومه المكذبين له.

ثانياً: المناسبات:

١- مناسبة الآية لما سبق: بعد أن عم الغرق جميع الأرض، وعلموا أنه ليس في الأرض شيء مما ينتفع به من النبات والحيوان. ثم إنه تعالى لما وعد نوحاً ﷺ ومن معه بالسلامة، أرفده بأن وعدهم بالبركة وهي عبارة عن الدوام والبقاء والثبات ونيل الأمل. كذلك أخبرهم عن أمور غائبة عن الخلق، تكون بمثابة الإنذار والإرهاب والاعتبار، وإعطاء الأمثلة للصبر الذي هو مفتاح الفرج فكانت هذه الآية تبين أن النبي ﷺ كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة فكيف يكون لأمثاله أن يقص هذه القصة، إلا أن يكون بوحي من الله ﷻ ليدلل على أنه رسول من ربه، ليؤمنوا به، ولا يكذبوه حتى لا يقع بهم ما وقع بقوم نوح ﷺ^(٢).

٢- فاصلة الآية: ﴿ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ عندما ابتدأ الآية بالحديث: أن هذه القصة التي أخبرناك يا محمد ﷺ من قصة نوح ﷺ وخبر قومه من أخبار الغيب أوحيناها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل نزول القرآن عليك عن هذه القصة، فاصبر على أذى مشركي قومك كما صبر نوح ﷺ على أذى قومه، فناسب أن تكون خاتمة هذه الآية بجزء الصبر، ألا وهو الفوز والنصر والغلبة للمتقين في الدنيا والآخرة^(٣).

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

يخبر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ أن تلك الأخبار عن نوح ﷺ وقومه من أخبار الغيوب السابقة، نوحها إليك على وجهها، كأنك تشاهدها، ونعلمك بها وحيا منا إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا أحد من قومك، بل أخبرك الله بها. فاصبر على تكذيب المكذبين من قومك، وأذاهم لك، وعلى تبليغ رسالتك كما صبر نوح ﷺ على أذى الكفار، فإن النصر والفوز والنجاة للمتقين الذين يطيعون الله ﷻ ويتجنبون المعاصي، وإنا سننصرك ونرعاك ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة، كما فعلنا بالمرسلين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنُنصِرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١]^(٤).

(١) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٩٠)..

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٩٢)، التفسير المنير (١٢/ ٨٢)، التحرير والتنوير (١٢/ ٩٢).

(٣) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٢٧٢)، أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٥٠).

(٤) انظر: التفسير المنير (١٢/ ٨٤)، التحرير والتنوير (١٢/ ٩٢)، أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٥٠).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- الغرض من ذكر قصة نوح عليه السلام في سورة هود عليه السلام هو معرفة وجه الشبه بين قوم نوح عليه السلام وقوم محمد عليهما السلام، وهو أن قوم نوح عليه السلام كذبوه؛ لأنه هددهم بنزول العذاب، فاستعجلوه، ثم ظهر في نهاية الأمر، وكذلك قوم محمد عليه السلام استعجلوا نزول العذاب مثل قوم نوح عليه السلام. فوجه الشبه في سورة هود هو استعجال العذاب^(١).

٢- إن الصبر على مشاق تبليغ الرسالة الإلهية، وإيذاء القوم، ومفتاح الفرج، وسبيل الظفر والنصر، فقد صبر نوح عليه السلام على أذى قومه، ثم نصره الله عليهم، وكذلك صبر النبي عليه السلام على أذى العرب الكفار، فأيده الله عليه السلام، وأعزه، ونصره عليهم نصراً مؤزراً^(٢).

٣- كان خبر نوح عليه السلام وقصته مع قومه من أنباء ما غاب عن النبي محمد عليه السلام، أوحى الله بها إليه وأطلعها عليها، دون أن يكون عالماً هو وقومه بها قبل ذلك فهذا تقرير نبوة الرسول عليه السلام^(٣).

٤- بيان العبرة من القصص القرآني وهي تسلية الرسول عليه السلام والمؤمنين، قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان: ٣٢].

٥- إن في ذكر هذه القصص ما يستفاد منه التدرج في الأعمال، والأخذ بالأسباب.

وقد ذكر سيد قطب^(٤): أن نظام هذه العملية اقتضى أن يؤمر نوح عليه السلام بمراحلها واحدة واحدة في حينها. فقد أمر بمراحل ثلاث:

أ: بصنع الفلك فصنعه، قال تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ ﴾ [هود: ٣٨] ولم يذكر لنا السياق الغرض من صنعه، ولم يذكر أنه أطلع نوحاً على هذا الغرض كذلك.

ب: أمر بقوله تعالى: ﴿ احمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ﴾ [هود: ٤٠].

ت: نجاة نوح عليه السلام ومن آمن معه، قال تعالى: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ ﴾ [هود: ٤٨].

(١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٨٤)

(٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٥٠).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٨٤)، أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٥٠).

(٤) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٨٧٧).

الفصل الثالث

قصة هود وصالح -عليهما السلام- مع قومهما

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٥٠ - ٦٨)

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الترغيب والترهيب في دعوة هود عليه السلام قومه
- المبحث الثاني: نجات هود عليه السلام وإهلاك قومه
- المبحث الثالث: قصة صالح عليه السلام وإهلاك قومه

المبحث الأول

الترغيب والترهيب في دعوة هود عليه السلام قومه

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٥٠-٥٦)

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: هود عليه السلام يدعو قومه على عبادة الله تعالى.
- المطلب الثاني: نتيجة الاستغفار.
- المطلب الثالث: من أسباب الضلال التقليد في العقيدة.
- المطلب الرابع: التوكل على الله تعالى عبادة تحت على الالتزام.

المبحث الأول

الترغيب والترهيب في دعوة هود عليه السلام قومه

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٥٠-٥٦)

أرسل الله ﷻ هودًا عليه السلام إلى قومه عاد وكانوا يسكنون بالأحقاف وكانوا يعبدون الأصنام، فأخذ هود عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله ﷻ وترك عبادة الأصنام، وقد ذكّر قومه بنعم الله ﷻ عليهم، ومنها استخلافهم بعد قوم نوح عليه السلام زيادة أجسامهم في الطول والقوة وإرسال المطر في السماء ونعمة الأنعام وغيرها من النعم، ليوصلهم إلى وجوب شكر المنعم بتوحيده ومع كل هذا التذكير لا يزدادوا إلا استكبارا وعناداً، فوصفوه بالسفاهة، فلما رأى منهم ذلك تحداً وتحدي أصنامهم معلناً براءته منها؛ لأنه متوكل على الله ﷻ المنفرد بالألوهية، إلى أن أنزل الله ﷻ بهم العذاب بالريح العاتية الشديدة بردها وصوتها وهبوبها، وهكذا كانت نهاية القوم.

المطلب الأول: هود عليه السلام يدعو قومه على عبادة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ* يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥٠، ٥١]

أولاً: وجوه البلاغة:

- ١- في قوله تعالى: ﴿وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ عطف فعطفت هذه الآية على ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ [هود: ٢٥] ، حيث عطف ﴿وَالِي عَادِ﴾ على ﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾ ، وعطف ﴿أَخَاهُمْ﴾ على ﴿نُوحًا﴾ ، و ﴿هُودًا﴾ عطف بيان، والتقدير: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً^(١).
- ٢- في قوله تعالى: ﴿وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ ، تقديم المجرور للتنبيه على أن العطف من عطف المفردات لا من عطف الجمل، لأن الجار لا بد له من متعلق، وقضاء لحق الإيجاز ليحضر ذكر عاد مرتين بلفظه ثم بضميره.

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٩٤)، فتح القدير للشوكاني (٢ / ٥٧٢).

٣- وجملة ﴿ قَالَ ﴾ مبينة لجملة مقدره وهي ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾، فلو بين بجملة ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ كما بين في قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ لكان بيانا لمعدوم وهو غير جلي^(١).

٤- قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ يَبْهَتُونَ فَاغْبُغُوا حَتَّىٰ يَحِثُّ الْوَسْطُ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْكُبُوا الْمَاءَ فَمَا لَبَّىٰ قَوْمًا لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سِوَىٰ مَا أُوتُوا عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِنَا فَهُمْ مُّكْرِبُونَ ﴾ حذف حرف العطف من قوله: ﴿ قَالَ ﴾ ولم يقل: "فقال" كما في قصة نوح عليه السلام لأنه على تقدير سؤال سائل قال: ما قال لهم هود؟ ف قيل: قال يا قوم اعبدوا الله واتقوه^(٢).

٥- في قوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ ﴾ وافتتاح دعوته ببناء قومه لاسترعاء أسمعهم إشارة إلى أهمية ما سيلقي إليهم.

٦- وجملة ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾، توبيخ وإنكار، فهي بيان لجملة ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾، بمعنى أنتم كاذبون في ادعاء ألوهية غير الله تعالى^(٣).

٧- قوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ ﴾ والنداء في هذه الآية هو الرابط بينها، وبين الآية التي سبقتها، والمقصود في إعادة النداء أثناء الكلام تكرير للأهمية، يقصد به تهويل الأمر واسترعاء السمع اهتماما بما يستمعونه، فهي ابتداء كلام ظاهر^(٤).

٨- قوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾، يفيد أنه كان من الواجب أن يدفعوا أجراً كبيراً مقابل منفعتهم بما يدعوهم إليه؛ لأن الأجر الذي تدفعونه في المستأجرات العامة لكم إنما يكون مقابلاً لمنافع موقوتة، لكن ما يقدمه لهم هود عليه السلام هو منفعة دائمة، لذلك ترك الأجر لمن يقدر عليه، وهو الله تعالى^(٥).

٩- الضمير في قوله تعالى: ﴿ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾، الضمير في عليه عائد على الدعاء إلى الله وتوحيده^(٦).

١٠- قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الفاء للتفريع، وهي عاطفة استفهاماً إنكارياً عن عدم تأملهم في دلالة حاله على صدقه فيما يبلغ ونصحه لهم فيما يأمرهم.

(١) انظر: البحر المحيط (٢٣٢/٥).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢١٢ / ٣).

(٣) انظر: فتح القدير (٧٢٩/٢)،

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٩٥ / ١٢).

(٥) انظر: تفسير الشعراوي (٦٤٩٤ / ١١).

(٦) انظر: التفسير المنير (٨٨ / ١٢).

١١- هوداً ﷺ كان رجلاً من قبيلة عاد، وهذه القبيلة كانت قبيلة من العرب لكنه ﷺ وصف هوداً ﷺ بأنه أخوهم، ومعلوم أن تلك الأخوة لم تكن في الدين، وإنما كانت في النسب، وهذا من باب التودد والتلطف والترغيب لهم، ونظيره ما يقال للرجل: يا أخا هذيل، والمراد رجل منهم^(١).
ثانياً: المناسبات:

١- مناسبة الآية للسياق: لما تقدم أمر نوح ﷺ مع قومه، استشرّف السامع إلى معرفة ما قال هود ﷺ، هل هو مثل قوله أم لا؟ فاستأنف الجواب بقوله: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ ﴾ الذين هم أعز الناس لدي ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ أي ذا الجلال والإكرام وحده؛ ثم صرح وعلل فقال: ﴿ مَا لَكُمْ ﴾ وأغرق في النفي فقال: ﴿ مِنْ إِلَهٍ ﴾ أي معبود بحق ﴿ غَيْرُهُ ﴾ فدعا إلى أصل الدين كما هو دأب سائر النبيين والمرسلين؛ ثم ختم ذلك بمواجهتهم، كما ختمها من قبله نوح ﷺ بمواجهتهم فالأنبياء كلهم من مشكاة واحدة^(٢).

٢- فاصلة الآية الأولى: ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾، بعد أن دعا هود ﷺ قومه إلى عبادة الله ﷻ وحده ويرشدهم إلى ذلك ويحذرهم من المخالفة وإن كان بالتلميح وليس بالتصريح، وهم معرضون عن الهداية ناسب أن يبين سبب إعراضهم وصددهم عن الهداية، ألا وهو الافتراء، فقال: ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾.

٣- فاصلة الآية الثانية: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ما زال هود ﷺ يحثهم على الهداية ويبين لهم أن هذا العمل الذي يقوم به بتكليف من الله ﷻ، وهو لا يطلب عليه الأجر المادي منهم، كما هو من مقتضى الشيء أن من يعلم الناس أو من يسدي مصلحة لأحد يأخذ عليها أجراً، لكن أجره على الله ﷻ ويقرر ذلك بفاصلة هذه الآية، أفلا تعقلون أي أعمل كل ذلك. وهذا فيه تعجب من أمر هؤلاء الكفار وهم يتصورون ويزعمون أن رسولاً من عند الله ﷻ جاء لدعوتهم إلى الحق وإبعادهم عن الضلال يطلب رزقاً من البشر، والله ﷻ الذي أرسله هو الرزاق له ولغيره^(٣).

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

بعد أن فرغ من عرض قصة نوح ﷺ، تحدث في الآية عن خطاب هود ﷺ قومه بقوله: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ فلا تعبدوا من دونه وثناً ولا صنماً، فما أنتم في

(١) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٣٦٢).

(٢) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢ / ١٠٤٩)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩ / ٣٠٦).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ٥٧٨).

عبادتك غيره من الأنداد والشركاء إلا مفترون الكذب عليه بتسميتكم إياهم شفعاء، تتقربون بهم، أو بقبورهم، أو بصورهم وتمثيلهم، وترجون النفع وكشف الضر عنكم بجاههم عنده. وها أنا لا أطلب الأجر منكم على تبليغي ونصحي لكم، ودعوتي إلى عبادة الله ﷻ وحده دون اتخاذ الشريك معه في العبادة، وإنما أجري على الله ﷻ فهو الذي يجازي على ذلك، وهو ثواب الآخرة، ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك وهو إنما الأجر على رب العالمين^(١).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- ترك هود ﷺ الأجر لمن يقدر عليه، وهو الله ﷻ، فهو القادر على كل شيء^(٢).
- ٢- المقصود من الآية بيان إخلاص هود ﷺ في النصيحة، فإنها لا تفيد ما دامت مشوبة بالمطامع^(٣).
- ٣- المراد مما ذكر في الآيتين استمالة قوم محمد ﷺ، لأن قومه كانوا يستبدون في محمد ﷺ مع أنه واحد من قبيلتهم أن يكون رسولاً إليهم من عند الله ﷻ، فذكر ﷺ أن هوداً ﷺ كان واحداً من عاد وأن صالحاً ﷺ كان واحداً من ثمود لإزالة هذا الاستبعاد^(٤).
- ٤- كان الأنبياء-علمهم السلام-ينهون أقوامهم عن عبادة الأصنام، وكان قوم هود ﷺ مثلهم، والدليل عليه أنه قال عقبيه: ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ وذلك يدل على أن المقصود من هذا الكلام منعهم عن الاشتغال بعبادة الأصنام^(٥).

المطلب الثاني: نتيجة الاستغفار.

قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].
أولاً: معاني المفردات:

- ١- الاستغفار: "استفعال من طلب الغفران. والغفران: تغطية الذنب بالعفو عنه، والغفر الستر. غَفَّارٌ [مفرد]: صيغة مبالغة من غَفَرَ^(٦).

(١) البحر المحيط، (٢٣٢/٥)، تفسير المراعي (٤٧/١٢)، فتح القدير (٧٢٩/٢).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (٦٤٩٥/١١).

(٣) انظر: التفسير المنير (٨٨/١٢).

(٤) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٦٢/١٨).

(٥) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٦٢/١٨).

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة (١٦٢٩/٢). المشترك اللفظي في الحقل القرآني (ص: ٢٠٧).

الغَفَّارُ: اسم من أسماء الله الحسنى، معناه: الذي يُظهر الجميلَ ويستر القبيحَ ويغفر الذنوبَ ذنباً بعد ذنبٍ أبداً، ويستتر صاحبها في الدنيا وفي الآخرة ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠] (١).

٢- مِدْرَار (مفرد): مِدْرَار، ومِدْرَارَة: صيغة مبالغة من على: "دَمَعٌ/ سَحَابٌ/ عَيْنٌ مِدْرَارٌ" وهو تعبير ماثور معناه هطل المطر مدراراً كأنه ينزل من أفواه القرب وأصله في كثرة درّ اللبن، يقال درّت الشاة تدرّ فهي دارّ: أي كثر فيض لبنها، ويكون أيضاً بِمَعْنَى سَأَلَتْ يُقَالُ درت السَّمَاءُ إذا أمطرت وسماء مدراراً غزيرة المَطَر (٢).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾، عبر بالسمااء عن المطر من قبيل المجاز المرسل، (إطلاق المحل وإرادة الحال)، لنزوله من السماء، وهي إشارة إلى تكثير النعم؛ لأن مادة حصول النعم هي الأمطار الموافقة (٣).

٢- في قوله تعالى: ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾، من المعلوم أن السماء مؤنث لكنه لم يؤنث مدراراً؛ وذلك لأن المراد بالسمااء السحاب، فذكر على المعنى، أو (مفعال) للمبالغة، يستوي فيه المذكر والمؤنث كصبور، ومدرار: للمبالغة (٤).

٣- قوله تعالى: ﴿ يُرْسِلِ ﴾، فالإرسال: بعث من مكان بعيد فأطلق الإرسال على نزول المطر؛ لأنه حاصل بتقدير الله، فشبّه بإرسال شيء من مكان المرسل إلى المبعوث إليه (٥).

٤- قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ الاستغفار هاهنا التوبة وإتّماً فصل بينهما للتوكيد، وتكرر الألفاظ على المعنى الواحد توكيد، أي: استغفروه استغفاراً بعد استغفار، ويجوز أن يكون المعنى: أن استغفروا مما مضى وتوبوا مما توقعون في المستقبل (٦).

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٦٢٩).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (ص: ٢٣٦٥)، تكملة المعاجم العربية (٨/ ١٤٠)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٢٥٥)، تفسير المراغي (١٢/ ٤٨).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢/ ٨٧)، زهرة التفاسير (٧/ ٣٧١٧).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٥٠٦)، تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٦/ ١٠٧).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٩٦).

(٦) انظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري - معتزلي (ص: ٥٧).

٥- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ﴾ وهي بمعنى الواو، وهي للترتيب الرتبي، لأن الدوام على الإقلاع وبعدها يكون طلب العفو عما سلف^(١).

٦- قوله تعالى: ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾، هي جواب الأمر من استغفروا في بداية الآية^(٢).

٧- قوله تعالى: ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾، عدي بـ ﴿ إِلَى ﴾ لتضمينه معنى يضم. وهذا إشارة إلى كمال حال القوة التي بها يمكن الانتفاع بتلك النعمة، ولا شك أن هذه الكلمة جامعة في البشارة بتحصيل السعادات وأن الزيادة عليها ممتعة في صريح العقل للقوة، ويمكن أن تكون الأولى في الإيمان، والثانية في الأبدان أي يزدكم قوة في إيمانكم إلى قوة في أبدانكم^(٣).

٨- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾، هذا فيه تحذير من الرجوع إلى الشرك والتولي: بمعنى الانصراف، وهنا مجاز عن الإعراض^(٤).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآية للسياق: ما زلنا في قصة هود عليه السلام مع قومه، وقد علم أنهم كانوا أهل شرك وضلال فأراد أن يرشدهم إلى كيفية ترك هذا العمل، وذلك بطلب المغفرة من الذنوب والذي يفهم منه الاعتراف بالذنب، فمن فائدته؛ أن يكون سبباً في نعيم العيش وسعة الرزق وزيادة القوة والسعة في الدنيا، والفوز في الآخرة، كما حذرهم من الإعراض عما دعاهم إليه؛ لأن هذا إجرام وعاقبة ذلك الخسران المبين في الدنيا والآخرة^(٥).

٢- فاصلة الآية: ﴿ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾، بعد أن تحدثت الآية عن هود عليه السلام وقومه ودعوته لهم بالتوبة، والاستغفار، والرجوع إلى الله عز وجل، وخاصة بعد أن وضَّح لهم نبيهم عليه السلام دعوته إليهم، ورغبتهم في الاستجابة لها، وحذرهم من الإعراض عنها، تذكيراً لهم للقرابة التي تجمعهم وإياه، ناسب أن يختم الآية الكريمة بقوله: ﴿ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ للتحذير من مقابلة نعم الله عز وجل عليهم بالكفر، والجحود، والإصرار على ما هم عليه من الضلال والفساد والشرك، وفي هذا إشارة واضحة للعلاقة بين الآية وفاصلتها^(٦).

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٩٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٩٦).

(٣) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب (١٨ / ٣٦٣)، تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٧٩).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٩٧).

(٥) انظر: تفسير المراغي (١٢ / ٤٨).

(٦) انظر: التحرير والتنوير، (١٢ / ٩٧)، روح المعاني، (٨ / ٢٧٦).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

يخبر الله ﷻ عما قاله هود عليه السلام لقومه وبعد ما ازدادوا إصراراً واستكباراً فأخذهم الله أولاً بعقم الأرحام والأمطار، حيث دعا قومه إلى توحيد الله ليغفر لهم ذنوبهم وعبادتهم غيره، ويرشدهم إلى طلب المغفرة والنجاة منه ﷻ ثم توبوا واسترجعوا إليه نادمين مخلصين يرسل قَطْرَ السماء عليكم يدرّ لكم الغيثَ في وقت حاجتكم إليه، على سبيل التتابع والإدراج، تفضلاً عليكم وامتناناً لتحيّياً بلادكم من الجذب والقحط بأمر الله، كذلك يضاعف أولادكم التي هي قوة ظهوركم، وَعَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَعْرَضُوا عَنْ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ، مصرين على ما أنتم عليه لأن ذلك لا يفعله إلا مجرم^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- يجب إخلاص التوبة لله ﷻ ومن ثم الاستقامة، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً. قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]^(٢).
- ٢- بعض فوائد الاستغفار: كما ذكر عدد من المختصين^(٣):
 - أ- الاستغفار يجلب الغيث المدرار للمستغفرين ويجعل لهم جنّات ويجعل لهم أنهاراً.
 - ب- الاستغفار يكون سبباً في إنعام الله - عزّ وجلّ - على المستغفرين بالرزق من الأموال والبنين.
 - ت- تسهيل الطاعات، وكثرة الدعاء، وتيسير الرزق.
 - ث- زوال الوحشة التي بين الإنسان وبين الله.
 - ج- المستغفر تصغر الدنيا في قلبه.
 - ح- ابتعاد شياطين الإنس والجنّ عنه.
 - خ- يجد حلاوة الإيمان والطاعة.
 - د- حصول محبة الله له.
 - ذ- الزيادة في العقل والإيمان.
 - ر- تيسير الرزق وذهاب الهمّ والغمّ والحزن.
 - ز- إقبال الله على المستغفر وفرحه بتوبته.
 - س- وإذا مات تلقّته الملائكة بالبشرى من ربّه.
 - ش- إذا كان يوم القيامة كان الناس في الحرّ والعرق، وهو في ظلّ العرش.
 - ص- إذا انصرف الناس من الموقف كان المستغفر من أهل اليمين مع أولياء الله المتّقين.

(١) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية (١/ ٣٥٦).

(٢) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٢٧٩).

(٣) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢/ ٣٠٢).

ض- تحقيق طهارة الفرد والمجتمع من الأفعال السيئة

ظ- دعاء حملة عرش ربنا الكريم له".

٣- فضل الاستغفار ووجوب التوبة. وقد روى أبي داود بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إِنَّهُ لَيَعَانُ عَلَيَّ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ)^(١).

٤- تقديم الاستغفار على التوبة مشعر بأن العبد إذا لم يعترف أولاً بذنبه لا يمكن له أن يتوب منه^(٢).

٥- من لم يتبع طريق الهداية والرشاد، ويسير على طريق الضلال؛ فمصيره كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٤].

٦- على كل من يدعو إلى الله ﷻ أن يكون له في الأنبياء القدوة والأسوة الحسنة، فلننظر كيف عامل النبي هود عليه السلام قومه وهم على الشرك، فقد حاول أن يرقق قلوبهم ليستجلبها إلى طريق الهداية والرشاد، فنراه تارة بعد أخرى؛ يذكرهم ﴿ يَا قَوْمِ ﴾ والذي يشعر بقرب المناهي من المنادى.

المطلب الثالث: من أسباب الضلال التقليد في العقيدة.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴾ [هود: ٥٣، ٥٤، ٥٥].

أولاً: معاني المفردات:

﴿ اعْتَرَاكَ ﴾ اعترى يعترى، اعترى، اعترأ، فهو معترٍ، والمفعول مُعْتَرَى.

اعتراه الهمُّ: عراه؛ أصابه، ألم به، لحق به "اعتراه الغضبُ/ الندمُ/ الذُّعرُ - اعترته حسرةٌ/ يعمل بروح يعترىها السَّامُ"، (العرّة) الجرب وما يعترى الإنسان من الجنون والجرم والعقدة في العَصَا والقدر، وهذا هو المعنى الذي قصدوه^(٣).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا هُوْدُ ﴾، ذكر ابن عاشور عدة نواحٍ بلاغية في هذا النداء وهي^(٤):

(١) سنن أبي داود، كتاب تقريع أبواب الوتر، باب الاستغفار رقم ١٥١٥ (٢/ ٨٥)، صححه الالباني.

(٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٥٢).

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (ص: ٤٠٥)، غريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ٢٢١)، المعجم الوسيط (٢/ ٥٩٢).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٩٨).

أ- افتتاح كلامهم بالنداء يشير إلى الاهتمام بما سيقولونه، وأنه جدير بأن ينتبه له.

ب- أنزلوه منزلة البعيد لغفلته فنادوه، فهو مستعمل في معناه الكنائي أيضا.

ت- وقد يكون مرادا منه مع ذلك توبيخه ولومه فيكون كناية ثانية.

ث- أن تكونوا استعملوا النداء في حقيقته ومجازه.

٢- قوله تعالى: ﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ عن للتعليل وهي للمجازة، أي لا نتركها تركا صادرا عن قولك، أي

بسبب قولك المجرد عن البينة كقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] (١).

٣- قوله تعالى: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾، هو كلام غير جار على انتظام

الحجة، لأنه كلام ملفق ليس له حقيقة، فجعلوه مجنونا وجعلوا سبب جنونه مسأ من آلهتهم (٢).

٤- قوله تعالى: ﴿إِنْ نَقُولُ﴾ أداة «إن» الشرطية يأتي بعدها جملة شرط، وجواب شرط، فإن لم

تكن كذلك؛ فتكون بمعنى النفي بمعنى ما نقول إلا اعتراك (٣).

٥- قوله تعالى: ﴿مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ﴾، إنكارهم هذا لفرط عنادهم، وعدم اعتدادهم بما جاءهم من

المعجزات (٤).

٦- قوله تعالى: ﴿إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾، الاستثناء مفرغ، وأصله أن نقول قولا إلا قولنا هذا، فحذف

المستثنى منه، وحذف القول المستثنى، وأقيم مقوله مقامه، وهو ﴿اعْتَرَاكَ﴾ (٥).

٧- قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا﴾ أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به

عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة الله ﷻ وشهادة العباد (٦).

٨- قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معنى إشهاده يراد من شركائهم تحقيق ذلك،

وأنه لا يتردد على أمر جازم قد أوجب المشهود عليه على نفسه، وأتى في إشهادهم بصيغة الأمر،

لأنه أراد إنشاء الإشهاد دون معنى الإخبار (٧).

(١) انظر: التحرير والتنوير (٩٨ / ١٢)، فتح البيان في مقاصد القرآن (٦ / ٢٠١)، التفسير الإجمالي: تفسير

الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٧٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٩٨ / ١٢).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٥٠٦).

(٤) انظر: التفسير المنير للزحيلي (١٢ / ٨٨).

(٥) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٨٠).

(٦) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٥٠٦).

(٧) انظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٤٠٣).

لما كان إشهداه لله ﷺ واقعاً محققاً عبر عنه بصيغة الخبر، لأنه إشهداه صحيح ثابت، أما في جانبهم فعبر بصيغة الأمر التي تتضمن الاستهانة بدينهم واللامبالاة به، وهو مراده في هذا المقام معهم، ويحتمل أن يكون إشهداه لهم حقيقة، والغرض إقامة الحجة عليهم، وإنما عدل إلى صيغة الأمر عن صيغة الخبر، للتمييز بين خطابه لله ﷺ وخطابه لهم، بأن يعبر عن خطاب الله ﷺ بصيغة الخبر التي هي أجل وأوقر للمخاطب من صيغة الأمر^(١).

٩- قوله تعالى: ﴿فَكِيدُونِي﴾، الفاء لتفريع الأمر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا، وعلى البراءة كلتيهما، وهذا من أعظم المعجزات التي تحداهم بها^(٢).

١٠- قوله تعالى: ﴿فَكِيدُونِي﴾، جعل الخطاب لقومه لئلا يكون خطابه لما لا يعقل ولا يسمع. كذلك أدخل في ضمير الكائدين أصنامهم مجارة لاعتقادهم واستقصاء لتعجيزهم، أي أنتم وأصنامكم.

١١- قوله تعالى: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾، هذا القول مع كثرة الأعداء يدل على كمال الثقة بنصر الله ﷻ، وهو من أعلام النبوة، أن يكون الرسول وحده يقول لقومه ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾. وكذلك قال النبي ﷺ لقريش. وقال نوح ﷺ ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]. والمراد بيان عجزهم عن إلحاق الضرر به؛ ليعلموا أن آلهتهم جماد لا تضر ولا تنفع^(٣).

١٢- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾، ثم للتراخي الرتبي، تحداهم بأن يكيدوه ثم ارتقى في رتبة التعجيز والاحتقار فنهاهم عن التأخير بكيدهم إياه، وذلك نهاية الاستخفاف بأصنامهم وبهم وكناية عن كونهم لا يستطيعون إلى ذلك سبيلا.

١٣- دلت أجاباتهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد، لا يبالون بالبهت، ولا يلتفتون إلى النصح، ولا تلين شكيمتهم للرشد، وهذا الأخير دال على جهل مفرط وبله متناه، حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم، ولعلمهم حين أجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب^(٤).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة السياق للآيات: مازلنا نعيش جو الحوار بين لوط ﷺ وقومه، وقد بدأ بنصحهم وإرشادهم فخطبهم؛ يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه من شرككم فإن تبتم يغفر لكم ذنوبكم، ويرسل عليكم المطر متتابعاً دائماً، كلما تحتاجون إليه، ويزدكم شدة مع شدتكم بالماء الذي منه حياتكم، والولد، وصحة الجسم، وطول العمر. ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه من الإيمان والتوحيد،

(١) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٩٩)، تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤٠٣).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٢١٨).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢/ ٨٨)، تفسير القرطبي (٩/ ٥٢).

(٤) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤٠٣).

وتثبتوا على الشرك. والآن يأتي دورهم في الرد عليه قالوا يا هود: لم تأتنا بحجة وبيان ولا نترك عبادة آلهتنا بقولك ولا نصدقك بأنك رسول الله ما نقول: إلا اعتراك من بعض الأوثان الخبل والجنون، فاجتنبها سالماً؛ أجابهم هود عليه السلام بأنه يشهد الله عليهم أنه أبلغهم وأنهم كابروا وجحدوا آياته، وتحداهم قائلاً اعملوا بي أنتم وآلهتكم ما استطعتم، واحتالوا في هلاكي ثم لا تمهلون^(١).

٢- فاصلة الآية الأولى: ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ بدأت هذه الآية بمحاورة قوم هود عليه السلام له، فبدأوا بالنداء على نوح والذي يفهم منه الاحتقار منهم له، بإنكارهم كل ما جاء به، لا بل تمادوا في جحودهم وتحديهم عناداً واستكباراً فناسب أن تختم هذه الآية بمجمل ما أرادوا ألا وهو عدم الإيمان به وبرسالته.

٣- فاصلة الآية الثانية: ﴿ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾، لما أبلغوا هوداً عليه السلام بأنهم ليس في نواياهم الإيمان به، ولا بدعوته، حاولوا أن يبرروا ما الذي حدث له، مدعين أن ذلك يرجع إليه لأنه سفة آلهتهم، فهذه الآلهة انتقمت منه وجعلته ممسوساً أو غير سوي، مما ناسب أن يكون السياق لازماً للرد عليهم لإظهار بطلان ما زعموا وذلك بشهادة الله تعالى، ومن ثم شهادتهم، والتي تحمل في ثناياها التحدي لهم ولآلهتهم^(٢).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

قالوا يا هود: ما جئتنا بحجة واضحة تدل على صحة دعواك أنك مرسل من عند الله، وقد قالوا ذلك عناداً منهم وجحوداً للحق، وما نحن بتاركي عبادة آلهتنا بسبب قولك الذي لا بينة عليه، وما نحن بمصدقين ما جئت به. ثم بالغوا في الرد وقالوا: لا نجد من قول نقوله فيك إلا أن بعض آلهتنا أصابك بمس من جنون أو خبل؛ لإنكارك لها وصدك إيانا عن عبادتها. ثم ذكر رده عليهم على طريق الحكاية أنه يشهد الله الذي يثق أنه أرسله، ويحمي ذاته، ويحمي عقله؛ كما أنه يشهد قومه ويطالبهم أن يرجعوا إلى الفطرة السليمة، ويحكموا: أهو مجنون أم لا؟ ويشهدهم أيضاً أنه بريء من تلك الآلهة التي يشركون بعبادتها من دون الله تعالى لقد أعلنت أمامكم بكل قوة ووضوح أني بريء من شرككم، وها أنذا في مواجهتكم، فانضموا إلى آلهتكم، وحاربوني بما شئتم من ألوان المحاربة والأذى بدون تريث أو إمهال، فإني لن أكف عن الجهر بدعوتي، ولن أترجع عن احتقار الباطل الذي أنتم عليه، وهذا فيه قمة التحدي^(٣).

(١) انظر: تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٢/ ١٥٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٩٥).

(٣) انظر: تفسير المراغي (١٢/ ٤٩)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٢٢٦).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- اقتضت إجابة قوم هود له على التركيز على عبادة الآلهة من الأصنام والأوثان، وتقليد الأسلاف^(١).
- ٢- تشابه الفكر الشركي وأحوال المشركين إذ قول قوم هود ﷺ ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾.. الخ. يردد جهلة المسلمين مثله، لذلك يجب أن يكون معلوماً لكل داعية، أن من سار على هذه الطريق فسيفعل به كما فعل بالأنبياء^(٢).
- ٣- يجب عدم تعطيل الفكر والعقل، والنظر الحر الطليق القائم على الاستدلال بالأدلة الكثيرة والمعجزات المتظافرة، لكن قوم هود ﷺ لم يستفيدوا من ذلك بشيء^(٣).
- ٤- عند كمال الثقة بنصر الله ﷻ، تكثر الأعداء الذين يكيدون لهذا الدين وأهله، وهذا أيضا من أعلام النبوة: التي أظهرها الله ﷻ على يد هود ﷺ، أن يكون الرسول وحده^(٤).
- ٥- الوثائق بمنهجه وينصر الله ﷻ لا بد أن يدافع عن منهجه، بالحجة والبرهان، ولا يصمت عندما تكال له الإتهامات؛ فهذا هود ﷺ يعلن البراءة من شركهم ويشهد الله ﷻ ومن ثم يشهدهم بذلك.
- ٨- الذي يدعو الى منهج الله ﷻ لا يخاف من توعده المتوعدون، فقوم هود ﷺ مشهورون بالقوة والشدة قال تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٨]، ومع ذلك لم يهادن أو يستسلم فمواقف أهل الإيمان واحدة^(٥).
- ٩- المجادلة من أسباب الضلال رغم وجود الحجة على صحة دعوة هود ﷺ.
- ١٠- العناد والاستكبار سبب مباشر من أسباب الضلال

المطلب الرابع: التوكل على الله ﷻ عبادة تحت على الإلتزام.

قال تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

أولاً: معاني المفردات:

- (١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٩٤).
- (٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٥٤).
- (٣) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٨٠).
- (٤) انظر: تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٢ / ١٥٦).
- (٥) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٨٩٦).

١- دَابَّةٌ: من (دَبَّ) يَدْبُ بِالْكَسْرِ (دَبًّا) وَ (دَبِيًّا) وَكُلُّ مَا شِ عَلَى الْأَرْضِ (دَابَّةٌ)، دَبَّ يَدْبُ دَبًّا وَدَبِيًّا: مَشَى عَلَى هَيْئَتِهِ، وَهُوَ خَفِيُّ الدَّبَّةِ، كَالْجِلْسَةِ، وَالدَّابَّةُ: مَا دَبَّ مِنَ الْحَيَوَانِ، وَغَلَبَ عَلَى مَا يُرْكَبُ، وَيَقَعُ عَلَى الْمَذْكَرِ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ: مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَوْ أَوْلَاهَا^(١).

٢- بِنَاصِيَتِهَا: نَاصِيَةٌ [مفرد]: نَاصِيَاتٍ وَنَوَاصٍ: نَاصِيٌ يَنَاصِي، مُنَاصَاةً وَنِصَاءً، فَهُوَ مُنَاصٍ، وَالمَفْعُولُ مُنَاصِيٌّ، وَتَأْتِي عَلَى عِدَّةٍ مَعَانٍ مِنْهَا: مُقَدِّمُ الرَّأْسِ ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]، أَدَلَّ فُلَانٌ نَاصِيَةً فُلَانٍ: أَمَانَتُهُ وَحِطُّهُ مِنْ قَدْرِهِ-، اِمْتَلَاكَ نَاصِيَةَ الْبَلَاغَةِ: أَعْطَاكَ الْبَلَاغَةَ قِيَادَهَا، مَلَكَتْهُ عَنَانُهَا- اِمْتَلَاكَ نَاصِيَةَ الْأَمْرِ: أَخَذَ السُّلْطَةَ، عَقَدَ نَاصِيَتَهُ: غَضِبَ وَتَهَيَّأَ لِلشَّرِّ، فُلَانٌ نَاصِيَةٌ قَوْمِهِ: شَرِيفُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ، رَأْسُ الشَّارِعِ عِنْدَ مُلْتَقَاهُ بَآخِرٍ، مَلْتَقَى شَارِعِينَ^(٢).

٣- صِرَاطٌ: أَصْلُهَا: صِرَاطٌ وَسِرَاطٌ وَزِرَاطٌ وَالسَّطْرُ وَالصَّطْرُ^(٣).

وَقَدْ جَاءَتْ كَلِمَةُ (صِرَاطٍ) عَلَى عِدَّةٍ مَعَانٍ كَمَا ذَكَرَ فِي مِنْهَا:

أ- طَرِيقٌ، سَبِيلٌ، مَسْلِكٌ ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٦].

ب- جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، يَجْتَازُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِأَعْمَالِهِمْ ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٦٦].

ت- الدِّينُ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ^(٤).

ثَانِيًا: وَجْهَ الْبَلَاغَةِ:

١- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ﴾، جُمْلَةٌ تَعْلِيلٌ لِمُضْمُونِ ﴿فَكَيْدُونِي﴾ وَهُوَ التَّعْجِيزُ وَالِاحْتِقَارُ، يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ وَاثِقٌ بِعَجْزِهِمْ عَنِ كَيْدِهِ؛ لِأَنَّهُ مَتَوَكَّلٌ عَلَى اللَّهِ ﷻ، وَهَذَا مَا عَلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ^(٥).

٢- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ أَجْرِي عَلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ-الْإِلَوهِيَّةِ- صِفَةِ الرِّبَوِيَّةِ اسْتِدْلَالًا عَلَى صِحَّةِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ فِي دَفْعِ ضَرَرِهِمْ عَنْهُ، لِأَنَّهُ مَالِكُهُمْ جَمِيعًا يَدْفَعُ ظِلْمَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا^(٦).

٣- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾، وَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدَّرَ مَقَادِيرَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ خَلَقَ خَلْقَهُ، وَقَدَّرَ نَفْذَ بَصَرِهِ فِي جَمِيعِ مَا هُمْ فِيهِ عَامِلُونَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، فَلَمَّا خَلَقَهُمْ وَضَعَ نُورَ تِلْكَ النُّظْرَةِ فِي نَوَاصِيهِمْ فَذَلِكَ النُّورُ آخِذٌ بِنَوَاصِيهِمْ، يَجْرِيهِمْ إِلَى أَعْمَالِهِمْ الْمَقْدَرَةِ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْمَقَادِيرِ. وَخَلَقَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ

(١) انظر: القاموس المحيط (ص: ٨٢)، القاموس المحيط (ص: ٨٢)، مختار الصحاح (ص: ١٠١).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٢٢٤).

(٣) المزهري في علوم اللغة وأنواعها (١/ ٣٦٥).

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٢٨٨).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٠٠).

(٦) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٩٥).

السماوات والأرض بخمسين ألف سنة^(١)، روى الترمذي بسنده عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قَدَّرَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)^(٢).

٤- قوله تعالى: ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾، قصد منها تحقيق معنى الربوبية مثل قوله: ﴿ اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾، فالربوبية هي من صفات اسم الجلالة والهاء في دابة للمبالغة^(٣).

٥- قوله تعالى: ﴿ آخِذْ بِنَاصِيَتِهَا ﴾، تمثيل للتمكن، تشبيهاً بهيئة إمساك الإنسان من ناصيته حيث يكون رأسه بيد آخذه فلا يستطيع انفلاتاً. ولما صار مثلاً صار بمنزلة: ما من دابة إلا هو متصرف فيها، والمقصود من ذلك أنه المالك القاهر لجميع ما يدب على الأرض^(٤).

٦- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾، جملة تعليلية لجملة ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ﴾، أي توكلت عليه لأنه أهل لتوكلي عليه، وهو تمثيل واستعارة لأنه تعالى مطلع على أمور العباد مجاز لهم بالثواب والعقاب كاف لمن اعتصم به، وأن أفعاله متصفة على طريق العدل والتأييد لرسله وأنبيائه^(٥).

٧- قوله تعالى: ﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾، وحرف على في الآية للاستعلاء المجازي، مثل قوله: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [لقمان: ٥] وهو الاتصاف الراسخ الذي لا يتغير، وهي مستعارة للتمكن المعنوي^(٦).

٧- قوله تعالى: ﴿ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾، مستعار للفعل الجاري على مقتضى العدل والحكمة ولأن العدل يشبهه بالاستقامة والسواء، ومع كل قدرة الله صلى الله عليه وسلم اللامتناهية، فلا يستعمل قهره في الظلم^(٧).

٨- قوله تعالى في صدر الآية: ﴿ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾، وفي عجز الآية قال: ﴿ إِنَّ رَبِّي ﴾، والسبب في قوله: ﴿ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾، أنهم كانوا قادحين في مسألة ربوبية الحق صلى الله عليه وسلم. لذلك قال صلى الله عليه وسلم في مجال السيطرة، أما في عجز الآية فقال: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾، لم يأت هنا بشيء يخص أربابهم؛ لأنه هنا يتحدث عن مطلق عدالة صلى الله عليه وسلم، كذلك فيه ما يدل على زيادة اختصاص الله صلى الله عليه وسلم به وأنه رب الكل استحقاقاً وربهم دونهم تشريفاً وإرفاقاً^(٨).

(١) انظر: تفسير القرطبي (٩ / ٥٣).

(٢) سنن الترمذي، كتاب القدر، باب أبواب القدر، رقم (٢١٥٦) - (ج ٤ / ٤٥٨) وقال الترمذي حسن صحيح، وصححه الاباني.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٩ / ٥٢).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٠٠).

(٥) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٨٩٧)، الجدول في إعراب القرآن (١٢ / ٢٩٥).

(٦) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٨٢)، تفسير القرطبي (٩ / ٥٢).

(٧) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٥١١).

(٨) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٥١٠)، تفسير الألوسي = روح المعاني (٦ / ٢٨٢).

٩- الضمير في قوله تعالى: ﴿ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾، وقد ذكر الإمام الألويسي؛ ما قاله التبريزي^(١): " إن الضمير لكفار قريش وهو من تلوين الخطاب، وقد انتقل من الكلام الأول إلى الإخبار عن حضرة الرسول ﷺ، وكأنه قيل: أخبرهم عن قصة قوم هود عليه السلام ودعاهم إلى الإيمان بالله تعالى لئلا يصيبهم كما أصاب قوم هود عليه السلام"^(٢).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة السياق للآية: بعد أن خاطب هود عليه السلام قومه بما خاطبهم، وحقهم وآهتهم وهيجهم على ما هيجهم فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه، وظهر عجزهم عن ذلك ظهوراً بيناً، وفي ذلك دلالة على مزيد ثقته بالله ﷻ وكمال عنايته به وعصمته له، وقد قرر ذلك بإظهار التوكل على من كفاه ضرهم وقد علل لنفي ضرهم بطريق برهاني يعني أنكم وإن بذلتُم في مضادتي مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فإني متوكل على الله ﷻ واثق بكأله وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني أمر إلا بإرادته، فأفعال الله ﷻ هي في غاية الأحكام، فهو الحق والعدل فلا يظلمهم ولا يعمل إلا بالإحسان والإنصاف لعباده فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بعمله^(٣).

٢- فاصلة الآية: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، تعليل لنفي ضرهم بطريق برهاني، ففيه إشارة إلى أن كل نفس بشرية تحت قهره وسلطانه سبحانه، أسيرة في يد تصرفه عاجزة عن الفعل إلا بإذنه، فهو على الحق والعدل فلا يضيع عنده معتصم، ولا ظالم، وأنه ﷻ لا يسلط أحداً على أحد إلا عن استحقاق ذنب، أو رفع درجة وإعلاء منزلة لأنه على طريق العدل المطلق الذي لا زيغ فيه ولا اعوجاج^(٤).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

أخبر هود عليه السلام قومه أن توكله على الله ﷻ وأنكم وإن بذلتُم في مضارتي مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فإني متوكل على الله ﷻ واثق بكأله وحفظي عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني أمر إلا بإرادته ومشيتته، ثم برهن عليه أن

(١) أبو زكرياء يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني الخطيب التبريزي، كان أحد أئمة اللغة والنحو. أخذ عن أبي العلاء المعري وأبي القاسم عبيد الله بن علي الرقي وأبي محمد الدهان اللغوي. ودرس الأدب بالمدرسة النظامية ببغداد. وصنف تصانيف جمة، فمنها كتاب غريب القرآن، وكتاب مقاتل الفرسان إلى غير ذلك من التصانيف. نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ٢٧١).

(٢) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤٠٣).

(٣) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨/ ٣٦٥)، نحو تفسير موضوعي (١/ ١٦٨).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٣٠)، تفسير أبي السعود (٤/ ٢١٨).

كل دابة على هذه الأرض هو مالك لها قادر عليها بصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فإن الأخذ بالناصية تمثيل لذلك، وعلل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على إضراره، لأنه على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم عليّ؛ إذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفتات عليه ظالم^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- من أصول الإيمان حسن التوكل على الله ﷻ الخالق القاهر المتصرف بالمخلوقات كيف يشاء^(٢).

٢- حسن التوكل على الله ﷻ هو الذي يمنع وصول الضرر إلى كل مؤمن صادق مخلص، فهو الذي منع النبي هود عليه السلام مما كاد به قومه لأنه، كان من أحسن المتوكلين على الله ﷻ^(٣).

٣- ما من نفس تدب على الأرض أو في السماء، إلا وهي تحت سلطان الله ﷻ وقهره وتصرفه، يسيرها كيف يشاء.

٤- الله تعالى قادر على الحق والعدل، وهو سبحانه وإن كان قادراً على قوم عاد العتاة الأشداء، لكنه لا يظلمهم، ولا يفعل بهم إلا ما هو الحق والعدل والصواب، وما يقابل صنيعهم^(٤).

(١) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣ / ١٨١)، فتح القدير للشوكاني (٢ /

٥٧٣)، السراج المنير (٢ / ٥٣)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٢١٨)

(٢) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٥ / ٣٦٣)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٢١٨).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٩٤).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٩ / ٥٣).

المبحث الثاني

نجاة هود عليه السلام وإهلاك قومه

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٥٧-٦٠)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تبليغ رسالة الله ﷻ مهمة الأنبياء وهم في رعاية الله ورحمته.
- المطلب الثاني: الجحود والعصيان والعناد.
- المطلب الثالث: إهلاك قوم عاد باللعنة في الدنيا والآخرة .

المبحث الثاني

نجاه هود عليه السلام وإهلاك قومه

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٥٧-٦٠)

المطلب الأول: تبليغ رسالة الله ﷻ مهمة الأنبياء وهم في رعاية الله ورحمته.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ * وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّبَيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٧، ٥٨].

أولاً: وجوه البلاغة:

- ١- قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، هذه جملة شرطية وجد فيها أداة الشرط «إِنْ»، فعل الشرط «تَوَلَّوْا» جواب الشرط محذوف، إذ الإبلاغ ليس هو الجواب، لتقدمه على توليهم، وإنما هو متعلق الجواب، والتقدير: فقل لهم: قد أبلغتكم^(١).
- ٢- في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾، هناك محذوف دل عليه ما أقيم مقامه، فالتقدير: فإن تولوا فلا ملام عليّ لأنّي قد أبلغتكم، وليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على قولهم^(٢).
- ٣- في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾، مضمون هذه الجملة تفصيل لمضمون جملة ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤]، لأن أصل تولوا تتولوا فحذفت إحدى التاءين اختصاراً، فهو مضارع، وهو خطاب هود عليه السلام لقومه^(٣).
- ٤- في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ عطف على الجواب بالفاء كأنه قيل فإن تولوا يعذرنّي، ويهلككم، ويستخلف مكانكم آخرين أو استئناف بالوعيد لهم بأن الله ﷻ يهلكهم ويستخلف في ديارهم وأموالهم قوماً آخرين، وهذا تخويف قارنه تسويق فجاء بالواو المُهملة^(٤).
- ٥- في قوله تعالى: ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ كل ما في القرآن من ذكر القوم دليل على أن القوم وإن انفرد به الرجال في حال فهو يجمع الرجال والنساء في أكثر الأحوال، وأن كل أمة سميت بالقوم ويعث

(١) انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (١/ ٢٦٧).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٠٩)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: ١٨٧).

(٣) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨/ ٣٦٥).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٢١٩).

إليها نبي، فهو مبعوث إلى الرجال والنساء^(١).

٦- ذكر الإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾، ثلاثة أوجه كالتالي^(٢):

أ- حفيظ لأعمال العباد حتى يجازي المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته هم عليها.

ب- يحفظني ويحرصني من شركم ومكرهم.

ت- حفيظ على كل شيء يحفظه من الهلاك إذا شاء ويهلكه إذا شاء.

٧- في قوله تعالى: ﴿رَبِّي﴾ في اقتصار إضافة الرب إلى هود عليه السلام دل إلى اللطف به والتدمير للمخاطبين^(٣).

٨- في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ في التعبير عنه بالأمر مضافاً إلى ضميره ﷻ وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل أو ورد أمرنا بالعذاب.

٩- في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ لأن العذاب في هذه القصة تأخر عن وقت الوعيد^(٤).

١٠- في قوله تعالى: ﴿نَجَّيْنَا﴾ كرر نجينا للتأكيد والتعظيم والتهويل من شدة العذاب الذي سيلحق بمن لم يستجب لهذه الدعوة ويمكن أن يكون النجاة الأولى من العذاب الذي حصل لقومه والعذاب الآخر هو نجاة يوم القيامة بفوزهم بالجنة^(٥).

١١- في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ﴾ أي تنجية عظيمة بما لنا من العظمة والكرامة عندك^(٦).

١٢- في قوله تعالى: ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾، نسب الحق ﷻ الرحمة لنفسه لأن الإنسان مهما عمل من عمل فإن ذلك لا يجازي أقل نعمة أنعمها الله عليه، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالَ رَجُلٌ: وَلَا إِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: وَلَا إِيَّايَ، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَلَكِنْ سَدَّدُوا)^(٧).

١٣- في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أطلق التنجية أولاً، ثم قيدها على معنى النجاة، بمعنى ألا يصيبهم هذا العذاب الذي أصاب قومهم، فكان العذاب الغليظ هو سموم تدخل

(١) انظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (١ / ٦٠٤).

(٢) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٣٦٥).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٢١٩).

(٤) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل (٢ / ٧٩١)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (١ / ٢٦٧).

(٥) انظر: التفسير المظهر (٥ / ٩٥)، البحر المحيط في التفسير (٦ / ١٧٠).

(٦) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩ / ٣١٤).

(٧) صحيح مسلم، كتاب: صفة القيام والجنة والنار، باب: لن يدخل الجنة أحد بعمله بل برحمة، رقم ٧١، (٤ / ٢١٦٩).

انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٢١٩).

في أفواههم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضواً عضواً، وقد وصف العذاب بأنه غليظ بهذا التصوير
المجسم، يتناسق مع الجو، ومع القوم الغلاظ العتاة^(١).

ثانياً: المناسبات:

١- مناسبة الآيتين للسياق: أبلغ هود عليه السلام رسالته في بيان ورفق، ولكنهم أصروا على الكفر
والعصيان واستعجلوا العذاب الذي كان يذكرهم به أثناء تبليغ رسالة ربه، عندئذ ذكرهم بعاقبة أمرهم،
كذلك بين لهم أن الله ﷻ سوف يأتي بقوم غيرهم، مع أن عنادهم وعدم قبولهم الدعوة لا يلحق أي
ضرر بالله ﷻ لأنه غني عن العالمين. ناسب السياق أن تختتم هذه القصة بوقوع ما وعدهم نبيهم
من العذاب، ونجاة هود عليه السلام ومن آمن معه^(٢).

٢- فاصلة الآية: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾، بدأت الآية بإبلاغ هود عليه السلام ما أمره الله ﷻ
إبلاغه، فلما رأى من قومه الإصرار على المعصية، وعدم الاستجابة له، رأى أن يبين لهم أنه
مأمور بالتبليغ عن ربه، وأن الله ﷻ سوف يستبدلهم بآخرين، إن أصروا على الكفر فهم بإصرارهم
هذا لن يضرروا الله شيء، فناسب أن تختتم الآية بحفظ النبي ﷺ ومن آمن معه مما ألم بالقوم.

٣- فاصلة الآية: ﴿ وَنَجِّنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾، وبعد كل ما سبق من إبلاغ وتحذير من هود
عليه السلام لقومه، وهم على إصرار وعناد وعدم اكتراث، حان موعد تنفيذ موعود الله بهم، نجى الله ﷻ
هوداً عليه السلام ومن آمن معه، بفضل الله ﷻ ورحمته، فناسب أن تختتم هذه الآية بإظهار ماهية هذا
العذاب الذي يناسب هؤلاء القوم، وهو العذاب الغليظ الذي وعد به القوم.

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

خاطب النبي هود عليه السلام قومه بقوله إن عرضتم يهلككم الله ﷻ ويستبدل بكم قوماً غيركم،
أطوع منكم يوحدهونه ويعبدونه، حيث لم يبق لكم عذر بعد ما أبلغتكم ما أرسلني الله ﷻ به إليكم،
ولا بأس بإعراضكم عني، فإني قد أدبت ما عليّ من البلاغ، ولا تضرونه تعالى بإعراضكم شيئاً من
الضرر إنما تضرون أنفسكم، ولا تنقصونه شيئاً إذا أهلككم لأن وجودكم وعدمكم عنده سواء إن ربي
رقيب لا يخفى عليه ما تصنعون ولا يغفل عن مجازاتكم، حافظ يحفظني من أن تتألوني بسوء،
رقيب فلا تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم، مستول على كل شيء.

لما جاء أمرنا بتحقيق الوعيد، وإهلاك قوم هود عليه السلام، نجينا هوداً عليه السلام والذين آمنوا معه
برحمة مباشرة منا، ذلك بتخليصهم من العذاب العام النازل بالقوم، واستثنيتهم من أن يصيبهم بسوء.
وكانت نجاتهم من عذاب غليظ حلّ بالمكذابين^(٣).

(١) انظر: تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورجائب الفرقان (٤/ ٣٣)، في ظلال القرآن (٤/ ١٩٠٠).

(٢) انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٧٢٠).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٩٠٠).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- مهمة الأنبياء - عليهم السلام - هي تبليغ دعوة الله ﷻ ومحااجة الكفار، بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن أعرض الناس عن دعواتهم، فهم أي الأنبياء قد أبرعوا ذمتهم، وأدوا ما أنيط بهم^(١).
- ٢- إذا أعرض الناس عن منهج الله ﷻ فهو قادر على إلحاق الأذى بهم، وهو ﷻ وإن كان قادراً على قوم عاد العتاة الأشراء، لكنه لا يظلمهم، ولا يفعل بهم إلا ما هو الحق والعدل والصواب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا ﴾ [النساء: ٤٠].
- ٣- الكافرون المعرضون هم الذين يخسرون، ويتضررون، ويتعرضون لعذاب الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]، فإن نجوا من عذاب الدنيا فلن ينجوا من عذاب الآخرة قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]^(٢).
- ٤- الحق ﷻ قادر على أخذ المجرمين واستبدالهم بآخرين هم أطوع إلى الله منهم، يوحدونه ويعبدونه، وذلك على الله يسير، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالِكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨]^(٣).
- ٥- الله ﷻ هو القوى المتين، لا يستطيع الخلق على ضره أو نفعه ولو اجتمعوا على صعيد واحد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴾ [آل عمران: ١٧٧]، كذلك روى الإمام مسلم بسنده عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال:
(يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعَمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي ٠٠٠ إلى آخر الحديث)^(٤).
- ٦- الله ﷻ لا يتخلى عن أوليائه، فهو ناصرهم ومؤيدهم وحافظ لهم من أن يصيبهم مما يصيب به الكفار، قال تعالى: ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤]^(٥).

(١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٩٥).

(٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٥٦).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٩٥).

(٤) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: تحريم الظلم، رقم ٥٥، (٤ / ١٩٩٤).

(٥) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٩٠٠).

٨- إذا جاء أمر الله بعذاب قوم فلا يستطيع أحد رد هذا سأل قضاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]

كما أنّ إهلاك الظالمين يكون بعدل الله ﷻ، فإن نجاة المؤمنين لا تكون إلا برحمة، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: (لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ) قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدَّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا»^(١).

المطلب الثاني: الجحود والعصيان والعناد.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩].
أولاً: معاني المفردات:

١- (جحود): الجيم والحاء والذال أصل يدل على قلة الخير. يقال عام جحد قليل المطر. ورجل جحد فقير، وقد جحد وأجحد. وقيل: الجحد من كل شيء القلة، لذلك فإن الجحود: هو ضد الإقرار، ولا يكون إلا مع علم الجاحد به أنه صحيح. قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وما جاء جاحد بخير قط^(٢).

٢- (عنيدي): عنَدَ/ عنَدَ عن يَعْنُدُ وَيَعْنِدُ، عُنُودًا وَعَنْدًا، فهو عاند وعنيدي وعنود، والمفعول مَعْنُود عنه، وعنَدَ الشَّخْصُ كما ذكر في معجم اللغة العربية المعاصرة كالتالي^(٣):
أ- خالف الحقَّ وردّه وهو عارفٌ به "هو عنيدي في خصومته حتى النهاية" ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥].

ب- عتا وطغى وتجاوز الحدَّ في المعارضة "لا يمكن التفاهم معه لأنه يعنِدُ."
ت- صفة مشبَّهة تدلُّ على الثبوت من عنَدَ/ عنَدَ عن.
ث- صعب المراس.

ثانياً: وجوه البلاغة في الآية:

١- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ﴾، أنت اسم الإشارة باعتبار إشارة إلي القبيلة، ويمكن أن يكون إشارة الى النظر لآثارهم، حال كونها حاضر في الذهن بسبب ما أجري عليه من الحديث السابق، حتى صار كأنه حاضر في الحس والمشاهدة^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب: صفة القيام والجنة والنار، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم ٧٦، (٨/ ٩٨).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٤٢٥).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٥٦١).

(٤) انظر: التفسير المظهر (٥/ ٩٥).

- ٢- قوله تعالى: ﴿عَادٌ﴾، "وهو ذكر بيان من اسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾" (١).
- ٣- قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ فيه إشارة للبعيد المحسوس والإسناد المجازي. أو هو من مجاز الحذف، بمعنى تلك قبور عاد (٢).
- ٤- قاله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، هذا السياق هو تعليل وتمهيد للمعطوف عليه في بداية الآية التالية، قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ [هود: ٦٠]، لأن جميع هذه الأعمال من أسباب حصول العذابين لهم (٣).
- ٥- قوله تعالى: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾، من المعلوم أنه لم يرسل إليهم إلا هوداً عليه السلام، وصح الجمع لأن نظيره في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] يعني بذلك النبي ﷺ وحده، وأن عصيان رسول واحد يتضمن عصيان كلهم ﴿لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقيل: عصوا هوداً عليه السلام والرسل من قبله، وكانوا بحيث لو أرسل إليهم كثير من الرسل لجدوا الكل (٤).
- ٦- قوله تعالى: ﴿جَحَدُوا﴾، دلت على الإنكار الشديد، منها إنكار الواقعات والمشاهدات. وهذا يدل على أن هوداً عليه السلام أتاهم بآيات فأنكروا دلالتها. وعدي جحدوا بالباء لتأكيد التعدية، أو لتضمينه معنى كفروا، كقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] (٥).
- ٧- قوله تعالى: ﴿رُسُلَهُ﴾، جاءت بصيغة الجمع وإنما هو هوداً عليه السلام، لأن المراد ذكر إجرامهم، فناسب أن يناط الجرم بعصيان جنس الرسل فكل رسول جاء بأمر ترك عبادة الأصنام فهم مكذبون به (٦).
- ٨- قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾، الاتباع تمثيل للعمل بما يُملَى على المُتَّبِعِ ومن كان خلقه التجبر، والعنود لا يأمر بخير ولا يدعو إلا إلى باطل، فدل اتباعهم على أنهم أطاعوا أمر الجبابرة المعاندين وهؤلاء هم دعاة الكفر والضلال (٧).
- ٩- قوله تعالى: ﴿كُلُّ﴾، من صيغ العموم، إن أريد جميعهم فالعموم حقيقي، وإن أريد جنس الجبابرة فهي مستعملة في الكثرة كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤].

(١) التحرير والتنوير (١٢ / ١٠٥).

(٢) انظر: الجدول في إعراب القرآن (١٢ / ٢٩٩).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٠٥).

(٤) انظر: تفسير النيسابوري = غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٤ / ٣٣)، تفسير القرطبي (٩ / ٥٤).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٠٥).

(٦) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٣٦٦).

(٧) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٠٦).

١٠- قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾، دل السياق على أنهم اتبعوا بالجبروت والقهر، لا بالإقناع والبيينة^(١).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآية للسياق: ما زلنا في قصة هود عليه السلام، وبعد أن أهلكوا ذلك بحصول ما موعود نبيهم من العذاب، ونجاة هود عليه السلام ومن آمن معه، تعلل هذه الآية السبب الذي اقترفته أهل تلك الديار حتى حلّ بهم هذا المسخ؛ فكان الجواب ذلك بسبب جحودهم بالآيات الواضحات التي بينها وأوضحها هود عليه السلام، وعصيائهم له، واتباعهم كل رأس من رؤوس الكفرة والمشركين، الذين يتولّون الكبر والمعاندة والجبروت، على رسل الله-عليهم السلام^(٢).

٢- مناسبة الفاصلة: ﴿وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾، أشار الحق تعالى حال قوم هود عليه السلام بأنهم أنكروا ووجدوا بجميع الآيات الذي بينها لهم هود عليه السلام، كذلك لم يسمعوا بنصائح رسولهم وإن كان عصيانه بمثابة عصيان جميع الرسل، لأن الرسل جميعهم أتوا بمنهج واحد فمن كذب بأحدكم كمن كذب بجميعهم، ناسب أن يعزوا كل ما سبق مما فعلوا سببه أنهم اتبعوا رؤساءهم الموصوفين بالغلظة والعناد على الضلال والباطل.

رابعاً: التفسير الإجمالي:

هذه عاد قوم هود عليه السلام الذين أحلنا بهم نقمتنا وعذابنا، جحدوا بآيات ربهم فلم يؤمنوا وعصوا رسله الذين أرسلهم إليهم للدعاء إلى توحيده واتباع أمره، ومن المعلوم أنه لم يكن إلا رسولاً واحداً وهو: هوداً عليه السلام لكن الله تعالى جمع لأن من كذب برسول كأنما كذب بكل الرسل، واتبعوا أمر دعاة الضلالة من أهل الكبر والعناد للحق فقادوهم إلى سخط الله تعالى وأليم عقابه^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- أحوال قبيلة عاد خطيرة ذات أوصاف ثلاثة: هي الجحود بآيات ربهم، وعصيان رسولهم، واتباعهم أو تقليد لهم أوامر رؤسائهم دون تفكير ولا روية^(٤).

٢- الإسلام هو طاعة أمر الرسل- لأنه أمر الله- ومعصية أمر الجبارين. وهذا هو الفرق بين الجاهلية والإسلام وبين الكفر والإيمان في كل رسالة وعلى يد كل رسول^(٥).

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٥٢١).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٩٠٠)، التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١١٥٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥ / ٣٦٦)، أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٥٥).

(٤) انظر: التفسير المنير (١٢ / ٩٥).

(٥) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٩٠١).

- ٣- كل من كَذَب برسول أو نبي فكأنما كذب بجميعهم، فاستحق العذاب بسبب ذلك.
- ٤- الله ﷻ عدل لا يُظلم عنده أحداً، فالعدل من أسمائه الحسنی، فإذا ما استحق أحد العذاب؛ بين السبب في إتيان ذلك العذاب.
- ٥- إن من كانت أحوالهم وأوصافهم مخافة لشرع الله ﷻ، لم يخلفوا أثراً طيباً ينتفع به الناس بعدهم، وإنما الذي يتركون ما يشهد عليهم بالبغي والضلال، والفساد في الأرض، وهذا حال قوم هود عليه السلام كل من يمر بديارهم، أو يستمع إلى أخبارهم، تجعله يذكر فعلهم، ومآلهم ينفر منها^(١).
- ٦- أول ما تصّر دعوة التوحيد على التحرر من الدينونة لغير الله والتمرد على سلطان الأرباب الطغاة، وتعد إلغاء الشخصية، واتباع الجبارين المتكبرين جريمة شرك وكفر يستحق عليها الخانعون الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة^(٢).
- ٧- لا يعذر من يدين بربوبية العبيد وحاكمتهم أن يكونوا على أمرهم مغلوبين. فهم كثرة والمتجبرون قلة. ولو أرادوا التحرر لضحوا في سبيله بعض ما يضحونه مرغمين للأرباب المتسلطين عليهم^(٣).
- ٨- خلق الله ﷻ الناس ليكونوا أحراراً لا يدينون بالعبودية لأحد كائناً من خلقه من كان، ولا ينزلون عن حريتهم هذه لطاغية ولا رئيس ولا زعيم، وهذا مناط تكريمهم^(٤).

خامساً: رأي العلماء لمن الخطاب في قصة عاد:

فقد كانوا على ثلاثة آراء:

- ١- ذكر كثير من المفسرين بأن المخاطب في هذه القصة مقصود به قوم محمد ﷺ واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ فهو إشارة إلى قبورهم وآثارهم، كأنه تعالى قال: سيروا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا مما جرى لهم، ثم إنه تعالى جمع أوصافهم، ثم ذكر عاقبة أحوالهم في الدنيا والآخرة^(٥).

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٣٦٦).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١١٥٩).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٩٠١).

(٤) انظر: في ظلال القرآن (٤ / ١٩٠١).

(٥) انظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٤٠٥)، تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو

التفسير الكبير (١٨ / ٣٦٦)، تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣ / ١٣٩).

٢- كما ذكر بعضاً آخر من المفسرين بأن الله ﷻ أشار إلى العبرة من عاد، كانت أقوى العرب في أزمانها، وكانت فيهم آفات ثلاث، أنهم جحدوا بآيات ربهم أي أنكروا دلالتها، وعصوا الرسل، واتبعوا الجبابرة في غيهم وطغيانهم^(١).

٣- كذلك مر بعض المفسرين على الآية بشرحها وإظهار المعنى العام لها ولم يعقب بشيء ولم يذكر أي مما سبق^(٢).

يرى الباحث أن أيّاً من المفسرين الكرام جميعهم قد أصابوا، فالذي أشار إلى الآثار بالحال والمكان؛ أصاب؛ لأن ذلك مطلوب لمن أمكنه ذلك، والذي أشار إلى أن أحداث تلك القصة بأنها ذكرت للعبرة والعظة؛ فقد أصاب لأن ذلك مطلوب من الجميع، والذي شرح الآية ولم يسر بأحد الاتجاهين؛ فقد أصاب أيضاً فقد ترك الخوض في مثل هذه الآيات.

وبالنظر إلى القصة القرآنية بشكل عام فإن الله ﷻ لم يوردها في القرآن جزافاً ولا للتسلية، فالقرآن الكريم مليء بالقصص فيها الكثير من العبر والعظات، والتي لا غنى عنها، فمثل هذه القصص شاهد على جزاء أفعال أصحابها، فإن كانت قد سبقت لأهل مكة فهي كذلك لكل من عمل بعملهم أو كان على شاكلتهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

المطلب الثالث: إهلاك قوم عاد باللعة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴾ [هود: ٦٠].

أولاً: وجوه البلاغة:

١- قال تعالى: ﴿ وَأَتَّبِعُوا ﴾ معلوم أنه كانت مجموعة منهم سادة تأمر وتتهى، وأخرى مأمورة بتنفيذ ما يأمرهم سادتهم وكبرائهم، فجميعهم ألحقوا باللعة على لسان الأنبياء-عليهم السلام^(٣).

(١) انظر: زهرة التفسير (٧/ ٣٧٢١).

(٢) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥/ ٣٦٧)، تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٣٣١)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٧٥).

(٣) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٦/ ٢٠٤).

٢- قال تعالى: ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ معنى اللعنة البعد والطرده فكررها بعبارتين مختلفتين دلالة على نهاية التأكيد، كما أن النداء المستتر بالدعاء عليهم يدل على التهويل وتفطيع حالهم، ويبعث على الاعتبار بهم والحذر من أفعالهم^(١).

٣- قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ من نوع العطف على الموضع فهو محذوف في الكلام لدلالة الأول عليه، وللايدان بأن كلاً من المعنيين نوع برأسه لم يجتمعا في واحد، بأن يقال: وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لعنة.

٤- قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ذكر الآخرة هنا للتهويل الذي يقتضيه المقام^(٢).

٥- وكلمة ﴿ أَلَا ﴾ هي أداة تنبيه من قبل تنبيه السامع إلى أهمية ما يليه المتكلم حتى لا يفاجأ السامع بالكلام وهو غافل، فتأتي كجرس ينبه إلى ما بعدها من كلام وتكرير حرف التنبيه وإعادة عاد للمبالغة في تفطيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم^(٣).

٦- في قوله تعالى: ﴿ أَلَا بُعْدًا ﴾ كرر ﴿ أَلَا ﴾ وأعاد عاد للمبالغة في تفطيع حالهم، لأن كفرهم هو الكفر بالقمة العقدية؛ لذلك تواصل لعنهم في البرزخ، ثم تأتي لهم لعنة الآخرة^(٤).

٧- قوله سبحانه: ﴿ لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴾ عطف قوم هود هو عطف بيان على «عاد» وفائدته تعيين عاد هذه من عاد إرم، لأن عاداً اثنان، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾ [النجم: ٥٠]، فتحقق أن الدعاء على عاد هذه، ولم تلتبس بالأخرى^(٥).

ثانياً: المناسبات:

١- مناسبة الآية للسياق: لما بينت الآيات السابقة سبب العقاب الذي حل بعاد، ذلك أنهم كفروا بآيات ربهم، وعصوا رسله، وأتبعوا أمر رؤسائهم الجبابرة الطغاة المعاندين. ناسب أن يقع لهم جزاء إجرامهم فطردوا من رحمة الله ﷻ ولحقت بهم لعنة الله في الدنيا، ولعنة عباده المؤمنين كلما ذكروا، وينادي عليهم يوم القيامة على رؤوس الخلائق: ألا إن عاداً كفروا بربهم وبنعمه، وجحدوا بآياته، وكذبوا رسله، ألا بعداً وطرداً من رحمة الله لعاد قوم هود ﷻ، فكان جزاؤهم بقدر عظم ذنوبهم، وعنادهم، واتباعهم أمر أكابره^(٦).

(١) انظر: بيان المعاني (٣/ ١٣١).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/ ١١١).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١١/ ٦٥٢٤).

(٤) انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٧٢١).

(٥) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٢٨٥)، البحر المحيط في التفسير (٦/ ١٧١).

(٦) انظر: التفسير المنير (١٢/ ٩٣).

٢- فاصلة الآية: ﴿بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾، بدأت الآية الكريمة بوصف العقاب الذي استحقه قوم هود عليهم السلام سواءً في الدنيا بما أصابهم، والآخرة بالعذاب المقيم، ولما كان هناك قومان لعاد أصبح لزاماً تمييز المطلوب في هذه القصة، فلزم بذلك إظهار عاد التي هي من قوم هود عليهم السلام، كذلك ما في ذلك من تناسب فواصل الآي (١).

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

يشير المولى عليه السلام إلى قوم هود عليهم السلام، أنهم قد والاهم غضب الله تعالى، وأتبعهم بلغته وسخطه وطردهم من رحمته في هذه الدنيا، وكان مظهر اللعنة ما نزل بهم من عقاب قطع دابرتهم، وتسجيل إثمهم وطغيانهم وما أحسوا به في ذات أنفسهم، وخروجهم عن سنن الفطرة والاتجاه إلى الأذى والإيذاء، ولعنتهم في الآخرة العذاب في الجحيم، وأن الله لا ينظر إليهم ولا يكلمهم، ألا طرداً وهلاكاً لهم مع هذا الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، فهم يستحقون ذلك لأن سبل الهداية كانت عندهم، ذلك باتباعهم هود عليهم السلام وهو من قومهم وبين ظهورهم لكنهم عصوه (٢).

رابعاً: المقاصد والأهداف:

- ١- يجب على كل إنسان الاعتبار بحاله قوم هود عليهم السلام، فهم لم يكفروا بنعمة ربهم فحسب، بل كفروا بربهم، وهذا كفر ما بعده كفر (٣).
- ٢- الله تعالى لا يتركهم قبل أن يسجل عليهم حالهم، وسبب ما أصابهم في إعلان عام، وتبنيه عال لا يخفى على أحد.
- ٣- ظاهر ما تدل عليه الآية الكريمة أن اللعنة مختصة بالتابعين للرؤساء، لأنهم هم الذين نفذوا كل ما طلب منهم تنفيذه، وقد كان بوسعهم تركه (٤).
- ٤- إذا أشكل على السامع، بين متماثلين يجب إيضاح وتبيين المبهم، حتى لا يبقى أي لبس، وهنا أتت هود مضافة إلى عاد، لأن عاد اثنان عاد إرم وعاد هذه.
- ٥- ذكر الشهيد سيد قطب في الظلال بما يجب على الجماعة المسلمة فقال: "ونقف وقفات قصيرة أمام ما تلهمه قصة هود عليهم السلام مع قومه في سياق هذه السورة، قبل ان ننقل منها إلى قصة صالح عليه السلام. ذلك أن استعراض خط سير الدعوة الإسلامية على هذا النحو إنما يجيء في القرآن الكريم لرسم معالم الطريق في خط الحركة بهذه العقيدة على مدار القرون.. ليس فقط في ماضيها التاريخي، ولكن في مستقبلها إلى آخر الزمان. وليس فقط للجماعة المسلمة الأولى التي تلقت هذا

(١) انظر: تفسير الألويسي = روح المعاني (٦ / ٢٨٥).

(٢) انظر: زهرة التفاسير (٧ / ٣٧٢١).

(٣) انظر: التفسير المظهري (٥ / ٩٦).

(٤) انظر: البحر المحيط في التفسير (٦ / ١٧١).

القرآن أول مرة. وتحركت به في وجه الجاهلية يومذاك ولكن كذلك لكل جماعة مسلمة تواجه به الجاهلية إلى آخر الزمان.. وهذا ما يجعل هذا القرآن كتاب الدعوة الإسلامية الخالد ودليلها في الحركة في كل حين"^(١).

(١) في ظلال القرآن (٤ / ١٩٠١).

المبحث الثالث

قصة صالح عليه السلام وإهلاك قومه

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٦١-٦٨)

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: دعوة صالح عليه السلام قومه لعبادة الله وحده.
- المطلب الثاني: المجادلة بين صالح عليه السلام وقومه.
- المطلب الثالث: معجزة صالح عليه السلام.
- المطلب الرابع: نجات صالح عليه السلام ومن آمن معه وهلاك الظالمين.

المبحث الثالث

قصة صالح عليه السلام وإهلاك قومه

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٦١-٦٨)

أرسل الله ﷺ صالحًا عليه السلام إلى قومه ثمود وكانوا يسكنون الحجر بين الحجاز والشام، وكانوا مشركين يعبدون الأصنام فأخذ يدعوهم إلى عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له ونبذ ما يعبدون من دونه، وقد ذكّروهم بأنعم الله ﷻ عليهم حيث استخلفهم في الأرض من بعد قوم عاد وبما أنعم الله ﷻ عليهم من البساتين والبيوت التي نحتوها في الصخر وغيرها من النعم التي توجب عليهم شكر المنعم وتوحيده، مذكّرًا إياهم بمصير الغابرين قبلهم، وقد تشاءموا به وبدعوته وبمن معه من المؤمنين؛ مفسرين كل ما يحل بهم من مكروه ومصائب من قبل صالح عليه السلام ودعوته وأصحابه: وقد أيد الله ﷻ صالحًا بمعجزة كانت ناقة كبيرة، كانوا يحلبونها جميعًا ولها يوم تشرب فيه من العين ولهم يوم، لكنهم قتلوا الناقة وحاولوا قتل صالح عليه السلام، فأرسل الله ﷻ عليهم صيحة من السماء أزهدت أرواحهم جميعًا ونجى الله ﷻ القلة المؤمنة بتوحيدها الله ﷻ.

المطلب الأول: دعوة صالح عليه السلام قومه لعبادة الله وحده.

قال تعالى: ﴿ وَاللّٰى تَمُوْدَ اٰخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ اَنْشَاَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيْهَا فَاسْتَغْفِرُوْهُ ثُمَّ تُوْبُوْا اِلَيْهِ اِنَّ رَبِّيْ قَرِيْبٌ مُّجِيْبٌ ﴾ [هود: ٦١].

أولاً: معاني المفردات:

﴿ اسْتَعْمَرَ ﴾: استعمر يستعمر، استعمارًا، فهو مُستعمر، والمفعول مُستعمر.

أ- استعمر الأرض: عمرها، أمدها بما تحتاج من الأيدي العاملة لتصلح وتعمر "استعمر الصحراء". فالسين والتاء للمبالغة.

ب- وقيل: استعمركم من العمر أي: استبقاكم فيها إلى أجل طويل^(١).

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير (٦/ ١٧٥).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿وَالْيَ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ عطفت هذه الجملة على جملة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ [هود: ٢٥]، فعطف ﴿وَالْيَ تَمُودَ﴾ على ﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾ [هود: ٢٥]، وعطف ﴿أَخَاهُمْ﴾ على ﴿نُوحًا﴾^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾ حذف حرف العطف من قوله: ﴿قَالَ﴾ ولم يقل: "فقال" كما في قصة نوح عليه السلام لأنه على تقدير سؤال يقول: ماذا قال لهم هود عليه السلام؟ فقيل: قال يا قوم اعبدوا الله واتقوه^(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿أَخَاهُمْ﴾ ليبين العلاقة التي بين صالح عليه السلام وقومه، فهو قد نشأ بينهم، وعرفوه، فإذا ما جاءهم بدعوة وقد لمسوا صدقه فلا بد أن يؤمنوا بالمنهج الذي جاء به^(٣).

٤- ناداهم صالح عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ﴾ وهي من القيام، يعني: يا من تقومون للأمر وهم الرجال.

٥- قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أول شيء طلبه صالح عليه السلام من قومه ثمود هو عبادة الله ﷻ وحده، وهذا مطلوب من الجميع؛ لأن العبادة قمة الخشوع والتذلل لله ﷻ^(٤).

٦- قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ هذه الجملة في موضع التعليل للأمر بعبادة الله ﷻ ونفي الإهية غيره، فهي قصر قلب أو قصر أفراد، وجعل ابتداء خلقكم من الأرض، لأنه خلق آدم من الأرض، فخرج الخطاب لهم، لأن ذلك كان لأصلهم^(٥).

٧- قوله تعالى: ﴿أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ وقد ذكر أن ذلك يدل على وجوب عمارة الأرض؛ لأن الاستعمار طلب العمارة والطلب المطلق منه تعالى للوجوب^(٦).

٨- قوله تعالى: ﴿أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾، جعل الخبرين عن الضمير ﴿هُوَ﴾ فعلين يفيد الاستمرار والدوام والقص^(٧).

٩- قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾، أي جعلكم تعمرون الأرض وتسكنون بها، وهذا يتأتى بأمرين: أ- أن تبقى الصالح على صلاحه ولا تفسده.

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٩٤).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣ / ٢١٢).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٥٢٧).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٨٣).

(٥) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥ / ٣٦٨)، التحرير والتنوير (١٢ / ١٠٨).

(٦) انظر: الإكليل في استنباط التنزيل (ص: ١٥١).

(٧) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٤٠٧).

ب- أن تصلح ما يفسد وتزيد إصلاحه.

ولا شك أن في كلا الأمرين خير ضمان لحماية البيئة وسلامتها وقد جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع؛ لأن ذلك يعد تعميماً للأرض حتى سمي الحرث عمارة؛ لأن المقصود منه إعمار الأرض^(١).

١٠- قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ﴾، من تفنن الأسلوب أن جعلت هذه النعم علة لأمرهم بعبادة الله ﷻ وحده بطريق جملة التعليل وجعلت علة أيضاً للأمر بالاستغفار والتوبة بطريق التفرع بالاستغفار ثم بالتوبة^(٢).

١١- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾، جملة استئناف بياني كأنهم استعظموا أن يكون جرمهم مما يقبل الاستغفار عنه، فأجيبوا بأن الله ﷻ قريب مجيب^(٣).

١٢- قوله تعالى: ﴿ قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾، أصل أجاب الإقبال على المنادي بالقدم، أو قول يدل على الاستعداد للحضور نحو (لبيك) ، ثم أطلق مجازاً مشهوراً على تحقيق ما يطلبه الطالب، والذي بتحقيقه يكون قد أجاب نداءه، حيث المراد الاستجابة لدعوة نوح ﷺ ليكون الأول علة باعثة، والثاني علة غائية^(٤).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآية للسياق: بعد أن قص الله ﷻ علينا قصة هود ﷺ لنعلم أن هذا النبي كانت دعوته لتوحيد الله ﷻ وعدم عبادة غيره، لكن قومه خالفوه ولم يسمعوا له قولاً، لا بل اتهموه بما لا يليق بنبي، فوقع بهم من العقاب ما ناسب سوء عملهم، وما زلنا في نفس المناسبة السابقة، وهي دعوة نبي آخر وهو صالح ﷺ بنفس الدعوة التي دعا بها هود ونوح -عليهما السلام- من قبل، فقد ذكّر هذا النبي قومه، بما حباهم الله ﷻ من نعم ، فدلهم على الاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله ﷻ لأنه قريب من عباده مجيب توبة التائبين.

٢- فاصلة الآية: ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾، أرسل الله ﷻ صالحاً ﷺ إلى قومه يأمرهم بعبادة الله وحده، ويذكرهم بنشأتهم من الأرض، وجعلهم تعمرونها، بالزراعة والفلاحة والمسكن وما شابهه، فأرشدهم للاستغفار والتوبة فكان من حسن المناسبة أن يطمئنهم، ذلك بأن لا تقنطوا من رحمة الله، فهو غفور رحيم بعباده، وفي هذا إشارة واضحة للعلاقة بين فاصلة الآية وموضوعها، فهو قريب

(١) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ٧٢٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٠٨).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٠٨).

(٤) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٢٨٦)، التحرير والتنوير (٢/ ١٨٠).

من عباده يسمع دعوة من دعاه ، ويجيبه إذا كان مؤمناً، مخلصاً له في دعوته، فالجملة للتأكيد لهم على كبر ذنوبهم فجعله بمنزلة الشك بقبول استغفاره^(١).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

يقول تعالى إنه بعث إلى قوم ثمود رسولاً من بين ظهرائهم، يعرفونه حق المعرفة وهو صالح عليه السلام، فأمرهم بعبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، وأخبرهم بأنه المستحق للعبادة وليست الأصنام، ولا الآلهة التي يعبدونها، فالله ﷻ الذي خلقكم من الأرض، وجعلكم عمّاراً لها، فاسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم، وارجعوا إليه بالتوبة النصوح، إنه قريب ممن أناب إليه، يجيب من دعاه^(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- التقليد للآباء والأجداد بدون التأكد من صحة المنهج المتبع يؤدي إلى عدم اتباع الحق وهذا كان شأن قوم ثمود فقد جحدوا وكفروا بآيات الله ولم يطيعوا رسولهم^(٣).

٢- إذا كان الداعية من نفس القوم، وعُرف أصله ونسبه، وشاهدوا سلوكه وعابنوا طباعه وأخلاقه، بالتالي يكون أكثر تصديقاً لدعوته، إذا كتب الله ﷻ لهم الهداية. ونرى أن الله ﷻ قد أرسل إلى قوم صالح عليه السلام من يعرفونه حق المعرفة نسبا وقبيلة، وأقام لهم الأدلة الكافية الشافية على وجوب عبادة الله وتوحيده^(٤).

٣- من واجب الداعية أن يدل الناس على الله ﷻ بالطرق المثلى كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

٤- التذكير بنعم الله ﷻ ترقق القلوب إلى علام الغيوب، وذلك بالتوبة الصادقة والإقلاع عن الذنوب والمعاصي والاستغفار لما سبق من أخطاء.

٥- سرُّ الاستغفار على التوبة في الآية لبيان أن المرء لا يقلع عن ذنبه حتى يعترف به، ويسر أن لا يعود إليه^(٥).

٦- إن الاستغفار من الذنوب والتوبة من المعاصي سبب سريع لإجابة الدعاء، لأن الله قريب من عباده، رحيم بهم، مجيب دعوة المحتاجين والمضطرين، قريب الإجابة لمن دعاه^(٦).

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٠٩).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣ / ٢٣٩).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١٠٢).

(٤) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١٠٢).

(٥) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٥٨).

(٦) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١٠٢).

٧- وحدة الوسيلة والغاية عند كافة الرسل فالوسيلة عبادة الله ﷻ وحده، والغاية رضا الله والجنة وهذا غاية ما يطلبه كل من دعا بهذه الدعوة^(١).

٨- إن من صفات الله ﷻ، أنه قريب، قال تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [لق: ١٦] شاهد على أفعال عباده، فمن رأى منه صدق نية لتوبة أعانه وأخذ بيده، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦] ومن دعاه سمع دعاءه فأجاب، وهو أعلم بشئون عباده من أنفسهم.

٩- الله ﷻ يجب دعاء من دعاه، إذا أخلص التوبة لله تعالى قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

١١- أسلوب الدعوة لله هو البعد عن أسلوب الوعيد والتهديد ذلك من أجل ترقيق القلوب.

١٢- القرآن الكريم يخاطب العقل بأرق درجة من المناداة.

المطلب الثاني: المجادلة بين صالح ﷺ وقومه.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ [هود: ٦٢، ٦٣].

أولاً: معاني المفردات:

١- ﴿ مُرِيبٍ ﴾ : (ريب) الرأ والياء والباء أصيل يدل على شك، أو شك وخوف، فالريب: الشك. يقال رابني كذا، وأرابني، فالريب: أن تتوهم بالشيء أمراً ما، فينكشف عما تتوهمه، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ .. ﴾ [الحج/ ٥]، سمّاه ريباً لا أنه مشكك في كونه، بل من حيث تشكك في وقت حصوله، فالإنسان أبداً في ريب المنون من جهة وقته، لا من جهة كونه^(٢).

٢- تَخْسِيرٍ: "خسر يخسر، تخسيراً، فهو مخسر، والمفعول مخسر، خسره في تجارته: سبب له خسارة، خسر الميزان: نقصه، خسر فلاناً: أبعده عن الخير، أضله، أهلكه، أفسد أخلاقه"^(٣).

(١) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٥٨).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٦٨)، مقاييس اللغة (٢/ ٤٦٣).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٦٤٢).

ثانياً: وجوه البلاغة:

- ١- قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ ﴾، افتتاح الكلام بالنداء لقصد التوبيخ أو الملام والتنبية، وقرينة التوبيخ قوله: ﴿ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ﴾، وهذا تعريض بخيبة رجائهم فيه فهو تعنيف، ووجود قد هنا لزيادة تأكيد الخبر، وأمثاله كثير في القرآن الكريم^(١).
- ٢- ذكر الإمام السيوطي عدة آراء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَفِي شَكٍّ ﴾، وهي كالتالي^(٢):
 - أ- أن بعضهم قالوا: إنا كفرنا، وبعضهم قالوا: إنا لفي شك.
 - ب- يمكن أن يُراد بالأول قسم التوحيد، وبالتالي قسم الشرائع والأحكام، أو باحتمال العكس.
 - ج- كما يمكن أن يكونوا قد أرادوا أنهم كفرنا بما أرسلتم به من حيث الجملة، وأنهم لفي شك في الرسل بدليل قوله: ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾، فهم كفروا بالله وكفروا بما جاءت به الرسل من عنده.
- ٣- قوله تعالى: ﴿ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ﴾، أي كنت مرجوا لخصال السيادة وحماية العشيرة ونصرة آلهتهم. وكان على عكس ذلك ففهم منه أنهم يعدون ما دعاهم إليه شراً^(٣).
- ٤- قوله تعالى: ﴿ أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾، هذه الجملة بيان لجملة: ﴿ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا ﴾ باعتبار دلالتها على التعنيف، واشتمالها على اسم الإشارة الذي تبينه أيضاً جملة: ﴿ أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾، والاستفهام هو استفهام إنكار وتوبيخ^(٤).
- ٥- قوله تعالى: ﴿ أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾، عبروا عن أصنامهم بالموصول: ﴿ مَا ﴾، لأن في الصلة دلالة على استحقاق تلك الأصنام أن يعبدوها في زعمهم اقتداءً بأبائهم لأنهم أسوة لهم، وذلك مما يزيد الإنكار اتجاهاً في اعتقادهم^(٥).
- ٦- قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَفِي شَكٍّ ﴾، وهي جملة معطوفة على جملة ﴿ يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا ﴾ فبعد أن يأسوا من حال صالح عليه السلام، أتبعوا ذلك بأنهم يشكون في صدق أنه مرسل إليهم، وزادوا ذلك تأكيداً بحرف التأكيد. حيث أثبتت نون ﴿ إِنَّ ﴾ مع نون ضمير الجمع ﴿ نَا ﴾، لأن ذلك زيادة إظهار لحرف التوكيد والإظهار ضرب من التحقيق^(٦).
- ٧- قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ ﴾ ابتداء الجواب بالنداء لقصد التنبية إلى ما سيقوله اهتماماً بشأنه. وخاطبهم بوصف القومية له كمثل الغرض الذي خاطب به نوح عليه السلام قومه فيما سبق.

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٠٩).

(٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣ / ٣١٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١١٠).

(٤) انظر: زهرة التفاسير (٧ / ٣٧٢٤).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١١٠).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (٩ / ٥٩).

٨- قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾ استفهام معناه النفي، أي لا ينصرنني منه إن عصيته أحد^(١).

٩- قوله تعالى: ﴿ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾، التخصير إما أن يكون واقعا عليهم من صالح عليه السلام، وإما أن يكون واقعا منهم على صالح^(٢).

١٠- قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ ﴾ من المعلوم أن الرؤيا على قسمين؛ إما رؤيا بصرية، وإما رؤيا قلبية، وهنا هي من الرؤيا القلبية، بمعنى أتدبرتم أوعيتم^(٣).

١١- قوله تعالى: ﴿ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾ في الكلام محذوف دل عليه السياق، تقديره أضرني شككم أو أيمكنني طاعتكم أونحو هذا^(٤).

١٢- قوله تعالى: ﴿ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ هذه الخسارة تكون بإحدى رأيين:

أ- على تقدير استتباعكم إياي تخسرون أعمالي وتبطلونها.

ب- أن يكون التقدير فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملوني عليه غير أن أخسرکم أي أنسبكم إلى الخسران، وأقول لكم إنكم خاسرون^(٥).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآيتين لما سبق: وما زلنا في أحداث هذه القصة، حيث بدأت بدعوة صالح عليه السلام إلى قومه بعبادة الله تعالى وتذكيرهم بنعمه، ودلهم على التوبة من المعاصي والذنوب والاستغفار، وأبلغهم بأن هذا الرب- الذي هو ربي- قريب مجيب لكل من دعاه، فجاء السياق برد قومه عليه وكأنه حوار، فأخبروه أنه كان عندهم من خيرة قومهم وكان أملمهم ألا ينهاهم عن عبادة ما عبد آباؤهم، وإذا فأصبحوا يشكوا فيما جئت به، فأجابهم بلغة الواثق بمنهجه بسؤال مفهوم من إجابته الإقرار له، وهو إذا كنت على هداية وارشاد من ربي، وأعطاني ربي الرسالة وكلفني بشرف تبليغها، وعصيت ربي، ولم أبلغها، فمن يعينني إن عذبنني على ذلك، فأنتم لا تزيدونني في ذلك إلا خساراً وضلالاً.

٢- فاصلة الآية الأولى: ﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾، رد قوم صالح عليه السلام عليه بالإنكار له، وقد كانوا يأملون منه أن يتبع آلهتهم ويناصرهم، فهو المشهود عندهم بالصفات الحسنة

(١) انظر: تفسير القرطبي (٩ / ٥٩).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٥٣٤).

(٣) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣ / ١٨٤).

(٤) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣ / ١٨٤).

(٥) انظر: تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣ / ١٤٠)، تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير

الكبير (١٨ / ٣٦٨).

التي رأوها منه على مدار حياته التي عاشها بينهم، فجاءت الفاصلة على نقيض ما قالوا، فقد كان مرجواً، صادقاً أميناً زاهداً ورعاً ٠٠ فقول كل ذلك بالريب والشك منهم له.

٣- فاصلة الآية الثانية: ﴿ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ لما جاء دوره في الرد على إنكارهم لدعوته، فحاول أن يبين لهم أنه على يقين من عمله وهو مرسل من قبل الله ﷻ، فجاءت فاصلة الآية بالخسران المبين لمن كان عنده يقين على بينة عمله، وخالف عمله يقينه.

رابعاً: التفسير الإجمالي:

رد القوم على دعوة صالح ﷺ لهم، بقولهم له: كنا نأمل فيك الخير ونرجوا أن تكون سيداً فينا حتى فاجأتنا بما تدعوننا إليه من ترك آلهتنا لإلهك، ثم أنكروا عليه دعوته فقالوا وأخبروه أنهم غير مطمئنين إلى صحة ما يدعوهم إليه من توحيد الله ﷻ، فقالوا إننا في موقع في اضطراب نفس وعدم سكونها إلى ما أخبرت به. وقد دعا صالح ﷺ قومه بأسلوب رفيع، رغبة منه في إقامة الحجة عليهم لعلهم يؤمنون ويوحدون الله ﷻ، إذ قال واثقاً بما أخبره الله ﷻ: إني على علم يقيني بالإيمان بربي ووجوب عبادته وتوحيده، وآتاني منه رحمة، وهي النبوة والرسالة، فمن ينصروني من الله إن عصيته، اللهم إنه لا أحد أبداً، إذاً فإنكم ما تزيدونني إن أنا أطعتم في ترك عبادة ربي والرضا بعبادة آلهتكم إلا خساراً وضللاً في هذه الحياة والآخرة^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- المرء الصالح يعرف في قومه بصلاحه، لذلك فإن قومه يرجون منه دائماً كل خير.
- ٢- إذا دعا العبد الصالح إلى الحق ترك الباطل، قد يرمو بتهم ليس فيه بشيء، ذكر أن رسول الله ﷺ؛ قد رمي، قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاتٌ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [الأنبياء: ٥]^(٢).
- ٣- هناك مفارقة بين الجاحدين المنافقين وأمثالهم وبين الأنبياء والصالحين وأمثالهم، لأن الجاحدين والمنافقين متمسكون بتقليد الآباء والأسلاف، والأنبياء والصالحون ثابتون على مبدئهم ثبوت الجبال الراسيات، لأنهم على يقين من صحة دعوته^(٣).
- ٤- يحرم الاستجابة لأهل الباطل بأي نوع من الاستجابة، إذ الاستجابة لا تزيد العبد إلا خساراً^(٤).
- ٥- إصطفاء الأنبياء ليس بمحض الصدفة أو بإرادتهم، لكنه برحمة من الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢].

(١) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٥٨).

(٢) انظر: يسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٥٨).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢/ ١٠٢).

(٤) انظر: التفسير المنير (١٢/ ١٠٢).

٦- من يعص الله ﷻ لا يستطيع أحد في الكون كله أن ينصره، لأن الكون كله وما به من خلقه وتحت أمره ومنصاع إلى أوامره.

٧- المؤمن يعتز بإقراره بعبوديته إلى ربه، فيبقى يرددها في كل موضع ومكان مفتخراً بذلك الرب قال تعالى: ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٣٨].

٨- المؤمن يحاور بروح الود والمحبة لهداية الناس جميعاً، مدعماً ما يقول بالحجة والبرهان، والقرآن الكريم مليء بالأمثلة على ذلك.

المطلب الثالث: معجزة صالح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود: ٦٤].

أولاً: وجوه البلاغة:

- ١- قوله تعالى: ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ هذا جواب عن قولهم ﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ فأتاهم بمعجزة تزيل الشك من عقول^(١).
- ٢- قوله تعالى: ﴿ نَاقَةُ اللَّهِ ﴾، إضافة الناقة إلى اسم الجلالة؛ للتشريف والتبنيبه على أنها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق^(٢).
- ٣- قوله تعالى: ﴿ تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ﴾ وإضافة الأرض إلى الله ﷻ، لها عظمة بعظمة المضاف إليها، وذلك لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الأمر بتركها وشأنها^(٣).
- ٤- قوله تعالى: ﴿ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ في ذلك تحذير شديد لهم من الإقدام على قتلها^(٤).
- ٥- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ﴾، بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادئ الإصابة، ونكر السوء ليشمل أقل شيء منه أي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها فضلاً عن عقرها وقتلها^(٥).
- ٦- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ ﴾، (الفاء) عاطفة لربط المسبب ﴿ يَأْخُذْكُمْ ﴾ بالسبب ﴿ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ﴾ بمعنى: يأخذكم عذاب قريب إذا أدبتموها ولو بأقل أذى، وأصل الأخذ تناول

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١١٣).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٢٢٢).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٥٣٧).

(٤) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٣٦٩).

(٥) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٢٢٣).

شيء باليد، ويستعمل مجازاً في ملك الشيء، بعلاقة اللزوم، ويستعمل أيضاً في القهر كقوله: **﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾** [آل عمران: ١١] ^(١).

٧- قوله تعالى: **﴿فِيَأْخُذْكُمْ﴾**، المصدر المؤول (أن يأخذكم..) معطوف على مصدر متصيّد من الكلام المتقدّم أي: لا يكن منكم مسّ لها فيأخذكم بعذاب ^(٢).

٨- قوله تعالى: **﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾**، هذا بوحى من الله ﷻ إليه أن قومك إذا عقروا الناقة جاءهم عذاب قريب المدة من وقت المعصية، وهي الأيام الثلاثة التي فهمها صالح ﷺ ^(٣).

ثانياً: المناسبات:

١- مناسبة الآية إلى السياق: ما زال الحوار بين صالح ﷺ وقومه، وهو يحاول إقناعهم بعبادة الله ﷻ وحده وترك ما كان يعبد الآباء والأجداد، فيخبرهم أنه مرسل من الله ﷻ وهو على هداية من ربه، لذلك لا يجد له نصيراً من دون الله إن عصاه. وقد علم من السياق أنهم طلبوا منه آية تدل على صدق رسالته، فلما ظهرت هذه الآية التي طلبوها، بين لهم ما هو واجب عليهم فعله كما حذرهم من مساسها بأي سوء، لأن عقبة ذلك العذاب قريب.

٢- فاصلة الآية: **﴿فِيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾** بدأت الآية بأن أظهر الله ﷻ لقوم صالح ﷺ الآية والتي طلبوها منه وهي الناقة كأنهم أخذوا كل ما طلبوا فأصبح على ذلك استحقاق ناسب فاصلة الآية، وهو العذاب القريب يقابل أنكم أخذتم ما طلبتم، فهو جواب الشرط الواقع في أول الآية، كأن صالح ﷺ يقول لهم إن لم تذروها يأخذكم عذاب قريب.

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

يقول تعالى ذكره مخبراً عما قال صالح ﷺ لقومه رداً عليهم عندما قالوا له: **﴿وَأِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾**، وسأله الآية الدالة على ما دعاهم إليه فأجابهم: بأن الله ﷻ يخرج لكم هذه الناقة، من جبل - على ما طلبتم - على أنهم يؤمنون به، وفيها حجة، وعلامة، ودلالة على حقيقة ما أدعوكم إليه، فاتركوها تأكل من خشاش الأرض، فليس عليكم رزقها ولا مؤنتها، وكل ما هو مطلوب منكم أن لا تقتلوها، ولا تتعرضوا إليها بأي أذى، فإنكم إن تمسوها بسوء يأخذكم عذاب من الله ﷻ غير بعيد فيهلككم ^(٤).

(١) انظر: الجدول في إعراب القرآن (١٢ / ٣٠٤)، التحرير والتنوير (٨ / ٢٢٧).

(٢) انظر: الجدول في إعراب القرآن (١٢ / ٣٠٤)، التحرير والتنوير (٨ / ٢٢٧).

(٣) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣ / ١٨٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٥ / ٣٧١)، تفسير القرطبي (٩ / ٦٠)،

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- الخصم لا يحب ظهور حجة خصمه، بل يسعى في إخفائها وإبطالها بأقصى ما يمكن^(١).
 - ٢- أول ما خاطبهم به أثر الدعوة إلى التوحيد، بل إنما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه.
 - ٣- الله ﷻ قادر على إظهار المعجزات على أيدي رسله وأوليائه، متى شاء وفق إرادته، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].
 - ٤- عدم الالتزام بالشروط والاتفاقات؛ يعرض صاحبه بذلك للعقوبة سواء عرفت أم لم تعرف.
- خامساً: رأي المفسرين في معجزة صالح ﷺ وهي الناقة:

ذكر المفسرون عدة أقوال في أوصاف الناقة، حسبنا أن نذكر هنا أنها آية من آيات الله ﷻ، وضعت بين يدي القوم، لتكون امتحاناً لهم وابتلاء، وليس من الحتم اللازم أن تكون على صفات جسدية خاصة، تخرج بها عن طبيعة النياق، بل يكفي أن تكون مجرد ناقة، امتحنوا بامتثال أمر الله فيها، وهو تركها تآكل في أرض الله، وألا يمسوها بسوء، فإن امتثلوا أمر الله نجوا، وإلا هلكوا. وهي في هذا تشبه الشجرة التي نهى الله آدم ﷺ عن أن يأكل منها^(٢).

ذكر الإمام الرازي وجوه الإعجاز في ناقة صالح ﷺ كالتالي^(٣):

- ١- إن الله ﷻ خلقها من الصخرة.
- ٢- إنه تعالى خلقها في جوف الجبل ثم شق عنها الجبل.
- ٣- إنه تعالى خلقها حاملاً من غير ذكر.
- ٤- إنه تعالى خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة من غير ولادة.
- ٥- ذكر الله تعالى: أنه كان لها شرب يوم ولكل القوم شرب يوم آخر.
- ٦- إنه كان يحصل منها لبن كثير يكفي الخلق كلهم.

(١) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٣٦٩).

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١١٦٨).

(٣) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٣٦٩).

المطلب الرابع: نجاة صالح عليه السلام ومن آمن معه وهلاك الظالمين.

قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدَّ غَيْرَ مَكْدُوبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ آلَا بَعْدًا لِّتَمُودَ﴾ [هود: ٦٥ - ٦٨].

أولاً: معاني المفردات:

١- فَعَقَرُوهَا: أصل العقير: ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم.

وقد روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لأمير جيش بعثه إلى الشام: "لَا تَعَقِرَنَّ شَاةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِمَاكَلَةٍ وَلَا تُحَرِّقَنَّ نَحْلًا وَلَا تُعْرِقَنَّهٗ، وَلَا يُعْرِفُ لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّحَابَةِ مُخَالَفٌ"^(١).
قيل: كانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه: أي قطعوا إحدى قوائمه ثم نحروه. وقيل: يفعل ذلك به كيلا يشرد عند النحر^(٢).

٢- جَاثِمِينَ: جَثَمٌ/ جَثْمٌ عَلَيَّ يَجْثُمُ وَيَجْثُمُ، جُثْمًا وَجَثْمًا، فهو جاثم وجثوم، والمفعول مجثوم عليه.
• جَثْمُ الشَّخْصِ: لَزِمَ مَكَانَهُ فَلَمْ يَبْرَحْ، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ جَبَلٌ جَاثِمٌ: عَظِيمٌ جَدًّا.
• جَثْمُ الهَمِّ عَلَى صدره: ضَغْطٌ وَأَثْقَلٌ عَلَيْهِ "كابوس جاثم على الصدور- جثم الطعام على المعدة"^(٣).

٣- الصَّيْحَةُ: صَيْحَةٌ [مفرد]: والجمع صَيْحَاتٌ وَصَيْحَاتٌ وَصِيَاخٌ: وهي على معانٍ^(٤):
أ - اسم مرّة من صَاخَ، صَاخَ ب، صَاخَ عَلَى، صَيْحَةُ الحرب: صَيْحَةٌ يَطْلُقُهَا المَحَارِبُونَ عِنْدَ الهِجُومِ.

ب- صُرَاخٌ، صوت عالٍ؛ نتيجة عاطفة، كالخوف أو الفرح أو اليأس "صَيْحَةُ الرِّضِيعِ".

ت- عذاب، صرخة شديدة أو صاعقة ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٦٧].

والصيحة هي أشمل وأهم من الرجفة لذا فإنها تُصيب عدداً أكبر وتبلغ أكثر من الرجفة، والمعلوم أن الصوت يمتد أكثر من الرجفة، ولهذا فهي تؤثر في ديار عديدة لذا جاء استخدام كلمة

(١) المحلى بالآثار (٥/ ٣٤٧).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٧١).

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٣٤٥).

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٣٤٥).

﴿ دِيَارِهِمْ ﴾ مع الصيحة؛ ليدل على كثرة ديارهم التي أصابها العذاب. لذلك لم ترد في القرآن كلمة ﴿ دِيَارِهِمْ ﴾ إلا مع العذاب بالصيحة ولم ترد كلمة ﴿ دَارِهِمْ ﴾ إلا مع العذاب بالرجفة^(١).

٤- يَغْنُوا : (غَنِي): الغين والنون والحرف المعتل أصلان صحيحان، أحدهما يدل على الكفاية، فلأن غنى وغناء كثر ماله فهو غان وغني وَعَن الشَّيْءِ لم يَحْتَجْ إِلَيْهِ بِهِ، (أَغْنَى) الشَّيْءِ كَفَى وَالرَّجُلَ عَنكَ كَفَاكَ وَيُقَالُ مَا يُغْنِي عَنكَ هَذَا أَي مَا يَجْزِي عَنكَ وَمَا يَنْفَعُكَ وَيُقَالُ أَغْنَى عَنْهُ غِنَاءً فَلَانَ وَمَغْنَاهُ وَمَغْنَاتُهُ نَابَ عَنْهُ، والآخِر (غنى) طرب وترنم بالكلام الموزون وَغَيْرِهِ^(٢).
ثانياً: وجوه البلاغة:

١- في الكلام محذوفٌ قد ترك ذكره، استغناءً بدلالة الظاهر عليه، وهو: "فكذبوه" ﴿فَعَقَرُوهَا﴾^(٣).
٢- قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ أضاف العقر إلى جميعهم، لأن العاقر كان واحداً منهم وكان عن رضى منهم بصنيعة^(٤).

٣- قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ خِزْيٍ يُؤْمِنُ ﴾، وفي تأويل هذه الجملة أقوال كالتالي:
أ- الجملة معطوفة على جملة ﴿ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود: ٦٤]. العذاب النازل بقومه^(٥).
ب- يمكن أن يكون التقدير: نجينا صالحاً ﷺ برحمة منا ونجيناهم من خزي يومئذ^(٦).
ت- عطفت هذه الجملة على متعلق نجينا المحذوف، أي نجينا صالحاً ﷺ ومن معه من عذاب الاستئصال ومن الخزي المكيف به العذاب فإن العذاب يكون على كيفيات بعضها أخزى من بعض. فالمقصود من العطف عطف منة على منة لا عطف إنجاء على إنجاء^(٧).

يرى الباحث أن العذاب أخذ قوم صالح ﷺ ونجى الله ﷻ رسوله صالحاً ﷺ والمؤمنين برحمة منه أي بلطف ونعمة منه ﷻ ونجاهم من ذل ذلك اليوم وعذابه. وما أدل على ذلك من الحديث الذي ذكره ابن حبان: عن أبي هريرة ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ) قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَّذَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ،

(١) انظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - محاضرات (ص: ٦٠٩).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٣٩٧)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٦٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥/ ٣٧٢).

(٤) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٨٥).

(٥) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨/ ٣٧٠).

(٦) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨/ ٣٧٠).

(٧) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١١٤).

فَسَدُّوْا وَقَارِبُوْا، وَلَا يَنْمَنِّيْنَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ: إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزِدَّادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ (١).

٤- قوله تعالى: ﴿وَعَدُّ غَيْرِ مُكْذُوبٍ﴾ الاستعارة المكنية التخيلية على المجاز كأن الواعد قال له: أفي بك. فإن وفي به صدقه، وإلا كذبه. ويمكن أن تكون مجازاً مرسلًا ليكون «مُكْذُوبٍ» بمعنى باطل ومتخلف. وفي تسمية ذلك وعدا؛ مبالغة في التهكم (٢).

٥- قوله تعالى: ﴿نَجِيْنَا صَالِحًا وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ قدم ﷺ التجية اهتماما بشأنها وإيادانا بسبق الرحمة على الغضب وهذا من فضله (٣).

٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيْزُ﴾ وقد أكد هذا الخبر بثلاثة مؤكدات وهي «إِنَّ»، «رَبَّكَ»، «هُوَ» للاهتمام به (٤).

٧- قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ عبّر عن ثمود بالذين ظلموا للإيماء بالموصول إلى علة ترتب الحكم، أي لظلمهم وهو ظلم الشرك. وفي هذا تعريض بمشركي أهل مكة بالتحذير من أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك لأنهم ظالمون أيضا (٥).

٨- قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ اختفت تاء التأنيث من الفعل «أَخَذَ» لأن الذي يتكلم هنا هو رب العباد ﷻ، فتاء التأنيث تعبر عن الصيحة لمرة واحدة، أما إذا تكررت وصارت صياحاً كثيراً تأخذهم كل صيحة من الصياح.

فالصيحة فيها ضعف الأنوثة، أما الصياح ففيه عزيمة وقوة الرجولة، فأراد الحق ﷻ أن يجمع الأمرين، فقال: ﴿أَخَذَ﴾ ولم يقل: ﴿أَخَذَتْ﴾ (٦).

٩- قوله تعالى: ﴿كَأَنَّ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾، وهي كناية عن عيشهم في رغد من العيش قبل أن يفعلوا فعلتهم، وعلى كلا معنيي الغنى، فلو كان غنى مال فهو سعادة، وإن كان غناء طرب، فلا يكون إلا عن سعادة.

٩- قوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ استدل به في إمهال الخصم ونحوه ثلاثة، وفيه دليل على أن الثلاثة نظرا في الشرع ولهذا شرعت في الخيار ونحوه (٧).

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب: المرضى، باب: تمني المريض الموت، رقم ٥٦٧٣، (٧ / ١٢١).

(٢) الجدول في إعراب القرآن (١٢ / ٣٠٨).

(٣) انظر: تفسير الألويسي = روح المعاني (٦ / ٣٢٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١١٤).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١١٤).

(٦) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٥٤٤).

(٧) انظر: الإكليل في استنباط التنزيل (ص: ١٥١).

١١- قوله تعالى: ﴿ نَلَيْكَ وَعَدُّ ﴾ الإشارة لما يدل عليه الأمر بالتمتع ثلاثة أيام^(١).

١٢- قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴾ صرح بكفرهم مع كونه معلوماً: ذلك تعليلاً للدعاء عليهم بقوله: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِتَمُودَ ﴾ ، أي أنهم استحقوا الدعوة بالطرده والإبعاد من رحمة الله، على تقدير كفروا بربهم، واللام للبيان كما في قولهم: سقيا لك وتكرير حرف التنبيه ﴿ أَلَا ﴾ وإعادة عاد للمبالغة في تفضيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم^(٢).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآيات للسياق: استمر صالح عليه السلام في دعوة قومه إلى الله تعالى ، لكن قومه ينكرون عليه، ويصيرون على اتباع دين الآباء والأجداد، فطلبوا منه أن يخرج لهم من الصخرة ناقة، تكون معجزة تدل على صدق ما يدعو إليه، وما هي إلا أن دعا الله تعالى بذلك حتى خرجت لهم من نفس الصخرة الناقة، فأمرهم بعدم مساسها بأي سوء وتركها تأكل من الأرض، لكن القوم عقروا هذه الناقة، فأخبرهم بوعد الله تعالى الذي سوف يقع بهم بعد ثلاثة أيام، وكانت النتيجة وقوع الصيحة ونجاة صالح عليه السلام ومن آمن معه برحمة من الله تعالى وأخذ القوم وكأنهم لم يكونوا من أهل هذه الديار.

٢- فاصلة الآية: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ ما إن جاء موعد العذاب الذي وعدهم صالح عليه السلام ، حتى جاءت الصيحة فأخذتهم ونجينا صالحاً عليه السلام والذين آمنوا معه بنعمة وفضل من الله ونجيناهم من هوان ذلك اليوم، وذلك بذلك العذاب جاءت فاصلة الآية ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ ﴾، لتناسب ما يستحقون من قوة في بطشه إذا بطش بشيء أهلكه، كما أهلك تمود حين بطش بها ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ فلا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، بل يغلب كل شيء ويقهره^(٣).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

لم يلتزم قوم صالح عليه السلام بما حذرهم منه نبيهم، فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر، وقد نسب العقر لهم جميعاً لرضائهم على فعله فعقروها فقال لهم صالح عليه السلام: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، وما أشد انتظار البلاء، وما أطولها مدة يتربص فيها الإنسان عذاباً محقق الوقوع، ذلك وعد غير مكذوب فيه، لأنه وعد من الله تعالى، فلما وقعت الواقعة، ونزلت الصاعقة نجى الله تعالى صالحاً عليه السلام والذين آمنوا معه برحمة منه، ونجاهم من خزي ذلك اليوم، إن ربك أيها الرسول هو القوى القادر العزيز الحكيم يعز من يشاء ويذل من يشاء من عباده، فأخذهم العذاب، وأخذ الذين ظلموا أنفسهم بعصيان الرسول، ومخالفته، أخذتهم صيحة الصاعقة التي نزلت بقوم صالح عليه السلام فارتجفت لها

(١) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٢٨٥)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٧٧).

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٧٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥/ ٣٧٥).

قلوبهم وصعقوا بها حتى أصبحوا في ديارهم جاثمين جنوم الطير على الأرض لا حراك بهم كالهشيم المحتظر، كأنهم لم يقيموا في ديارهم، وقد خلت من بعدهم، ثم يكمل بوصفه لهم، ألا إن ثمود كانوا على أشد أنواع الكفر؛ ألا وهو الكفر بريهم فاستحقوا عقابه الصارم، فبعداً لهم وسحقاً لثمود ومن يشبههم، مطرودين من رحمة الله ﷻ^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- استدل علماءنا بإرجاء العذاب عن قوم صالح ﷺ ثلاثة أيام على أن المسافر إذا لم يجمع على إقامة أربع ليال قصر، لأن الثلاثة الأيام خارجة عن حكم الإقامة^(٢).
- ٢- كانت الناقة معجزة عجيبة مدهشة لخلقها من الصخرة وخلقها في جوف الجبل، وخلقها حاملاً من غير ذكر، وخلقها على تلك الصورة دفعة واحدة من غير ولادة، ولما كان لها من شرب يوم، ولكل القوم شرب يوم آخر، ولإدراكها بلبن كثير يكفي الخلق العظيم، فهذه ستة وجوه، كل وجه منه معجز، مما جعل تلك الناقة آية ومعجزة، والله ﷻ قادر على أكبر من ذلك^(٣).
- ٣- اقتضى العدل الإلهي ورحمة الله إنجاء صالح ﷺ ومن آمن معه، وإهلاك قبيلة ثمود بسبب الجحود برسالة نبيهم، وكفرهم بريهم، وإنكارهم وجوده، وهذا حال كل من فعل مثل صنيعهم^(٤).
- ٤- لا شك أن وعد الأنبياء-عليهم السلام- صادق صحيح، ووعدهم مؤكد الحصول، وقد أوعد صالح ﷺ قومه بالعذاب بعد ثلاثة أيام، وتحقق ذلك، كما وعدهم، في اليوم الرابع.
- ٥- جنود ربك كُتِر، يُسَخَّر بعضها للنصر، وبعضها الآخر للخسف ٠٠ إلى غير ذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١]، فكان عذابهم بالصيحة فماتوا، وأصبحوا جثثاً ملقاةً هنا وهناك في أنحاء ديارهم^(٥).
- ٦- إن ذكر القرآن الكريم لمثل هذه القصص، ليس للتسلية، أو إضاعة الوقت أو غير ذلك؛ إنما للعبرة والعظة منها، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾ [يوسف: ١١١].
- ٧- الفتنة لا تقتصر على الظالمين خاصة، وإنما تعم الجميع، لذلك يجب الأخذ على يد الظالم وردة وزجره والتصدي له، ما أمكن فعل ذلك، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]، فالذي عقر ناقة صالح ﷺ هو رجل واحد منهم لكن العذاب وقع عليهم أجمعين.

(١) انظر: التفسير الواضح (١٣٣ / ٢)، تفسير الطبري = جامع البيان (٣٧٥ / ١٥)،.

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٥٦١ / ٢)، تفسير القرطبي (٦١ / ٩).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٠٣ / ١٢).

(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني (٥٧٧ / ٢).

(٥) انظر: التفسير المنير (١٠٣ / ١٢).

- ٨- إن عذاب الله ﷻ على أشكال مختلفة، أكثرها فظاعة الفضح على رؤوس الأَشْهاد، ومنه يعتري الإنسان الخزي، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٩٤].
- ٩- الحث على لزوم الاستقامة خوفا من عقاب الله ﷻ. وذلك باتباع أوامره والابتعاد عن نواهيه.

الفصل الرابع

قصة إبراهيم ولوط - عليهما السلام - مع قومهما

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٦٩-٨٣)

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: قصة إبراهيم عليه السلام وبشارته بإسحاق ويعقوب
- المبحث الثاني: قوم لوط عليه السلام يريدون ضيفه بسوء
- المبحث الثالث: هلاك قوم لوط عليه السلام وزوجته

المبحث الأول

قصة إبراهيم عليه السلام وبشارته بإسحاق ويعقوب

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة يونس من آية (٦٩-٧٦)

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: مشهد إبراهيم عليه السلام مع الملائكة المُبَشِّرِينَ.
- المطلب الثاني: بشارة الملائكة لزوجة إبراهيم عليه السلام.
- المطلب الثالث: توسل إبراهيم عليه السلام من ربه بتأخير العذاب عن قوم لوط بهدف توبتهم.

المبحث الأول

قصة إبراهيم عليه السلام وبشارته بإسحاق ويعقوب

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة يونس من آية (٦٩-٧٦)

أرسل الله ﷻ ملائكة على هيئة الرجال إلى إبراهيم عليه السلام ببشارة الولد، ما إن وصلوه حتى ردوا عليه التحية بقولهم سلاماً؛ رد عليهم بقوله سلام، ومن المعلوم أن إبراهيم هو أبو الضيفان، ف جاء على عجاله من أمره بعجل مشوى وقدمه لهم، لكنهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون، وقد ظهر على إبراهيم علامات الخوف، فطمأنوه؛ بأنهم ملائكة؛ وقد جاءوا لهلاك قوم لوط عليه السلام، كانت امرأته قائمة وراء الستر تقوم بالخدمة، فضحكت سرورا بزوال الخوف، بشروها بإسحاق، ومن وراءه يعقوب، استغربت وقع الحمل منها ومن زوجها وهم قد بلغوا من الكبر عتياً، فطمأنوها بأنهم من أهل البيت المحفوظين برحمة الله ﷻ.

المطلب الأول: مشهد إبراهيم عليه السلام مع الملائكة المبشرين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٦٩ - ٧٠].

أولاً: معاني المفردات:

- ١- حَنِيزٌ: الحاء والنون والذال أصل واحد، حَنَذٌ يَحْنِذُ، حَنَذًا وَتَحْنَذًا، فهو حَانِذٌ، والمفعول مَحْنُودٌ وحَنِيزٌ وهو إنضاج الشيء. يقال شواء حَنِيزٌ، أي منضج، وذلك أن تحمى الحجارة وتوضع عليه حتى ينضج. ولم ترد في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع^(١).
- ٢- أَوَّجَسَ: أَوَّجَسَ يُوجِسُ، إِيْجَاسًا، فهو مُوجِسٌ، والمفعول مُوجَسٌ (للمتعدّي)، وردت كالتالي^(٢):
الْوَجَسُ: الصوتُ الخَفِيُّ. والْوَجَسُ أيضاً: فزعَةُ القلب. والوَاجِسُ: الهاجِسُ. وأَوَّجَسَ قِي نَفْسَهُ خِيفَةً، أي أضمَر، وكذلك التَّوَجُّسُ. والتَّوَجُّسُ أيضاً: التَّسَمُّعُ إِلَى الصوتِ الخَفِيِّ.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ١٠٩)، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٥٧١).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٠٤)، منتخب من صحاح الجوهري (ص: ٥٦٤٩).

٣- نَكَرَهُمُ: الإِنْكَارُ: ضِدُّ العِرْفَانِ. يقال: أَنْكَرْتُ كَذَا، وَنَكَرْتُ، وَأَصْلُهُ أَنْ يَرِدَ عَلَى القَلْبِ ما لا يتصوَّره، وذلك ضَرْبٌ مِنَ الجَهْلِ. قال تعالى: ﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [يوسف/ ٥٨] والمُنْكَرُ: كُلُّ فِعْلٍ تحَكَّم العَقولُ الصَّحيحةُ بِقُبْحِهِ، أو تَتَوَقَّفُ فِي اسْتِقْبَاحِهِ واستحسانه العَقولُ، فتحكم بقبحه الشريعة، وإلى ذلك قصد بقوله: ﴿ الأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [التوبة/ ١].

٤- البُشْرَى: بُشِرَى [مفرد]: جمعه بُشْرِيَاتٌ وَبُشْرَى: بِشَارَةٌ، وهو خبر سارٌّ ومُفْرِحٌ لا يعلِّمه المُخْبِرُ به " ﴿ بُشْرَاكُمُ اليَوْمَ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [الحديد: ١٢]، بُشْرَاكُ/ بُشْرَى لك: هِنَاءٌ وَمِسْرَةٌ، زَفَّ البُشْرَى إِلَى فلان: ساقَ إِلَيْهِ خَبْرًا سارًّا^(١).
ثانيًا: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ قيل إنه يدل على أن تحية الملائكة السلام كتحية بني آدم وعلى أن السلام يرد بمثله^(٢).

٢- لم يذكر امرأة إبراهيم عليه السلام؛ لأنَّ الخوف هنا كان طاعياً على البيت كله وأهله ولهذا لم تظهر امرأته لمواجهتهم^(٣).

٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ﴾ هذه الجملة بها من من البلاغة التالي:
أ- بدأت بحرف عطف ﴿ و ﴾، حيث أفاد عطف هذه على القصة الأولى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ [هود: ٢٥]. لا على ما قبله مباشرة من قصة صالح عليه السلام التي عطف على قصة هود لتماثلهما^(٤).

ب- أكد هذا الخبر بحرف اللام في ﴿ لَقَدْ ﴾ وهو لام القسم لغرابته عند العرب.

ت- أكد هذا الخبر بمؤكد آخر ﴿ قَدْ ﴾.

٤- قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ إذا أتى بالمصدر مرفوعاً أفاد الوجوب،

أما الفرق بين ﴿ سَلَامًا ﴾ و ﴿ سَلَامٌ ﴾ فالأول جزء من جملة فعلية هو مفعول لفعل محذوف تقديره (نُسِّمُ سلاماً)، والأخرى ﴿ سَلَامٌ ﴾ هو جزء من جملة إسمية (سلامٌ عليكم)، وهذا يدل على أن إبراهيم عليه السلام حياهم بتحية أحسن من تحيتهم، لأن الرفع دالٌّ على ثبات السلام لهم دون تجدده

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٢٠٨).

(٢) انظر: الإكليل في استنباط التنزيل (ص: ١٥١).

(٣) انظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - محاضرات (ص: ٧٢٨).

(٤) انظر: تفسير المنار (١٢/ ١٠٦).

وحدوثه، وإن كان منصوباً أفاد النذب: والجملة الاسمية أكد في الثبوت^(١). والجملة الاسمية والاسم أقوى وأثبت من الجملة الفعلية يفيد الكمال والمبالغة والتمام، كأنه قيل: فماذا قال إبراهيم عليه السلام، فقيل: "قال سلام"^(٢).

٥- قوله تعالى: ﴿رُسُلْنَا﴾، وهم ملائكة أرسلوا من الله ﷻ إلى إبراهيم عليه السلام، مثله ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

٦- قوله تعالى: ﴿بِالْبَشَرَى﴾ الباء للمصاحبة، لأنهم جاءوا لأجل البشرى فهي مصاحبة لهم كمصاحبة الرسالة للمرسل بها^(٣).

٧- قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ﴾، الفاء في قوله: فما لبث للدلالة على التعقيب إسراراً في إكرام الضيف، وتعجيل القرى^(٤) سنة عربية: ظنهم إبراهيم عليه السلام ناساً، فبادر إلى قراهم، وانتفاء اللبث مبالغة في العجل^(٥).

٨- قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ جواب كلام مقدر دل عليه قوله: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، أي وقال لهم: إني خفت منكم، فأجابوه بما تقدم.

٩- قوله تعالى: ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾ عبر عن الأقوام المراد عذابهم بطريق الإضافة قوم لوط، وذلك؛ لأنهم ليس لهم اسم يجمعهم ولا يرجعون إلى نسب بل كانوا خليطاً من فصائل عرفوا بأسماء قراهم، وأشهرها سدوم^(٦).

١٠- قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾ هو استئناف في معنى التعليل للنهي المذكور فإن إرسالهم إلى قوم آخرين يوجب أنهم من الخوف أي أرسلنا بالعذاب^(٧).

ثالثاً: المناسبات:

مناسبة الآيتين للسياق: هذه هي القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة، لما انقضت القصة على هذا الوجه الرائع، أتبعها قصة لوط عليه السلام إذ كانت أشهر الوقائع بعدها، وهي أفضح منها، وقدم عليها ما يتعلق بها من أمر إبراهيم عليه السلام ذكر بشره لما في ذلك كله من التنبيه لمن تعنت

(١) انظر: الأصلان في علوم القرآن (ص: ٣٩١)، تفسير آيات الأحكام للسايس (ص: ١٩)

(٢) انظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - محاضرات (ص: ١٠٢١)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: ١٧٠)، تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٣٧٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١١٦).

(٤) قرى يقري، أقر، قرى وقرى وقرء، فهو قار، والمفعول مقرى. قرى الضيف: أضافه وأكرمه، أحسن إليه "منحه القرى والحماية". معجم اللغة العربية المعاصرة (٣ / ١٨٠٧).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١١٧).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١١٦).

(٧) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٢٢٥).

بطلب إنزال الملائكة في قولهم ﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكَ ﴾ [هود: ١٢] على أن ذلك ليس عزيزاً عليه. وقد أكثر من فعله ولكن نزولهم مرهب، وأمرهم عند المكاشفة مرعب، وأما مع الستر_ إذا لم يروا بأم أعينهم_ فلا يقطع تعنتهم، هذا مع ما في ذلك من مناسبة أمر هذا الولد لأمر الناقة في تكوين كل منهما بخارق للعادة إشارة إلى تمام القدرة وكمال العلم المبني عليه أمر السورة في إحكام الكتاب وتفصيله وتناسب جدالي نوح وإبراهيم-عليهما السلام- في أن كلا منهما شفقة على الكافرين ورجاء لنجاتهم من العذاب بحسن المثاب، ولعله سبحانه كرر ﴿ لقد ﴾ في صدرها عطفاً على ما في قصة نوح عليه السلام للتنبية على مثل الأغراض^(١).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

ومع قصة إبراهيم عليه السلام، مخبراً: تالله لقد جاءت رسلنا الملائكة إلى إبراهيم الخليل عليه السلام تحمل له البشارة بولادة إسحاق، فلما دخلوا عليه قالوا له: سلاماً عليك، قال: سلام عليكم. وهذا أحسن مما حيّوه، لأن صيغة الرفع تدلّ على الثبوت والدوام. فلم يبطيء وذهب سريعاً، فاتاهم بالضيافة بعجل مشوي يقطر ماؤه على الحجارة المحماة، فلما رأى إبراهيم عليه السلام هؤلاء الأضياف لا تمتد أيديهم إلى الطعام، أنكر واستغرب ذلك منهم، وملاه الذعر والخوف، إذ أدرك أنهم ليسوا بشراً، وربما كانوا ملائكة عذاب، فأروا عليه الخوف فقالوا له: لا تخف، نحن لا نريد سوءاً بك، وإنما أرسلنا لإهلاك قوم لوط عليه السلام، وقد كانت ديارهم قريبة من دياره. فزفوا له البشارة بولادة غلام عليم لك، يحفظ نسلك^(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- استحباب تبشير المؤمن بما هو خير له ولو بالرؤيا الصالحة، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب الفأل الحسن^(٣).
- ٢- تبادل السلام بين الملائكة وبين الأنبياء- عليهم السلام-، فقد سلم الملائكة على إبراهيم عليه السلام بقولهم: سلاماً، فرد عليهم بتحية أحسن، فقال: سلامٌ عليكم^(٤).
- ٣- أن الملائكة يتمثلون أحياناً في صورة البشر وهذا ثابت بالقرآن والسنة. أما القرآن فقال تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ١٧]، ومن السنة: مسألة جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان^(٥).

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ٣٢٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥/ ٣٨٧)، التفسير الوسيط (٢/ ١٠٥٩).

(٣) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٦٣).

(٤) انظر: التفسير المنير (١٢/ ١٠٩).

(٥) انظر: سنن النسائي، كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: نعت الإسلام، رقم: ٤٩٩٠ (٩٧/٨)، صحيح.

٤- يعلمنا الحق ﷺ المقدمات اللازمة للدخول إلى الأماكن، فمن أدب الدخول إلى أي مكان أن نسلم على أهل هذا المكان، يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [النور: ٢٧] (١).

٥- عادة الناس في ذلك الزمان من أكل طعام القرى كالعهد على السلامة من الأذى، لأن الجزاء على الإحسان بالإحسان مركز في الفطرة، فإذا أنكف أحد عن تناول الإحسان فذلك لأنه لا يريد المسالمة ولا يرضى أن يكون كفورا للإحسان (٢).

٦- قوله: سلام عليكم أكمل من قوله: السلام عليكم، لأن التتكير في قوله: سلام عليكم يفيد الكمال والمبالغة والتمام، وأما لفظ السلام: فإنه لا يفيد إلا الماهية (٣).

٧- في الآية دليل أن من آداب المضيف أن يعجل قراه، فيقدم الموجود الميسر في الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان لديه شيء وسعة، ولا يتكلف المفقود غير المستطاع الذي يتضايق به (٤).

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ) (٥).

٨- إذا قدم للضيف الطعام عليه أن يبادر المقدم إليه بالأكل فإن تكريم الضيف من مضيفه تعجيل التقديم، وتكريم صاحب المنزل من ضيفه المبادرة بالقبول.

٩- من أدب الطعام: أن ينظر المضيف في ضيفه، إن كان يأكل أم لا؟ وذلك بلمح نظر سريع، لا بتأكيد النظر فيحرجه (٦).

١٠- ذهب علماء الفقه إلى أن الضيافة لا تجب؛ إنما هي من مكارم الأخلاق وحسن المعاملة بين الخلق، وتأولوا هذا الحديث بأنه محمول على الندب، بدليل قوله: «فليكرم ضيفه»؛ والكرامة من خصائص الندب دون الوجوب (٧).

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٥٤٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١١٧).

(٣) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٣٧٢).

(٤) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١٠٩).

(٥) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف، رقم ٧٤ (١ / ٦٩).

(٦) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١١٠).

(٧) أحكام القرآن لابن العربي (٣ / ٢٠).

المطلب الثاني: بشارة الملائكة لزوجة إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧١ - ٧٣].
أولاً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿قَائِمَةٌ﴾، ذكر عدة تفاسير لهذه الكلمة وهي كالتالي^(١):

أ- بمعنى: قائمة خلف ستر تسمع محاورة إبراهيم عليه السلام مع أضيافه.

ب- بمعنى: قائمة في صلاتها.

ت- بمعنى: قائمة تخدم القوم، تؤكد ذلك قراءة ابن مسعود-رضي الله عنهما-: «وهي قائمة وهو جالس».

٢- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ قيل الورا: ولد الولد، وعن الشعبي^(٢) أنه قيل له: أهذا ابنك؟ فقال نعم، من الورا، وكان ولد ولده^(٣).

٣- قوله تعالى: ﴿أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ استفهام إنكار وتعجب من حدوث ولد بين شيخين هرمين^(٤).

٤- قوله تعالى: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ والبعولة: جمع بعل. وهو الزوج، وسيد الأمة. وأصل البعل الرب والمالك، فأطلق على الزوج؛ لأن أصل الزواج ملك وقد بقي من آثار الملك فيه الصداق لأنه كالثمن^(٥).

(١) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤١٠)، تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٨٨).

(٢) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، ابو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلاً نحيفاً، ولد لسبعة أشهر. وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحدث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيهاً، (١٩ - ١٠٣ هـ)، الأعلام للزركلي (٣/ ٢٥١).

(٣) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤١٠).

(٤) انظر: البحر المحيط في التفسير (٦/ ١٨٣).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٨/ ٢٠٩).

٥- قوله تعالى: ﴿ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ يستدل من هذا القول أن زوجة الرجل من أهل بيته لأنها خوطبت بهذا، فيقوى القول في زوجات النبي ﷺ بأنهن من أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس^(١).

وفي ذلك رد علي الشيعة الذين يدعون أن أمهات المؤمنين ليسوا من أهل البيت، فقد روى الإمام البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: " بنى علي النبي ﷺ بزینب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً.... فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة، فقال: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ)، فقالت: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتِ أَهْلَكَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، فَتَقَرَّرَى حُجْرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ، وَيَقُولَنَّ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ...^(٢).

يظهر من هذا أن أهل البيت يطلق أصلاً على الأزواج خاصة، ثم يستعمل في الأولاد والأقارب تجاوزاً، وهذا ما يثبت من القرآن الكريم كما وردت هذه اللفظة في ذكر قصة خليل الله عليه الصلاة والسلام لما جاءت رسل الله إبراهيم بالبشرى، فقال الله ﷻ في سياق قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ... عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ فاستعمل الله ﷻ هذه اللفظة بلسان ملائكته في زوجة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه لا غير^(٣).

٦- قوله تعالى: ﴿ فَضَحِكْتُمْ ﴾، اختلف المفسرون في معنى هذه الكلمة، وفي السبب الذي من أجله ضحكت إلى أقوال وهي كما يلي:

أ- قال بعضهم: ضحكت الضحك المعروف، تعجباً من أنها وزوجها إبراهيم ﷺ يخدمان ضيفانهم بأنفسهما، تكريماً لهم، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون^(٤).

ب- قيل إنها قالت له أحسب أن هؤلاء القوم سينزل بهم عذاب فضم لوطاً إليك فلما جاء الرسل بما قالته سرت به فضحكت^(٥).

ت- قيل ضحكت أي حاضت بعد الكبر عند البشرى فعادت إلى عادات النساء من الحيض والحمل والولادة^(٦).

(١) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣ / ١٩١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم، رقم، ٤٧٩٣ / ٦ / ١١٩.

(٣) انظر: الشيعة وأهل البيت (ص: ١٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥ / ٣٨٩).

(٥) معاني القرآن للنحاس (٣ / ٣٦٤).

(٦) البرهان في علوم القرآن (٣ / ٢٨٠).

ث- قيل ضحكت تعجباً من أن يكون لها ولد، وهي عجوز قد هرمت^(١).

يرى الباحث أن الضحك كان منها للتعجب بدلالة قوله: ﴿ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾، ويدل على ذلك أيضا قوله: ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾، وإنما ذكر الضحك بمعنى الحيض، ذلك وصفاً لحالها، وأن الله ﷻ جعل ذلك أمانة لما بُشِّرَتْ به، فحاضت في الوقت ليعلم أن حملها ليس بمنكر، إذ كانت المرأة ما دامت تحيض فإنها تحبل، والله تعالى أعلم.

٧- قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر، والاستفهام فيها للإنكار، أي: كيف تعجبين من قضاء الله ﷻ وقدره، وهو لا يستحيل عليه شيء؟^(٢).

٨- قوله تعالى: ﴿ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ الرحمة التي وسعت كل شيء والبركات وهي النمو والزيادة وقيل الرحمة: النبوة، وفي ذلك تطمين لها، وتوكيد لهذه البشرية التي بشرت به، وهو الولد بعد بلوغ سن العجز^(٣).

٩- قوله تعالى: ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ ﴾ صرف الخطاب من صيغة الواحدة إلى الجمع لقصد التعميم^(٤).

١٠- قوله تعالى: ﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ تعريف البيت تعريف حضور، وهو البيت الحاضر بينهم الذي جرى فيه هذا التحاور، أي بيت إبراهيم ﷺ والمعنى أهل هذا البيت^(٥).

١١- قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ إشارة إلى أنه ﷻ يحمد لعباده الصالحين ما يتقربون به إليه من طاعات وقربات، فيجزئهم على ذلك الجزاء الأوفى، ويرفعهم إلى منازل العزة والمجد والشرف والرفعة^(٦).

١٢- القرآن الكريم يكشف عن نفسية المرأة من حيث أنها تحب الحمل مهما بلغت من العنر.

ثانياً: المناسبات:

١- مناسبة الآيات إلى السياق: ما زلنا في قصة هذا النبي الكريم، فبعد أن استضافته الملائكة وقدم لهم ضيافتهم لكنه رآهم لا يأكلون، خشي وخاف منهم، فأخبروه بأنهم مرسلون إلى قوم لوط، وفي هذه الأثناء كانت زوجته تقوم على خدمة الضيوف فسمعت بالبشارة التي بشرها لإبراهيم ﷻ

(١) النكت في القرآن الكريم (ص: ٢٥٢).

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٨٠).

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦/ ١١٧٢).

(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٨٠).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٢٢).

(٦) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦/ ١١٧٢).

فضحكت لأنها عجوز وزوجها شيخ كبير، فمثل هذا لا يقع، لكن الملائكة طمأنوها بأنهم محفوظون برعاية الله ﷻ وببركاته لأنهم يستحقون ذلك.

٢- فاصلة الآية: قوله ﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ تذييل قصد به التأكيد والتنثيت على وجوب مداومتها على حمد الله ﷻ وتمجيده على أن وهبها الولد بعد أن بلغت سن اليأس من الحمل ، وكذلك فيه تعليل لما سبق في الآية ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ لتبين بأنه جل جلاله مستوجب لجميع أنواع الثناء والحمد والمداومة عليه وخاصة في هذا الموقف الذي شرفها الله ﷻ بولادة إسحاق ﷺ فوجب عليها أن تحمد الله ﷻ وتمجده في كل حال^(١).

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

كانت امرأة إبراهيم ﷺ قائمة على خدمة الضيوف وكانت سامعة حوارهم فضحكت تعجبا مما رأت وسمعت أو سرورا من هلاك قوم لوطاً ﷺ أو من البشرى لها بولد صالح، ولعل البشرى كانت بعد الضحك بدليل العطف بالفاء. فبشرناها بإسحاق ومن نسل إسحاق يعقوب، فلما سمعت البشرى قالت: يا ويلتى ويا عجبى!! أألد وأنا عجوز عقيم قد بلغت من الكبر عتياً؟! وهذا بعلى وزوجي شيخا كبيراً مسناً. إن هذا لشيء تحار منه العقول مما فيه من العجب!! قالت الملائكة لها: أتعجبين من قدر الله وقضائه الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؟ إذا أراد شيئاً قال له كن فإذا هو يكون. رحمة الله الواسعة ومغفرته وبركاته الكثيرة عليكم يا معشر بيت النبوة، وأهل بيت إبراهيم الخليل ﷺ تتصل وتتابع إلى يوم القيامة، وهذا يدعو بلا شك إلى عدم العجب أنه ﷺ حميد يستحق غايات المجد والثناء، ممجد في الأرض وفي السماء^(٢).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- التسمية في أول الطعام، والحمد في آخره مشروع في الأمم قبلنا، لما ذكر الطبري أن إبراهيم ﷺ لما قدم العجل حين شواه. وأتاهم ففعد معهم، وقامت سارة تخدمهم. فلما قرّبه إليهم قال ألا تأكلون قالوا: يا إبراهيم، إنا لا نأكل طعاماً إلا بثمن، قال: فإن لهذا ثمناً! قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله، وتحمدونه على آخره. فنظر جبريل إلى ميكائيل ﷺ فقال: حقّ لهذا أن يتخذه ربه خليلاً!^(٣).

(١) انظر: تفسير المنار (١٢١٠٨)، نظم الدرر (٥٥٤/٣).

(٢) انظر: التفسير الواضح (١٣٦/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣٩٠/١٥).

٢- رحمة الله ﷺ من كثرة، وبركاته على أهل بيت النبوة متعاقبة، فكان التبشير بولادة ولد لزوجين عجوزين معجزة خارقة للعادة، وتخصيصا لبيت النبوة بكرامة عالية رفيعة، والله ﷻ قادر على كل شيء، وأنه حميد مجيد^(١).

٣- الذي يقوم على خدمة البيت، أو الضيوف، الرجل والمرأة متعاونين.

٤- إن من طبيعة البشر أن يستهجن ويستغرب من الأمور التي تكون ليس على ما تقتضيه العادة، فيعجب من ذلك.

٥- الملائكة الكرام، هم مسخرون لتنفيذ أوامر الله ﷻ، فلا عجب عندهم ولا اعتراض في أي أمر من أوامر الله ﷻ، كذلك هم يعلمون قدر أهل البيت بعلم من الله ﷻ.

المطلب الثالث: توسل إبراهيم عليه السلام من ربه بتأخير العذاب عن قوم لوط بهدف توبتهم.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ [هود: ٧٤ - ٧٦].

أولاً: معاني المفردات:

١- الرَّوْعُ: الرَّوْعُ بِالْفَتْحِ: الْفَرْعُ. وَالرَّوْعَةُ: الْفَرْعَةُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: أَفْرَعُ رَوْعُهُ، أَي ذَهَبَ فَرَعُهُ وَسَكَنَ. وَالرَّوْعُ بِالضَّمِّ: الْقَلْبُ وَالْعَقْلُ. يُقَالُ وَقَعَ ذَلِكَ فِي رَوْعِي، أَي فِي خَلْطِي وَبَالِي. وَفِي الْحَدِيثِ: إِنْ رُوِحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي. وَرُعْتُ فُلَانًا وَرَوْعْتُهُ فَارْتَاعَ، أَي أَفْرَعْتَهُ فَفَرَعَ. وَتَرَوَّعَ، أَي تَقَرَّعَ. وَقَوْلُهُمْ: لَا تُرْعُ، أَي لَا تَحْفَ^(٢).

٢- أَوَّاهٌ: الْأَوَّاهُ: الَّذِي يَكْثُرُ التَّأَوُّهُ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: أَوَّهْ أَوَّهْ، وَكُلُّ كَلَامٍ يَدُلُّ عَلَى حُزْنٍ يُقَالُ لَهُ: التَّأَوُّهُ، وَيَعْبَرُ بِالْأَوَّاهِ عَمَّنْ يَظْهَرُ خَشْيَةَ اللَّهِ ﷻ، وَرَجُلٌ أَوَّاهٌ: كَثِيرُ الْحُزْنِ، وَقِيلَ: هُوَ الدُّعَاءُ إِلَى الْخَيْرِ، وَقِيلَ: الْفَقِيهُ، وَقِيلَ: الْمُؤْمِنُ، بَلْغَةُ الْحَبْشَةِ، وَقِيلَ: الرَّحِيمُ الرَّفِيقُ، وَقِيلَ: الْأَوَّاهُ هُنَا الْمَتَأَوُّهُ شَفَقًا وَرَفَقًا، وَقِيلَ: الْمَتَضَرِّعُ يَقِينًا أَي إِيقَانًا بِالْإِجَابَةِ وَلِزُومًا لِلطَّاعَةِ؛ وَقِيلَ: الْأَوَّاهُ الْمَسْبُوحُ، وَقِيلَ: هُوَ الْكَثِيرُ الشَّاءِ، وَهُنَا كُنَايَةٌ عَنِ شِدَّةِ اهْتِمَامِهِ بِمَهْمُومِ النَّاسِ^(٣).

(١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١١٠)، أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٦٣).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١١٧٢).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ١٠١)، لسان العرب (١٣ / ٤٧٣)، التحرير والتنوير (١٢ / ١٢٣).

ثانياً: وجوه البلاغة:

- ١- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الفاء رابطة بعض أحوال إبراهيم ﷺ ببعض، من غير انفصالها بما ليس بأجنبي من كل وجه، بل له مدخل تام في السباق والسياق^(١).
- ٢- وقد ذكر الإمام الطبري عند قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى ﴾ بإسحاق، ويعقوب ولد من صلب إسحاق، وأمن مما كان يخاف، قال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾، [سورة إبراهيم: ٣٩]^(٢). كما أنه يوجد طباق في نفس الآية بين ﴿ ذَهَبَ ﴾ ﴿ وَجَاءَتْهُ ﴾ بينهما طباق^(٣).
- ٣- وقد ذكر الزحيلي^(٤) في قوله تعالى: ﴿ يُجَادِلُنَا ﴾ جواب بداية الآية ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ ﴾ حيث صيغ بصيغة المضارع لاستحضار الحالة العجيبة من فعل إبراهيم ﷺ، كقوله: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ ﴾ [هود: ٣٨]، والمجادلة هنا: على رأيين:
 - أ- دعاء ومناجاة سأل بها إبراهيم ﷺ ربه العفو عن قوم لوط خشية إهلاك المؤمنين منهم.
 - ب- وقد تكون المجادلة مع الملائكة، لكنه لما عرف المراد من الكلام حذف "الملائكة". وعديت إلى ضمير الجلالة؛ لأن المقصود من جدال الملائكة التعرض إلى أمر الله ﷻ بصرف العذاب عن قوم لوط ﷺ.ما يرجحه الباحث أن الرأي الأول هو المقصود بهذا القول، لما ثبت عن إبراهيم ﷺ أنه كان من سجيته الخير والعطف والرحمة بالناس كافة، وقد وردت الآيات التي تدل على ذلك قال تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٥]. كذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وهناك آيات كثيرة تناسب هذا المعنى، والله أعلم.
- ٤- قوله تعالى: ﴿ فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ على تقدير مضاف، أي في عقاب قوم لوط. وهذا من تعليق الحكم باسم الذات، والمراد حال من أحوالها يعينه المقام، كقوله: ﴿ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي عدم وطئها^(٥).

(١) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٢٢٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (٤٠ / ١٥).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١٠٥).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٢٣).

(٥) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١١٧٢).

٥- قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ الضمير للشأن، ومعنى مجيء أمر الله: مجيء عذابه الذي قدره عليهم، وسبق به قضاؤه^(١).

٦- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾، هذا تعليل لمجادلة إبراهيم في عذاب قوم لوط، وهو أنه كان حلماً لا يحب المعالجة بالعقاب، كثير التأوه مما يسوء ويؤلم، إن أصاب أحد سوء، منيب يرجع إلى الله ﷻ في كل أمر^(٢).

٧- قوله تعالى: ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ هذا بيان مستأنف لما أجابته به الملائكة عن الله ﷻ، أي أعرض عن الجدل في أمر قوم لوط والاسترحام لهم^(٣).

٨- الصورة في الآيتين السابقتين تجعل الروح حياً شاخصاً، يذهب ويجيء، وكذلك البشري، كما كان هناك الغضب يصرخ ويسكت، ويثور ويسكن. إنها صور حية شاخصة، تتحوّل فيها المعاني إلى أشخاص يثورون ويغضبون، ويهدءون، ويذهبون، ويروحون، علي طريقة القرآن الكريم في إحياء المعاني في الذهن والخيال؛ ليتفاعل الإنسان معها على أنها أشخاص حية، وليست معاني ذهنية مجردة، فيكون لها كثير أثر في النفس^(٤).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآيات إلى السياق: لا تزال الآيات تتحدث عن قصة ضيوف إبراهيم، وهم الملائكة الذين مروا عليه وهم بطريقهم لإهلاك قوم لوط، وكانت قرى لوط بنواحي الشام، وإبراهيم ببلاد فلسطين، فلما أنزل الله الملائكة بعذاب قوم لوط، مروا بإبراهيم ونزلوا عنده، وبشروه بالبشارة السارة بولادة غلام له، وكان من تعجب امرأته من ذلك، فقاموا بطمأننتها وأخبروها بمنزلتهم، أنهم من آل بيت مبارك ومرحوم، وعندما ذهب الخوف عن إبراهيم أصبح يجادل الملائكة عن رفع العذاب الذي سينزلونه بقوم لوط ﷻ فناسب أن تبلغ الملائكة إبراهيم ﷻ الكف والإعراض عن السؤال في حال قوم لوط، لأن الله ﷻ قضى بهلاكهم فلا راد لذلك^(٥).

٢- فاصلة الآية: ﴿ وَانَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرٌ مَرْدُودٍ ﴾، عندما سمع إبراهيم من الملائكة أن قوم لوط سوف يصيبهم العذاب بدأ يحاور ويجادل ليستدرك ذلك العذاب قبل أن يقع، ناسبت فاصلة الآية أن تختم، بإخبار إبراهيم ﷻ أن ذلك من قضاء الله ﷻ الواقع فلا تجهد نفسك بطلب غير ذلك، لأن الأمر قد قضى ولا يمكن رده.

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٨٠).

(٢) انظر: تفسير المنار (١٢/ ١٠٩).

(٣) انظر: تفسير المنار (١٢/ ١٠٩).

(٤) انظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن (ص: ١٢٩).

(٥) انظر: صفوة التفاسير (٢/ ٢٢).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

يخبر تعالى عن إبراهيم عليه السلام فلما ذهب الخوف الذي أوجسه في نفسه من رسلنا، حين رأى أيديهم لا تصل إلى طعامه، وأمن أن يكون قُصِدَ في نفسه وأهله بسوء فجاءته البشرية بإسحاق، عكف على جدال الملائكة برفع العذاب عن قوم لوط عليه السلام، ذلكم خشية أن يقع العذاب بلوط ومن آمن معه، فوصف الله تعالى إبراهيم بصفات كان تميز هذا النبي، وهي كثرة الثناء على الله تعالى وكثرة حرصه على مصالح الناس، وكثرة ذكره وعدته لله تعالى، فأخبرته الملائكة أن لا يلح في الطلب والجدال، لأن أمر الله تعالى جاء مواعده فلا راد لقضائه، فقد قضى الله عليهم بالعذاب في هذه الدنيا قبل الآخرة^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- يجوز تأخير البيان إلى وقت الحاجة، لأن الملائكة أخبرت إبراهيم أنها تهلك قوم لوط، ولم تبين الناجين منهم، ومع ذلك إبراهيم عليه السلام جادلهم^(٢).
- ٢- المجادلة التي يرجى منها خير المصلحة سواء للشخص نفسه أو لغيره ممدوحة، بدليل إيراد المدح العظيم عقبه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾^(٣).
- ٣- على كل داعية أن يكون له قدوة وأسوة حسنة في الرسل، فهذا إبراهيم عليه السلام به من رقة قلب وفرط رحمة وسعة حلم حملته على المجادلة، التي كان المراد منها سعي إبراهيم في تأخير العذاب عن قوم لوط، رجاء إقدامهم على الإيمان والتوبة من المعاصي^(٤).
- ٤- قضاء الله تعالى نافذ لا يرد، فلا تنفع شفاعة الشافعين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ [نوح: ٤].
- ٥- الأنبياء كعامة البشر يعترهم كل ما يعترى كافة الناس، يخافون كما يخاف الناس، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ [إبراهيم: ١١].
- ٦- إذا رأى الإنسان من أخيه صفات حميدة، يجوز له أن يظهرها على الناس، بل أن يمدحه بها أمام كافة الناس، فقد مدح الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام بما قاله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾.

(١) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥ / ٣٩٠).

(٢) انظر: أحكام القرآن للكمي الهراسي (٤ / ٢٢٦).

(٣) انظر: تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٦ / ١١٧).

(٤) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١١١).

٧- أن حصول الولد المخصص بالفضل نعمة، وهلاك العاصي نعمة، لأن البشري قد فسرت بولادة إسحاق، كما ورد في آخر الآية، قوله: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾، وفسرت بهلاك قوم لوط وهي: ﴿وَأَنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرٌ مَّرْدُودٍ﴾^(١).

٨- استحباب نزول المبشّر على المبشّر، لأن الملائكة أرسلهم الله ﷻ بذلك إلى إبراهيم ﷺ.

٩- يستحب للمبشّر تلقي ذلك بالطاعة، شكرًا لله ﷻ على ما بشر به.

وقد روى النسائي بسنده عن عمرو بن يزيد قال: عن عبد الله قال: قلت: يا رسول الله ﷺ

قتل أبو جهل قال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ، وَأَعَزَّ دِينَهُ)^(٢).

(١) انظر: تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٦/ ١١٧).

(٢) السنن الكبرى للنسائي، كتاب: السير، باب البشارة، رقم ٨٦١٧، (٨/ ٥٠).

المبحث الثاني

قوم لوط عليه السلام يريدون ضيفه بسوء

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٧٧-٨١)

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: نزول الملائكة لعقاب قوم لوط عليه السلام.
- المطلب الثاني: دعوة لوط عليه السلام لقومه الزواج من بنات قومه.
- المطلب الثالث: إصرار قوم لوط عليه السلام إتيان ضيوفه بسوء.

المبحث الثاني

قوم لوط عليه السلام يريدون ضيفه بسوء

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٧٧-٨١)

انتقلت الملائكة من إبراهيم عليه السلام إلى ابن أخيه لوط عليه السلام وما أن علم بذلك حتى ضاقت عليه الدنيا بما رحبت، لعلمه أن قومه يأتون الذكران؛ عندما رأتهم امرأته ذهبت إلى القوم تخبرهم بضيوف زوجها عليه السلام، حتى أتوا مسرعين قاصدين الضيوف، طلب منهم لوط الا يؤذوه في ضيفه، كما أرشدهم للتزوج بالحلال من بنات أهل القرية، فردوا عليه؛ أن حاجتهم في الرجال وليس في البنات. عندئذ تمنى لوط عليه السلام لو أنه يملك من القوة أو له سند وعون يعينوه على صدهم.

المطلب الأول: نزول الملائكة لعقاب قوم لوط عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود: ٧٧].

أولاً: معاني المفردات:

- ١- سيء: والسوء - مصدر ساء يسوء، ويراد به السيئ، ويستعمل في كل ما يقبح - كأعوذ بالله تعالى من سوء الخلق وسوء العذاب أظعه وأشدّه بالنسبة إلى سائره^(١).
- ٢- ذَرْعًا: (زرع) الذال والراء والعين أصل واحد يدل على امتداد وتحرك إلى قدم، ثم ترجع الفروع إلى هذا الأصل. فالذراع ذراع الإنسان، معروفة. والزرع: مصدر زرعت الثوب والحائط وغيره. ثم يقال: ضاق بهذا الأمر ذرعا، إذا تكلف أكثر مما يطيق فعجز، مصدر سماعي لفعل ذرع يذرع باب فتح بمعنى قاس بالذراع، وهو كناية والذرع كناية عن الوسع^(٢).
- ٣- عَصِيبٌ: شديد الهول والفرع في الشر خاصة أو شديد الحرّ، ويجوز فيه التذكير والتأنيث، يومٌ عصيبٌ، وليلةٌ عصيبٌ أي شديد^(٣).

(١) انظر: تفسير الألويسي = روح المعاني (١/ ٢٥٥).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٣٥٠)، الجدول في إعراب القرآن (١٢/ ٣٢٢).

(٣) انظر: جمهرة اللغة (١/ ٣٤٨)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٧/ ٤٥٧٣)، الجرائم (١/ ٤٦٢).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ هؤلاء الرسل هم الذين كانوا عند إبراهيم جاءوا لوطاً دل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠]^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾ كناية عن نفاذ الوسع والطاقة، عبّر لوط عليه السلام عن محاولة حماية الضيوف مما يريد قومه، أي عجز عن احتمال ضيافتهم، لأن إسناد الضيق إلى صاحب الذرع أنسب في المعنى المجازي^(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾، قاله في نفسه كما يناجي المرء نفسه إذا اشتد أو حزم عليه أمر^(٣).

٣- في الآية إيجاز قرآني بديع دل عليه السياق والتقدير: ففارقوا إبراهيم عليه السلام وذهبوا إلى لوط عليه السلام فلما جاءوا لوطاً عليه السلام كما جاءوا إبراهيم عليه السلام في صورة البشر، فظنهم ناساً وخشي أن يعتدي عليهم قومه بعادتهم الشنيعة، فلذلك سيء بهم^(٤).

٤- قوله تعالى: ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾ الضمير عائد للقوم أي سيء بقومه لما علم من عظيم البلاء النازل بهم^(٥).

٥- قوله تعالى: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ﴾ جملة معطوفة على ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾، كرر الضمير ﴿بِهِمْ﴾ لتأكيد الكلام فتؤكد الفعلين واتصالهما المستفاد من ﴿وَلَمَّا﴾ حتى كأنهما وجداً في جزء واحد من الزمان فكأنه قيل: لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير انتظار^(٦).

٦- ذكر الزمخشري: أن مساءة لوط وضيق ذرعه كانت لأنه حسب أنهم إنس، فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم^(٧).

ثالثاً: المناسبات:

وتتصل أحداث قصة إبراهيم عليه السلام، بأحداث وقصة لوط عليه السلام، وينتقل المشهد من بين يدي إبراهيم عليه السلام إلى يدي لوط عليه السلام، وإذا هو وجهاً لوجه مع الرسل الذين يحملون الهلاك إلى قومه.

(١) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٤٤٦).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٨٠٩)، لطائف قرآنية للشيخ محمود غريب (ص: ١١٣)، التحرير والتنوير (١٢/ ١٢٤).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٢٥).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٢٥).

(٥) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (١٠/ ٣٦٠).

(٦) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (١٠/ ٣٦٠).

(٧) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤١٣).

وكما كان لقاء الملائكة لإبراهيم عليه السلام مفاجئاً، أثار في نفسه ريبة، وأوقع في قلبه خوفاً، كذلك كان لقاءهم للوط عليه السلام، لقاء مباغته له، ولكنه لم يلتفت إلى هؤلاء الوافدين عليه إلا من جهة واحدة، كانت هي همّه، ومبعث خوفه وقلقه، وهي أن يحمي هؤلاء الضيوف من عدوان قومه عليهم، وفضحه فيهم، فقد طلع عليه الملائكة في صورة سويّة من صور البشر، فيهم الشباب، والنضارة، والجمال، وتلك هي مغريات قومه بهم، وإنه ليرى عن غيب ما سيكون من قومه، إذا هم رأوا هؤلاء الضيوف الذين نزلوا بساحته^(١).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

ولما جاءت الملائكة لوطاً عليه السلام، ساءه مجيئهم، وضاقت نفسه غما بمجيئهم. وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسلُ الله في حال ما ساءه مجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف عليهم، فضاقت من أجل ذلك بمجيئهم ذرعاً، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه، ولذلك قال: هذا يوم عصيب أشار به إلى ما كان يتخوفه من تعدي قومه على أضيافه واحتياجه إلى المدافعة مع ضعفه عنها^(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- عادة الله تعالى فيمن انقطع إليه، وعلم أنه لا كاشف لهمه غيره أنه سينجيّه ويكشف عنه غمه وكذلك حكى تعالى عن لوط عليه السلام في معرض حديثه عن هذه القصة^(٣).
- ٢- إن المؤمن يغار على حرّامات الله تعالى، ويستتبق وقوع الحوادث استعداداً للبلاد قبل نزوله، لذا استاء لوط عليه السلام من مجيء وفد الملائكة، لعلمه ما بحال قومه^(٤).
- ٣- في الآية دليل جواز الاجتهاد؛ لأنه قال: ﴿ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ فظيع، فبعد لم يظهر له شدته لكنه قاله اجتهاداً، والله أعلم^(٥).
- ٤- الحق تعالى يعطي للناس فسحة من الأجل، حتى يتوب ويرجع إلى الله تعالى من أخطأ أو قصر، لكن كل شيء عنده إلى أجل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ [توح: ٤].

(١) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (١٠ / ٣٦٠)، التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١١٧٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥ / ٤٠٧)، تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣ / ١٩٣).

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص ت قماوي (٤ / ٣٧٠).

(٤) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١١٧).

(٥) انظر: تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٦ / ١٥٩).

٥- إن من ضخامة الموقف وعظم المعصية التي كان يفترفها هؤلاء القوم، استخدم الحق ﷻ عبارات لم تكرر في أي موقف آخر وهما قوله تعالى: ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ﴾، وكذلك ﴿ سِيءَ بِهِمْ ﴾، كأن الحق ﷻ يحذر الناس بأقصى أنواع التحذير من عمل هؤلاء القوم^(١).

٦- المضيف يهتم بالمضيف ليوفر له الراحة التامة حتى لا يدع أحداً يعكر صفوه، مستخدماً في ذلك كل ما أوتي من قوى أو صلاحيات يستطيع بها توفير سبل الراحة.

المطلب الثاني: دعوة لوط عليه السلام لقومه الزواج من بنات قومه.

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ [هود: ٧٨].

أولاً: معاني المفردات:

١- يُهْرَعُونَ: هُرِعَ يُهْرَعُ، هَرَعًا، والمفعول مَهْرُوعٌ.
• هُرِعَ اللَّصُّ: أسرع أو عدا في اضطراب، أسرع وهروا ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾، الإهراع الإسراع مع رعدة يقال أهرع الرجل إهراعاً أي أسرع في رعدة من برد أو حمى أو فزع، أو غضب^(٢).

٢- تُخْزُونَ: خَزِيَ من يَخْزِي، أَخْزَى، خَزَايَةً وَخَزَى، فهو خزيان/خزيان، والمفعول مَخْزِيٌّ منه
• خزي الرجل/ خزي الرجل من نفسه: استحياء، خجل منها "خزي لفلته القبيحة"،
أصل الخزي ذل يستحي منه، ولذلك يستعمل في كل منهما أي الذل والاستحياء^(٣).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ ﴾ أسند المجيء إلى القوم لأن مثل ذلك المجيء دأبهم وقد تمالؤوا على مثله، فإذا جاء بعضهم فسيعقبه مجيء بعض آخر في وقت آخر. وهذا من إسناد الفعل إلى القبيلة إذا فعله بعضها^(٤).

(١) انظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ص: ٤٤٤)، بيان المعاني (٣/ ١٤٠).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٣٤٣).

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٦٤٠)، تاج العروس (٣٧/ ٥٤٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٢٦).

٢- قوله تعالى: ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ جاءت بصيغة الجمع للدلالة على أنه منكر غليظ مركّب، وأنه ليس سيئة، بل هو سيئات، وليس منكرًا، بل هو منكرات! (١).

٣- قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ وقد طوى القرآن الكريم ذكر الغرض الذي جاؤوا لأجله مع الإشارة إليه بقوله: ﴿وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ فقد صارت لهم دأبا لا يسعون إلا لأجله (٢).

٤- ذكر الطبري سبب إسراع قوم لوط عليه السلام إلى ضيفه برواية "عن ابن إسحاق، قال: لما جاءت الرسل لوطاً أقبل قومه إليهم حين أخبروا بهم يهرعون إليه. فيزعمون، والله أعلم، أن امرأة لوط عليه السلام هي التي أخبرتهم بمكانهم، وقالت: إن عند لوط عليه السلام لضيافنا، ما رأيت أحسن ولا أجمل قط منهم! وكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، فاحشة، لم يسبقهم بها أحد من العالمين. فلما جاؤوه قالوا: ألم نقل لك: لا يقربنك أحد، فإننا لن نجد عندك أحداً إلا فعلنا به الفاحشة؟ قال: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، فأنا أفدي ضيفي منكم بهن، ولم يدعهم إلا إلى الحلال من النكاح (٣).

٤- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾ افتتاح الكلام بالنداء وبأنهم قومه ترفيق لنفوسهم عليه، لأنه يعلم تصلبهم في عادتهم الفظيعة (٤).

٥- قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ اسم الإشارة وبناتي التي هي بدل من اسم الإشارة، استخدم في العرض، والتقدير: فخذوهن (٥).

٦- قوله تعالى: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ الجملة تعليل للعرض السابق قوله: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ بمعنى أنهن حلال لكم يحلن بينكم وبين الفاحشة (٦).

٧- قوله تعالى: ﴿أَطْهَرُ﴾ اسم تفضيل مسلوب منه المفاضلة قصد به قوة الطهارة.

٨- قوله تعالى: ﴿بَنَاتِي﴾ روى الطبري عن مجاهد قال: (لم تكن بناته، ولكن كنن من أمته، وكل نبي أبو أمته) (٧).

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦/ ١١٧٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٧٥).

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٤١٥).

(٤) انظر: تفسير الألويسي = روح المعاني (١٠/ ٣٦٠).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٢٦).

(٦) انظر: تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٦/ ١٥٩).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤١٤).

٩- قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ الاستفهام في الجملة هو إنكار وتوبيخ لأن إهانة الضيف مسبة لا يفعلها إلا أهل السفاهة، وقال ذلك تعجباً من اجتماعهم على المنكر. وفي هذا إغراء لهم على التعقل ليظهر فيهم من يتقطن إلى فساد ما هم فيه فينهاهم^(١).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآية للسياق: ما زلنا في أحداث قصة لوط عليه السلام مع قومه، بعد أن وصل الملائكة إلى لوط على هيئة إنس وكان بهم ما بهم من الجمال والحسن والنضارة، ولوط عليه السلام يعلم ما سيعمل قومه مع هؤلاء، فكان في حيرة من أمره خشية أن يعلم قومه بمجيبهم، فيعتدي قومه عليهم، وفعلاً ما إن علم قومه بقدوم هؤلاء الضيوف على لوط عليه السلام حتى جاءوا إليه، طالبين الضيف من لوط، وقد كان صنيعهم إتيان الذكور من الرجال، فأراد لوط عليه السلام أن يثنيهم عن ضيفه، فعرض عليهم بناته للزواج، وذكرهم من عاقبة أعمالهم، كذلك ذكرهم بتقوى الله تعالى، حتى وصل به الأمر أن يناشد فيهم نخوة الرجولة والرشد^(٢).

٢- فاصلة الآية: ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾، عندما جاء قوم لوط عليه السلام مسرعين إلى لوط عليه السلام، وقد كانت من قبيح صنيعهم إتيان الذكور دون الإناث، وبعد العروض التي عرضها عليهم لوط عليه السلام من زواجه لبناته أي بنات قريته-على الرأي الراجح-ومن تذكيرهم بعاقبة عملهم هذا، كذلك فعلهم هذا فيه خزي لهم ولنبههم على وجه الخصوص، ناسب أن تختتم هذه الآية نفي صفة الرشد عن كل من يصنع مثل هذا الصنيع^(٣).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

جاء قوم لوط عليه السلام عندما سمعوا بالضيوف و قدومهم جاءوا يهرولون مسرعين مدفوعين بدوافع نفسية شيطانية، فقد كانوا يعملون السيئات من قبل، فالسوء والاعتداء، وإتيان الرجال شهوة من دون النساء غريزة فيهم مستحكمة ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٢٩] قال لوط عليه السلام: يا قوم هؤلاء بناتي لصلبي أو بنات القوم جميعاً من نيبات وأبكار تحت طلبكم وفي مقدوركم، وهن أطهر لكم، والمراد هؤلاء تحت طلبكم فتزوجوا العذارى. وأتوا نساءكم في الحلال، ولا يعقل أن يعرض لوط عليه السلام بناته لهم للزنا فهذا لا يليق من رجل عاقل فما بالك بنبي مرسل لا يعقل هذا أبداً وقد كان في شريعتهم جواز زواج المؤمن الكافر، كما يطلب منهم بأن يجمعوا بما يأمرهم به بين تقوى الله تعالى باجتئاب الفاحشة وبين حفظ كرامته

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٢٩)، تفسير الماوردي = النكت والعيون (٢ / ٤٨٩).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٢٢٨)، تفسير القرطبي (٩ / ٧٩).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١١٥).

وعدم إذلاله وامتهانه في ضيفه، ويسألهم سؤالاً معناه التعجب والتوبيخ؛ أليس منكم رجل فيه رشد وحكمة وعقل وخير، يقبل ما أمر به ويترك ما أنهى عنه، ويهديكم إلى الطريق الأقوم؟^(١).

خامساً : تحقيق المقاصد والأهداف:

١- الإنسان الضال، بمجرد ما يجد ما تهواه نفسه، يسارع في القوم إلى ما تميل إليه هذه النفس من غير أن يلتزم بحدود أو ضوابط.

٢- الإصرار على المعصية وعدم المبالاة بسوء الأعمال؛ يورث التمادي في المعصية، وعدم الاكتراث، بعظم الذنب، حتى يصبح القلب مقفلاً، قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

٣- عبر القرآن الكريم عن المنكر الذي يتعاطاه قوم لوط عليه السلام بالوصف المناسب له، دون أن يذكر اسمه، تفرّزا له، وصيانة للأفواه أن تتلفظ به، ولأسماع أن يقع عليها^(٢).

٤- كان مجيء القوم مسرعين بقصد ارتكاب الفاحشة دليلاً مادياً محسوساً للملائكة وغيرهم على استحقاقهم العذاب الأليم والعقاب السريع. وكان سبب إسراعهم ما روي أن امرأة لوط عليه السلام الكافرة، لما رأت الأضياف وجمالهم وهينتهم، خرجت حتى أتت مجالس قومها، فقالت لهم: إن لوطاً قد أضاف الليلة فنية، ما رؤي مثلهم جمالا وكذا وكذا، فحينئذ جاؤوا يهرعون إليه^(٣).

٥- أسوأ ما في الحياة أن لا يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، مما يجعل حال الناس كحال البهائم، لأنهم على غير رشد في ضلال^(٤).

٦- من عادات الرجال الأوفياء أن يدافعوا عن أضيافهم بكل ما يملكون، كان قوم لوط عليه السلام من عاداتهم إتيان الرجال، فلما جاؤوا إلى لوط، وقصدوا أضيافه قام إليهم لوط عليه السلام مدافعاً، وقال: هؤلاء بناتي، أي أرشدهم إلى التزوج بالنساء^(٥).

٧- إظهار الرغبة في القوة لدفع الشر وإبعاد المكروه ممدوح، ذلك عند نزول المصائب والنوازل، فهذا لوط عليه السلام يظهر كل ما أوتي من قوة وحجة ومناظرة وبيان لدفع الأذى عن ضيفه^(٦).

(١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١١٥)، التفسير الواضح (٢ / ١٣٨).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١١٧٨).

(٣) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١١٨).

(٤) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٦٦).

(٥) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١١٨).

(٦) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢ / ٥٦٦).

سادساً: رأي المفسرين في معنى ﴿ هُوَ آءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطَهَرُ لَكُمْ ﴾.

١- ذكر السيوطي في كتابه^(١) عن حذيفة بن اليمان^(٢) ؓ قال: (عرض عليهم بناته تزويجا وأراد أن يقي أضيافه بتزويج بناته).

٢- وقد ذكر ابن عاشور في كتابه^(٣): أنه يحتمل معنى جعل النبي لأولاد قومه كالأب، وأزواجه كالأُم لأنهم ينسبون إليه للشفقة، فهو أشفق بهم من الأب والأُم. كذلك لحق التربية وتعليم الدين كالأب لهم؛ فهو أولى بهم من أنفسهم ، قال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦].

٣- ذكر الطبري في تفسيره عن مجاهد^(٤) قال: " لم تكن بناته، ولكن كنن من أمته، وكل نبي أبو أمته"^(٥).

٤- وقد ذكر محمود صافي في تفسيره قال^(٦): إنما قال ذلك لوط ؑ على سبيل الدفع لقومه، لا على سبيل التحقيق، وإرشادا لهم إلى طريق الصواب والزواج المحلّل.

٥- ذكر السيوطي في كتابه: أن قوم لوطاً ؑ غشوا دار لوط ؑ من كل ناحية وتسوروا عليهم الجدران فلقاهم لوط فقال: يا قوم لا تفضحوني في بيتي وأنا أزوجه بناتي فهن أظهر لكم^(٧).

(١) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٤٥٨).

(٢) حذيفة بن اليمان وهو ابن حسل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن اليمان. يكنى أبا عبد الله، مهاجري، هاجر هو وأبوه إلى النبي ﷺ فخيرته بين الهجرة والنصرة، فاختر النصر، شهد أحداً، واستشهد أبوه بأحد، أخطأ به المسلمون فقتلوه، فتصدق بدم أبيه وديته على المسلمين، سكن الكوفة وتوفي سنة ست وثلاثين بالمدين، بعد قتل عثمان ؓ بأربعين يوماً بقليل، وتيراً إلى الله ﷻ من قتل عثمان، ومن قتلته، كان يسأل النبي ﷺ عن الشر ليجتنبه، لعلمه بأن الخير لا يفوته، صاحب السر أعلمه رسول الله ﷺ المنافقين بأسمائهم وأعيانهم، روى عنه عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/ ٦٨٦).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٢٨).

(٤) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ واستقر في الكوفة. أما كتابه في " التفسير " فينقيه المفسرون، وسئل الأعمش عن ذلك، فقال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب، يعني النصارى واليهود. ويقال: أنه مات وهو ساجد، (٢١ هـ - ١٠٤ هـ)، الأعلام للزركلي (٥/ ٢٧٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٥/ ٤١٤).

(٦) انظر: الجدول في إعراب القرآن (١٢/ ٣٢٣).

(٧) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٤٥٠).

٦- ذكر الماتريدي في تفسيره^(١): قال هذا ليريهم قبح الفعل الذي كانوا يقصدون بأضيافه؛ لأن الزنا كان عندهم محرماً فعرض عليهم بناته؛ ليعرفوا قبح ذلك الفعل؛ حيث احتمل فعله في بناته ولم يحتمل في أضيافه؛ ليمتنعوا عن ذلك.

٧- ذكر الماوردي في تفسيره أن ذلك على رأيين^(٢):

أ- أنه يزوجه على شرط الإيمان كما هو مشروط بعقد النكاح.

ب- أنه قال ذلك ترغيباً في الحلال وتنبهياً على المباح ودفعاً للبادرة من غير بذل نكاحهن ولا بخطبتهن.

ويرى الباحث مع كثرة ما ورد من تفسير لهذا القول، فكلها للذب والذود عن لوط عليه السلام، ونحن نقول أيضاً إن هذا النبي الكريم لا يكون منه أن يعرض بناته على أقوام بالدرجة الأولى كفره، ومن ثم أفعالهم لا يفعلها إنسان سوي له أدنى مقومات المروءة، لذلك بقي أن نقول إن هذا النبي كان في حال كرب وشدة من صنيع قومه وما يريدون أن يفعلوا بضيوفه فحاول بكل ما أوتي من بلاغة وقوة وحجة وحسن بيان أن يثنيهم على ما هم عازمون عليه، فقال لهم ذلك وهو واثق أنهم لن يرضوا بما قال، لكنه هذا أغلى ما يملك، والله أعلم.

المطلب الثالث: إصرار قوم لوط عليه السلام إتيان ضيوفه بسوء.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَانْتُمْ لَتَعْلَمُنَّ مَا نُرِيدُ * قَالَ لَوْ أَنْ لِي بِكُمْ

قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٧٩ - ٨٠].

أولاً: معاني المفردات:

١- آوي: (أوى) الهمزة والواو والياء أصلان: أحدهما التجمع، والثاني الإشفاق. قال الخليل: يقال: أوى الرجل إلى منزله وآوى غيره أوىا وإيواء. ويقال: أوى إواء أيضاً. والأوى أحسن. قال الله تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾ [الكهف: ١٠]^(٣).

٢- رُكْنٍ: الرء والكاف والنون أصل واحد يدل على قوة. فركن الشيء: جانبه الأقوى. وهو يأوي إلى ركن شديد، أي عز ومنعة. ومن الباب ركنت إليه أركن. وهي كلمة نادرة على فعلت أفعال.

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٦ / ١٦١).

(٢) انظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون (٢ / ٤٨٨).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (١ / ١٥١).

وفلان ركين، أي وقور ثابت. ويقال: جبل ركين، أي له أركان عالية، ركن الإنسان: قوته وشدته؛ وكذلك ركن الجبل والقصر، وهو جانبه، وركن الرجل: قومه وعدده ومادته؛ وبه فسرت هذه الآية^(١).
ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ بالغوا في جوابهم إلى لوط عليه السلام مقسمين بلام القسم يقينا ما لنا في بناتك من ميل وحظ بل إنما عرضت بناتك علينا لنترك ضيوفك^(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ بدأوا بتأكيد إعلام النفي بقولهم ﴿مَا لَنَا﴾، ثم أغرقوا في النفي بقولهم: ﴿مِنْ حَقٍّ﴾، أي حاجة ثابتة، ولم يريدوا به ضد الباطل، لأن البنات والضياف في نفي حقهم عنهم سواء وقد جاء إنكارهم هذا في صورة فريدة من الدناءة والخسة والتجرد من الحياء^(٣).

وقد ذكر ابن عاشور في ذلك: "والحق: ما يحق، أي يجب لأحد أو عليه، فيقال: له حق في كذا، إذا كان مستحقاً له، ويقال: ما له حق في كذا، بمعنى لا يستحقه، فالظاهر أنه أطلق هنا كناية عن عدم التعلق بالشيء وعن التجافي عنه. وهو إطلاق لم أر مثله، وقد تحير المفسرون في تقريره"^(٤).

٣- قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ استشهدوا بعلمه بذلك يعنون علمه أن لا سبيل إلى المناكحة بينهم وبينه^(٥).

٤- قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ جواب لو محذوف، والتقدير: لدافعتكم عنهم ومنعتكم منهم، وهذا منه عليه السلام على طريق التمني: أي: لو وجدت معيناً وناصر^(٦).

٥- قوله تعالى: ﴿أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾، سمي موجب القوة بالقوة نفسها، وهذا جائز ونظيره في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] والمراد بالقوة هنا السلاح^(٧).

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٣٠)، تاج العروس (٣٥/ ١٠٩).

(٢) انظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤١٥).

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ٣٤١).

(٤) التحرير والتنوير (١٢/ ١٣٠).

(٥) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٢٢٨).

(٦) انظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤١٤).

(٧) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨/ ٣٨٠).

٦- قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ ﴾ الباء في بكم للاستعلاء، أي عليكم. يقال: ما لي به قوة وما لي به طاقة. وتعنى: ليت لي قوة أدفعكم بها، ويريد بذلك قوة أنصار، لأنه كان غريباً بينهم. ومثله قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] (١).

٧- قوله تعالى: ﴿ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ عطفة هذه الجملة على جملة ﴿ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ ﴾ لما فيه من معنى الفعل، والتقدير: لو قويت على دفعكم أو آويت إلى ركن شديد (٢).

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (نَحْنُ أَحَقُّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تَحْيَى الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تَوْمَنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي وَيَرْحَمَ اللَّهُ لَوْطًا كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثْتُ يُوسُفَ لِأَجَبْتُ الدَّاعِيَ) (٣).

٨- قوله تعالى: ﴿ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ شبه القوى العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته، أو آويت إلى قوى أستند إليه وأتمنع به فيحمني منكم، ولذلك قالت الملائكة - وقد وجدت عليه -: إِنَّ رُكْنَكَ لَشَدِيدٌ (٤).

٩- قوله تعالى: ﴿ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ قد عُلِمَ من ذلك أنه تبرأ من الحول والقوة من قبل نفسه ومن قبل المخلوقين وعلم أنه لا يقدر على كشف ما هو فيه إلا الله ﷻ (٥).

ثالثاً: المناسبات:

بعد أن علم قوم لوط ﷻ بقدوم الضيوف عليه وسارعوا قاصدين هؤلاء الضيوف لفعل الفاحشة التي عرّفوا بها، عرض عليهم أن يتزوجوا بناته، وذكرهم بعقاب الله ﷻ ثم انتقل بتذكيرهم بأن للضيوف آداباً وحقوقاً، وفعلهم هذا فيه خزي ومذلة للمضيف، ثم انتقل يخاطب فيهم النخوة والرجولة والرشد، لكن يبذروا كل ذلك دون جدوى، أجابوا على كل عروضه التي عرضها بالإنتكار، بل أرادوا منه أن يكون شاهداً على أنه يعلم؛ بأنهم يقصدون الرجال دون النساء، بما في ذلك بناته، فليس لهم فيهن حاجة، وهذا تأكيد منهم على إتيان الذكران دون الإناث، ومع كل ما سبق لا يسع لوط ﷻ إلا أن يظهر لهم عدم رضاه وغبه من صنيعهم، وتمنيه لو كان له سند وظهر يقوى به على منعهم من فعلهم المشئوم (٦).

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٣٠).

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (٢ / ٥٨٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قوله ﷺ ﴿ وَنَبَّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ { [الحجر: ٥١، ٥٢]، رقم: ٣٣٧٢، (٤ / ١٤٧).

(٤) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ٤١٥).

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٤ / ٣٧٠).

(٦) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٥٧٧).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

لما اتخذوا إتيان الذكران مذهباً وديناً لتواطئهم عليه، بل تعاونوا على فعله، حيث أبلغوا بعضهم بعضاً عن قدوم ضيف لوط عليه السلام إليه، كان عندهم أن صنيعهم هذا هو الحق، وأن نكاح الإناث من الباطل، فلذلك قالوا: ليس لنا في زواج بناتك من حق قط، لأن نكاح الإناث أمر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه. ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعة، والغرض نفي الشبهة بقولهم ﴿لَتَعْلَمَ مَا نُرِيدُ﴾ عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة. قال لوط عليه السلام لقومه حين أبوا إلا المضي لما قد جاؤوا له من طلب الفاحشة، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شيء مما عرض عليهم: تمنى لو أن عنده قوة أو أنصاراً ينصرونه عليهم، وأعاوناً تعينه، أو ينضم إلى عشيرة مانعة تمنعنه منهم، لحلت بينهم وبين ما جاءوا يريدونه منه في أضيافه^(١).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- يجب اللجوء إلى الله تعالى في السراء والضراء، لأنه هو الركن المتين، القوي الأمين، الذي من توكل عليه حق التوكل لن يضيعه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].
٢- من لم يكن له قدرة على الدفع يجب عليه أن يلجأ إلى التحصن بحصن ليأمن من شر خصمه بواسطة هذا الحصن^(٢).

٣- من ألف الفساد والفحش بعد عن الصلاح والطهر، لذا قال قوم لوط عليهم السلام: ليس لنا إلى بناتك رغبة ولا هن نقصد، ولا لنا عادة نطلب ذلك، فإن نكاح الإناث أمر خارج عن مذهبنا أو طريقنا الذي نحن عليه، ولا حاجة لنا بالبنات^(٣).

٤- حال الرجل الحر الذي يحافظ على دينه كحال لوط عليه السلام لم يجد سبيلاً للردع والإرهاب إلا التهديد وإظهار الغضب والضجر من موقف قومه، واستمرارهم في غيهم، وضعفه عنهم وعجزه عن دفعهم، فتمنى لو وجد عوناً على ردهم^(٤).

٥- المؤمن غيور على دينه لا يروق له بال، وحرمات الله تعالى تنتهك فقد كان لوط عليه السلام في غاية القلق والحزن بسبب إقدام أولئك الأوباش على ما يوجب الفضيحة في حق ضيوفه^(٥).

(١) انظر: تفسير الطبري (٤١٨ / ١٥)، تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤١٤ / ٢).

(٢) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٨٠ / ١٨).

(٣) انظر: التفسير المنير (١١٩ / ١٢).

(٤) انظر: التفسير المنير (١١٩ / ١٢).

(٥) انظر: في ظلال القرآن (١٩١٤ / ٤).

٦- ينبغي على المؤمن أن يقطع كل مشاعره نحو الالتفات إلى تلك القرية ومن فيها، إشارة إلى أنها دار إثم، ومبءة فسق، فلا يتبعها بصره، ولا يلقى عليها نظرة وهكذا ينبغي أن يكون شأن المؤمن مع كل منكر^(١).

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦/ ١١٨١).

المبحث الثالث

هلاك قوم لوط عليه السلام وزوجته

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٨١ - ٨٣)

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: نجات لوط عليه السلام وأهله، وإهلاك زوجته وقومه.
- المطلب الثاني: إهلاك قوم لوط عليه السلام بقلب قراهم عاليها سافلها.
- المطلب الثالث: الرجم حد من ارتكب جريمة اللواط.

المبحث الثالث

هلاك قوم لوط عليه السلام وزوجته

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٨١ - ٨٣)

لما ضاق الأمر وبلغ الكرب أشده، كشف الرسل عن حقيقة أمرهم أنهم ملائكة، فأمره أن يسر بأهله بجزء من الليل، وأوصوه بأن لا يلتفت منهم أحد؛ لأن موعد هلاك القوم هو الصبح، وقد أبلغوه بأن امرأته منهم؛ فسوف يصيبها ما أصاب القوم، وعندما جاء موعد هلاكهم، جعل الله تعالى الأرض عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من السماء حتى لم يبق أحد منهم إلا هلك.

المطلب الأول: نجاة لوط عليه السلام وأهله، وإهلاك زوجته وقومه.

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١].

أولاً: معاني المفردات:

١- **فَأَسْرَ:** أسر/يأسره أسرا: شده بالإسار، وهو القد. ومنه سمي الأسير، وكانوا يشدون به بالقد، فسمي كل أخيد أسيرا وإن لم يشد به. يقال: أسرت الرجل أسرا وإسارا، فهو أسيرا ومأسور، والجمع أسرى وأسارى. وتقول: استأسر، أي كن أسيرا لي. السرى: سير الليل. ومعنى هجّنا: نوّنا. يقال: سرى الرجل، وأسرى: إذا سار بالليل. قال الله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾، وجاء أيضاً: أسَرَ يأسِر، أسراً وإساراً، فهو أسِر، والمفعول مأسور وأسير^(١).

٢- **بِقِطْعٍ:** القاف والطاء والعين أصل صحيح واحد، يدل على صرم وإبانة شيء من شيء. يقال: قطعت الشيء أقطعه قطعاً. والقطيعة: الهجران. يقال: تقاطع الرجلان، إذا تصارما. وبعثت فلانة إلى فلانة بأقطوعة، وهي شيء تبعثه إليها علامة للصرامة. والقطع، بكسر القاف، الطائفة من الليل، كأنه قطعة، ومنه لبن (قاطع) أي حامض. و (الأقطع) المقطوع اليد والجمع (قطعان) مثل

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١ / ٩١)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢ / ٥٧٨)، الزاهر في معاني كلمات الناس (٢ / ٦٧).

أسود وسودان. و (القطع) ظلمة آخر الليل ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ﴾ [هود: ٨١]^(١).

٣- يَلْتَفِتُ: (لفته يلفته) لفتا: (لواه) على غير جهته.

اللفت: لَيُّ الشَّيْءِ عَنْ جِهَتِهِ، كَمَا تَقْبِضُ عَلَى عُنُقِ إِنْسَانٍ فَتَلْفِتُهُ. يقال: لفته عن الشيء يلفته لفتا: كقوله تعالى: عز وجل: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [يونس: ٧٨]، ومن المجاز: لفته (عن رأيه): صرفه، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه، قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَتَكَ ﴾ أمر بترك الالتفات؛ لئلا يرى عظيم العذاب بهم^(٢).

٤- مَوْعِدُهُمْ: (الوعد) يستعمل في الخير والشر، يقال: (وَعَدَ) (يَعِدُ) بالكسر (وعدا). قال الفراء: يقال: (وعدته) خيرا ووعدته شرا فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير: (الوعد) و (العدة) وفي الشر (الإيعاد) و (الوعيد) والموعد يكون مصدرا ووقتا وموضعا، الموعد: وقت الوعد. والوعد أعم من الوعيد فيطلق على تعيين الشر في المستقبل^(٣).

ثانياً: وجوه البلاغة:

- ١- قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ﴾، هذا كلام الملائكة للوط عليه السلام كاشفوه بأنهم ملائكة مرسلون من الله^(٤).
- ٢- قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾، ابتدأ الملائكة خطابهم لوطا عليه السلام بالتعريف بأنفسهم لتعجيل الطمأنينة إلى نفسه لأنه إذا علم أنهم ملائكة علم أنهم ما نزلوا إلا لإظهار الحق. قال تعالى: ﴿ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾ [الحجر: ٨].
- ٣- قوله تعالى: ﴿ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾، تتضمن هذه الجملة بشارة ألحقت بتعريف الملائكة بأنفسهم للوط عليه السلام، كما جيء بحرف تأكيد النفي للدلالة على أنهم خاطبوه بما يزيل الشك من نفسه^(٥).
- ٤- قوله تعالى: ﴿ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾، الله تعالى لم يُزل عن الملائكة التشكيل بالأجساد البشرية، ولو أخفاهم عن عيون الكفار لحسبوا أن لوطا عليه السلام أخفاهم فكانوا يؤذون لوطا عليه السلام، فإنهم لما أعلموا لوطا عليه السلام بأنهم ملائكة ما كان يشك في أن الكفار لا ينالونهم، فقد قال له الملائكة لن يصلوا إليك ولم يقولوا لن ينالوا، لأن ذلك معلوم عندهم من علم الله لهم^(٦).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ١٠١)، مختار الصحاح (ص: ٢٥٦).

(٢) انظر: تاج العروس (٥/ ٧٨).

(٣) انظر: مختار الصحاح (ص: ٣٤٢)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٦٦٥).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٣٣).

(٥) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٢٢٩).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٣٣).

هذه الجملة مبيّنة للإجمال الواقع في جملة ﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾ ، فلذلك فصلت فلم تعطف لأنها بمنزلة عطف البيان.

٥- قوله تعالى: ﴿ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ﴾ عَيْنُ اللَّيْلِ للخروج حتى لا يلاقي ممانعة من قومه أو من زوجه فيشق عليه دفاعهم.

٦- قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ ﴾ أن النهي إنما قصد به لوط عليه السلام وحده ، والجملة معترضة بين المستثنى والمستثنى منه. والالتفات المنهي عنه هو الالتفات إلى المكان المأمور بمغادرته كما دلت عليه القرينة، و(الالتفات) منفي عنهم بالمعنى، أي لا تدع أحداً منهم يلتفت، وهذا كما تقول لرجل: لا يقم من هؤلاء أحد إلا زيد، وأولئك لم يسمعوك، فالمعنى: لا تدع أحداً من هؤلاء يقوم والقيام بالمعنى منفي عن المشار إليهم^(١).

٧- قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكُمْ ﴾ نهاهم عليهم السلام عن الالتفات فامتلوا ولم تمتثل امرأته للنهي فالتفتت، وعلى هذا الوجه فالاستثناء من كلام مقدر دل عليه النهي. والتقدير: فلا يلتفتون إلا امرأتك قالوا إنما نهاهم لئلا ترق قلوبهم على المعذبين حين ينزل بهم العذاب فيرتاعون لمشاهدته ويدهشون لشدة هول^(٢).

٨- قوله تعالى: ﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ والمعنى: لن يصلوا إليك وإلى المؤمنين من أهلك، قيد ذلك في قوله: ﴿ فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾. بأن أمره بإخراج أهله من بين أظهرهم ليلا من غير أن يعرج أحد منهم على شيء خلفه يعوقه عن المضي إلى حيث ما أمر به^(٣).

٩- قوله تعالى: جملة ﴿ لَنْ يَصِلُوا ﴾ مستأنفة في حيز جواب النداء، في قوله: ﴿ يَا لُوطُ ﴾^(٤).

١٠- قوله تعالى: جملة ﴿ فَأَسْرِبْ ﴾ فيه إعلال بالحذف لمناسبة البناء، مضارعه يسري، وهي معطوفة على جملة ﴿ لَنْ يَصِلُوا ﴾^(٥).

١١- قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَهُمْ ﴾ استعمال فعل المضي في معنى الحال، ومقتضى الظاهر، ذلك لتقريب زمن الماضي من الحال و تنبيهاً على تحقق وقوعه نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]^(٦).

(١) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٩٥).

(٢) انظر: بيان المعاني (٣/ ٣٠٨).

(٣) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل (٢/ ٧٧١).

(٤) انظر: الجدول في إعراب القرآن (١٢/ ٣٢٩).

(٥) انظر: المجتبي من مشكل إعراب القرآن (٢/ ٤٧٨).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٣٣).

١٢- قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ الجملة؛ استئناف بياني صدر من الملائكة جواباً عن سؤال يجيش في نفسه من استبطاء نزول العذاب، فأجيب لإنعاش نفس لوط عليه السلام، والاستفهام تقريرى، ولذلك يقع في مثله التقرير على النفي إرخاء للعنان مع المخاطب المقرر ليعرف خطأه^(١).

١٣- روى الإمام الطبري عند تفسيره لهذه الآية بسنده "عن حذيفة رضي الله عنه قال: لما بصرت بهم - يعني بالرسول - عجزوا السوء امرأته، انطلقت فأذرتهم، فقالت: قد تضيّف لوطاً عليه السلام قوم، ما رأيت قوماً أحسن وجوهاً! قال: ولا أعلمه إلا قالت: ولا أشد بياضاً وأطيب ريحاً! قال: فأتوه يُهرعون إليه، كما قال الله، فأصفق لوط عليه السلام الباب. قال: فجعلوا يعالجونه. قال: فاستأذن جبريل عليه السلام ربه ﷻ في عقوبتهم، فأذن له، فصفقهم بجناحه، فتركهم عمياناً يترددون في أحيث ليلة أتت عليهم قطاً. فأخبروه: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ﴾، قال: ولقد ذكر لنا أنه كانت مع لوط عليه السلام حين خرج من القرية امرأته، ثم سمعت الصوت، فالتفتت، وأرسل الله عليها حجراً فأهلكها. وقوله: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ﴾ ، فأراد نبي لوط عليه السلام الله ﷻ ما هو أعجل من ذلك، فقالوا: ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾؟^(٢).

ثالثاً: المناسبات:

١- مناسبة الآية للسياق: بعد أن عرض عليهم لوط عليه السلام أن يتزوجوا النساء من قومه والذين هنّ بمكانة بناته، فأبوا واستشهدوا به على معرفته بقصدهم وما هم يريدون منه- ويعنون بذلك ضيوفه- تمنى لو أنّ عنده من العون والنصير الذي يدافع به عن ضيفه، حيث يشعر بذلك أنه ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فناسب أن يأتي بالفرج المبين، وإذ بالملائكة المأمورين من قبل الله ﷻ يبشروه أولاً أن هؤلاء القوم لن يصلوا إليه فضلاً عن الوصول إلى ضيفه، كذلك بشرونها بهلاكهم، فالعذاب سوف يعم، وبالتالي أوصوه بالخروج في جنح من الليل حتى لا يشعر قومهم بهذا الخروج، كما أوصوه أيضاً بعدم الالتفات ممن معه من أحد حتى لا يروا هول العذاب فتأخذهم الشفقة، لكن الله ﷻ أبلغه بأن زوجته سيصيبها ما أصابهم فهي منهم، فاستعجل لوط عليه السلام ذلك فرحاً، فأبلغوه بموعدهم سوف يكون الصبح وزادوه اطمئناناً؛ فأبلغوه بأنه الصبح القريب.

٢- فاصلة الآية: ﴿ ... أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ الآية الكريمة فيها دلالة على تعجيل العذاب لهم، ولما وقع من قوم لوط عليه السلام من الفساد وارتكاب الفواحش بإتيان الرجال دون النساء ، ناسب أن يجعل الله وقت هلاك القوم الصبح لأنه يعد وقت الدعة والراحة فتسكن النفوس فيه ولم يخرج الناس

(١) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٩١٥)، التحرير والتنوير (١٢/ ١٣٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٢٥).

فيه إلى العمل إلا مجتمعين فيكون حينئذ وقوع العذاب بهم أنسب ليكونوا عبرة لمن بعدهم من الناظرين وفي هذا إشارة واضحة إلى مدى العلاقة بين فاصلة الآية وموضوعها. وقد ذكر أبو السعود في ذلك: "تأكيداً للتعليل، فإنَّ قرب الصبح داع إلى الإسراع للتباعد عن مواقع العذاب"^(١).

وذكر كذلك ابن عاشور أن في فاصلة الآية: استئناف بياني صدر من الملائكة جواباً لسؤال وقع في نفس لوط عليه السلام من استبطاء نزول العذاب ووقوعه بقومه^(٢). ويرى الباحث أنَّ الأنبياء-عليهم السلام- بهم من كمال الأخلاق والصفات ما حباهم به ربهم ﷻ؛ ليكونوا على خلق عال، وهم يشفقون بحال أقوامهم ويودون لو أنَّ كل أقوامهم آمنوا، فقد ثبت بالأحاديث المتواترة الكثيرة أن كلهم قد آذاهم أقوامهم فصبروا، والنبي لوط عليه السلام واحد منهم فلا أرى أنه قد استعجل لقومه العذاب فيسأل الملائكة عن تعجيله فتجيبه الملائكة أنه الصبح والصبح قريب، لكنه يمكن أن يكون من قول الملائكة، بأمر من الله ﷻ ليكون معلوماً إلى لوط عليه السلام أن الأمر قد قضي، ولا مجال لفعل أو طلب أي شيء بعد.

رابعاً: التفسير الإجمالي:

لما رأت الملائكة ما حصل للوط عليه السلام بسببهم، طمأنوه وأخبروه بأنهم رسل من عند الله ﷻ حيث أرسلهم الله لنجاته عليه السلام وأهله من شر قومه، وطمأنته بأنه لا يصل إليه أحد بسوء ولا بضيوفه، فقد طمس الله ﷻ أعين القوم فلم يعودوا يبصروا بلوط عليه السلام ولا بمن معه، وأمروه بالخروج من بين أظهرهم هو وأهله ببقية من الليل، وطلبوا منهم أن لا يلتفت أحد منهم وراءه حتى لا يصيبه العذاب الذي سيصيب القوم، لكنه سوف يصيب امرأته؛ لأنها كانت كافرة فهي من جملة قومه الواقع بهم الإهلاك، وقد أبلغوه عن موعد العذاب، بأنه الصبح فهو موعد قريب لوقوع ذلك العذاب عليهم^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- إنَّ الملائكة يمكن لهم الظهور على شكل البشر فيتكلمون معهم. ودليل هذا من الكتاب والسنة المطهرة. أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾، ومن السنة^(٤):

(١) تفسير أبي السعود (٢٣٠/٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٣٣/١٢).

(٣) انظر: التفسير المنير (١١٦/١٢).

(٤) انظر: سنن النسائي، كتاب: الإيمان وشرايعه، باب: نعت الإسلام، رقم: ٤٩٩٠ (٩٧/٨)، [حكم الألباني]

صحيح.

مساءلة جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم عن: الإيمان، والإسلام، والإحسان^(١).

٢- من ألف الفساد والفحش بعد عن الصلاح والطهر، لذا قال قوم لوط عليه السلام: ليس لنا إلى بناتك رغبة ولا هن نقصد، ولا لنا عادة نطلب ذلك، فإن نكاح الإناث أمر خارج عن مذهبنا أو طريقنا الذي نحن عليه، ولا حاجة لنا بالبنات، وما هو إلا عرض لا جدية فيه^(٢).

٣- الذي لم يجد عوناً أو نصيراً لردع الظالم وتمادي الإرهاب عليه أن يظهر الغضب والضجر والحزن، مما يرى من معاصي ترتكب أمامه، فهذا لوط عليه السلام لم يجد سبيلاً للردع والإرهاب إلا التهديد وإظهار الغضب والضجر من موقف قومه، واستمرارهم في غيهم، وضعفه عنهم وعجزه عن دفعهم، فتمنى لو وجد عوناً على ردهم^(٣).

٤- تفریح الكروب يأتي عندما تشتد الأزمت على المؤمنين، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ﴾ [يوسف: ١١٠]، فلما رأَت الملائكة حزن لوط عليه السلام واضطرابه ومدافعته، عرفوه بأنفسهم: قالوا: يا لوط إنا رسل ربك فلما علم أنهم رسل، مكن قومه من الدخول، وطمأنوه بقولهم: لن يصلوا إليك بمكروه^(٤).

٥- البشارة فيها اطمئنان وراحة للنفس، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الحسن، وقد ذكر الزحيلي في تفسيره أن كلام الملائكة كان متضمناً أنواعاً خمسة من البشارات هي^(٥): أنهم رسل الله، وأن الكفار لن يصلوا إلى ما هموا به، وأنه تعالى يهلكهم، وأنه تعالى ينجيهم مع أهله من ذلك العذاب، وأن ركنه شديد، وأن ناصره هو الله تعالى.

٦- استحباب السير في الليل لما فيه من البركة بقطع المسافات البعيدة بدون تعب أو عناء^(٦).

٧- الحث على قضاء المصالح بالسرية والكتمان ما لم يكن بذلك فائدة من إظهار هذا العمل فيجب إظهاره، فالملائكة أمروا لوطاً عليه السلام أن يسري في ساعة الناس فيها نيام كما أمره بأن لا يلتفت أحد من قومه لئلا يتأخر عن الركب أو تأخذه الشفقة بهم فلا ينجو مع الناجين^(٧).

(١) انظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه (ص: ٢٩/٢٨).

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٨٣).

(٣) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٦٨).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٧٦).

(٥) انظر: التفسير المنير (١٢/ ١٢٠).

(٦) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٦٨).

(٧) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٩١٥).

٨- لا محابة في دين الله، فمن خالف الأوامر والنواهي التي أمر الله ﷻ فيحوق عليه العذاب، كائناً من كان، فلا تشفع لعاصي قرابة ولا جاه ولا نسب قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].

٩- كراهة التأسف لهلاك الظالمين، فإن الذي يفعل مثل أفعال هؤلاء القوم وينشر في الأرض الفساد، يجب عدم الشفقة عليهم^(١).

المطلب الثاني: إهلاك قوم لوط عليه السلام بقلب قراهم عاليها سافلها.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ [هود: ٨٢].

أولاً: معاني المفردات:

١- سِجِّيلٍ: وقد ذكر الطبري عدة معاني للسجيل وهي كما يلي^(٢):

أ- بالفارسية، أولها حَجَر، وآخرها طين.

ب- عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٤]، قال: طين في حجارة.

ت- سجيل، أي شديد من الحجارة.

ث- قال ابن زيد^(٣) في قوله: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٤] قال: السماء الدنيا. قال: والسماء الدنيا اسمها سجيل، وهي التي أنزل الله على قوم لوط عليهم السلام.

ج- هو من "السَّجِلِّ"، لأنه كان فيها عِلْمٌ كالكتاب.

وقد أضاف الرازي على ما ذكره الطبري ما يلي^(٤):

أ- السجيل الطين، لقوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣] وهو قول عكرمة^(٥).

(١) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٦٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٣٥).

(٣) انظر: محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب روى عن سعيد بن زيد وابن عباس وجده وروى له الجماعة وثقة أبو حاتم وغيره توفي سنة عشر ومائة، عالماً بالأشعار وتحسن معرفته بتمييزها، كان جواداً كريماً ممدحاً. الوافي بالوفيات (٦٨/ ٣)

(٤) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨/ ٣٨٣).

(٥) عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس: تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين، وعاد إلى المدينة، فطلبه أميرها، فتغيب عنه حتى مات. وكانت وفاته بالمدينة هو و "كثير عزة" في يوم واحد فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس، (١٠٥ = ٦٤٥) الأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٤).

قال الحسن^(١): كان أصل الحجر هو من الطين، إلا أنه صلب بمرور الزمان.

ب- سجيل موضع الحجارة، وهي جبال مخصوصة، ومنه قوله: ﴿ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ [النور: ٤٣].

ويرجح الباحث أن السجيل كلمة ليست بعربية بل عريت وهو دخيلة، أصلها بالفارسية (سنگ وكل)، أي الحجر والطين حجارة من طين، طبخت بنار جهنم، وكتب فيها أسماء القوم، لقوله عز وجل: ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الذاريات: ٣٣، ٣٤]؛ لأن الله ﷻ قد ذكر هذه الحجارة في قصة قوم لوط عليه السلام، وقال: ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾ [الذاريات: ٣٣]، فقد بين للعرب ما عنى بسجيل، ومن كلام الفرس ما لا يحصى مما قد أعريته العرب، نحو جاموس وديباج.

٢- **مَنْضُودٌ**: نَضَدٌ يَنْضِدُ، نَضْدًا، فهو ناضد، والمفعول مَنْضُودٌ ونضيد، كلهم بمعنى واحد،

• نَضَدَ الْعِفْدَ: ضَمَّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ مُتَّسِقًا، منه ﴿ وَالنَّخْلَ بِاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ [ق: ١٠]: مرتَّب، متراكب بعضه فوق بعض كحبِّ الرَّمَانِ - ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴾^(٢).
ثانياً: وجوه البلاغة:

- ١- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ كان ذلك يعقبه غير مترخ فاقترض الفاء التي تدل على التعقيب واتصال ما بعدها بما قبلها من غير مهلة بينهما^(٣).
- ٢- قوله تعالى: ﴿ عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ اقتصر ذكر جعل العالي سافلاً؛ لإدخاله في الإهانة، كما دل السياق على أن السافل عال^(٤).
- ٣- قوله تعالى: ﴿ أَمْرُنَا ﴾ في هذه الآية يحتمل أن يكون مصدراً من أمر ويكون في الكلام حذف مضاف تقديره مقتضى أمرنا^(٥).

(١) هو الحسن بن يسار البصريّ الفقيه القارئ الزاهد العابد سيد زمانه إمام أهل البصرة بل إمام أهل العصر ولد بالمدينة سنة إحدَى وَعَشْرِينَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَانَتْ أُمُّهُ خَيْرَةَ مَوْلَاةٍ لَأُمِّ سَلْمَةَ وَمَاتَ الْحَسَنُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَغَسَلَهُ أَيُّوبُ وَحَمِيدٌ وَأُخْرِجَ حِينَ انْصَرَفَ النَّاسُ وَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ حَتَّى فَاتَتْ النَّاسَ صَلَاةَ الْعَصْرِ لَمْ تَصِلْ فِي جَامِعِ الْبَصْرَةِ وَكَانَ تَوْفِيهِ سَنَةَ عَشْرِ وَمِائَةِ وَعَمْرُهُ تِسْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَقِيلَ سِتُّ وَتِسْعُونَ سَنَةً (انظر: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) (١٠٢٣/٣)).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٢٢٦)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٥٤٤).

(٣) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل (٢/ ٧٩٢).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٣٤).

(٥) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٩٧).

٤- قوله تعالى: ﴿ جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ تعود الضمائر الثلاثة على القرية المفهومة من السياق^(١).

ثالثاً: المناسبات:

قد علمنا في السابق إبلاغ الملائكة للوط عليه السلام بأنهم رسل من الله ﷻ وبشروه بأن قومه لن يصلوا إليهم، كما أوصوه بأن يترك هذه الديار ولا يلتفت منهم أحد، وأبلغوه أن امرأته مع من سيهلكهم الله ﷻ، وجعلوا موعداً لهذا العذاب، ألا وهو الصبح القريب، فناسب أن يقع ما ينتظره هؤلاء القوم ألا وهو العذاب، فوقع ذلك العذاب حيث خسفوا هذه الديار فجعلوا عاليها سافلها، وأضافوا عذاباً فوق العذاب؛ وهو إنزال حجارة من السماء عليهم، كما ذكر بعض المفسرين: فهي طين متحجر، يرسل بعضه في إثر بعض متتابعاً، علم على كل حجر اسم من يُرمى به^(٢).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

ولما جاء الصبح الموعود، وقع أمرنا الذي قضينا فيه بهلاك هذه القرية، فجعلنا عاليها سافلها، أي قلبناها رأساً على عقب، فذهبت كل معالمها، وأمطرنا على أهلها حجارة من صوان أملس منتظم، كما تنتظم الحبات في العقد، وهذه الحجارة، وموسومة بسمات خاصة، قد أعدها الله ﷻ، لهلاك الظالمين، أينما كانوا، وحيثما حلوا^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- الحق ﷻ يمهل الظالم، لكنه لا يمهله لكن كل شيء عنده بمقدار، قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨].

٢- إذا جاء موعد عذاب أمة أو قوم فلا راد لذلك العذاب قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيهَا سَافِلَهَا ﴾.

٣- الله ﷻ إذا أخذ لا يفلت ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢].

٤- أخذ الله ﷻ الكفار على أشكال منه من يأخذه بالغرق ومنهم من يأخذه بالصيحة، قال تعالى: ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، لكن هؤلاء القوم فعلوا أسوأ الفواحش فأنزل الله عليهم أقصى العقوبة، وهي القلب وكذلك الرجم وأصبحت سنة من بعدهم، أن كل من يعمل هذا الفعل فحده الرجم.

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٣٤).

(٢) انظر: تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٦ / ١٢٢)، اللباب في علوم الكتاب (١٠ / ٥٤١).

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١١٨٢).

٥- إضافة إلى هذا العذاب الذي لحق بهم، فإن نوع هذه الحجارة التي نزلت عليهم من السماء، فيما روى بعض المفسرين كان مكتوب عليها من تصييه فلا تخطيء أبداً.

٦- دل قوله تعالى ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴾ على أن من فعل فعل قوم لوط عليه السلام، حكمه الرجم، روى الحاكم بسنده عن يحيى بن سعيد، وربيعه، يقولان: قال رسول الله ﷺ (مَنْ عَمِلَ عَمَلٌ قَوْمِ لُوطٍ فَعَلَيْهِ الرَّجْمُ أَحْصِنُ أَوْ لَمْ يُحْصِنِ)^(١).

المطلب الثالث: الرجم حد من ارتكب جريمة اللواط.

قال تعالى: ﴿ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٣]:

أولاً: معاني المفردات:

* **مُسَوِّمَةٌ**: السومة، بالضم: العلامة تجعل على الشاة، والخيل المسومة: المرعية. والمسومة: المعلمة. وقوله تعالى: ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٥] معلمين ويكون مرسلين، من قولك: سوم فيها الخيل، أي أرسلها. ومنه السائمة. وإنما جاء بالياء والنون لأن الخيل سومت وعليها ركبائها. وقوله تعالى: ﴿ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوِّمَةٌ ﴾ [الذاريات: ٣٣، ٣٤] أي عليها أمثال الخواتيم^(٢).

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ دليل على أنها ليست من حجارة الأرض^(٣).

٢- قوله تعالى: ﴿ بِبَعِيدٍ ﴾ جاء مذكراً مع كونه خبراً عن الحجارة وهي مؤنث لفظاً، وهي بمعنى فاعل، لا بمعنى مفعول، فالشأن أن يطابق موصوفه في تأنيثه، لكن يمكن أن يجري ذلك إذا كان المؤنث غير حقيقي التأنيث زيادة في التخفيف، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦]^(٤).

٣- قوله تعالى: ﴿ وَمَا هِيَ ﴾ والضمير هي يعود إلى ما عادت إليه الضمائر المجرورة قبله وهي المدينة، فيكون المعنى وما تلك القرية ببعيد من العرب المشركين، فمن شاء فليذهب إليها فينظر مصيرها، فالمراد البعد المكاني^(٥).

٣- قوله تعالى: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ تهديد لمشركي قريش، وتلويح بهذه الحجارة المرصودة لهلاك الكافرين والمحاذين لله - تلويح بها في وجوه هؤلاء المشركين من أهل مكة وأنها

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم، کتاب الحدود، رقم ٤٠ ٤٨، (٣٩٥/٤).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١٩٥٥ / ٥)

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١١ / ٦٥٩١).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٣٤).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٢ / ١٣٤).

قريبة منهم، وأنهم على وشك أن يمتطروا بها، وأن يصيروا هم وقرينتهم إلى هذا المصير الذي انتهى إليه قوم لوط عليه السلام وقرينتهم^(١).

ثالثاً: المناسبات:

بعد أن جاء ميعاد إيقاع العذاب بهؤلاء القوم، وجعل الله ﷻ عاليها سافلها كذلك أمطرهم بحجارة جهزت لهم خاصة، زاد في وصف هذه الحجارة فجعلها من عند الله ﷻ ليكون العذاب أشد ضراوة، فناسب أن تختتم هذه القصة بالعبرة والعظة بما يجري في الأمم السابقة، ليكون بذلك تحذير لمن يرتكب مثل هذه المخالفات، فهذا العذاب ليس بعيداً ليصيب أي ظالم، فليحذر من يخالف أمر ربه فإن عذاب ربه قريب.

رابعاً: التفسير الإجمالي:

بعد أن خسف الله ﷻ هذه القرى على أهلها، وأخرج منها لوطاً عليه السلام ومن آمن معه، وصف لنا هذه الحجارة، أنها مركب بعضها فوق بعض معلمة كل حجر عليه اسم من يرمى به، وقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي معلمة من عند ربك يا رسول الله ﷺ، وما تلك القرى أو الأرض التي حل بها العذاب المخزي بمكان بعيد المسافة من مشركي مكة الظالمين لأنفسهم بتكذيبك، بل هي قريبة منهم واقعة على طريقهم في رحلة الصيف إلى الشام كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٣ - ٧٦] أي في طريق ثابت معروف بين المدينة والشام، أو وما تلك الحجارة التي أهلك بها قوم لوط عليه السلام ببعيد نزولها بالظالمين^(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- وكون العقوبة آية مرادة لا مصادفة، عبر عنه بصفة الظالمين، مما يجعل العبارة عبرة لكل الأقسام الظالمة في كل زمان^(٣).
- ٢- العذاب يختلف باختلاف الأحوال من أنواع الظلم وكثرته وعمومه وما دونهما، فالعذاب على مستوى الظلم.
- ٣- مظاهر قدرة الله ﷻ في قلب أربع مدن في ساعة فكان الأعلى أسفل والأسفل أعلى^(٤).
- ٤- وعيد الظالمين في كل زمان ومكان بأشد العقوبات وأفظعها.

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٦/ ١١٨٣)، تفسير الشعراوي (١١/ ٦٥٩٤).

(٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٦٨).

(٣) انظر: تفسير المنار (١٢/ ١١٤).

(٤) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٦٨).

- ٥- وقد ذكر الزحيلي أن الله ﷻ وصف الحجارة التي رمي بها قوم لوط ﷻ بصفات ثلاث هي^(١):
- أ- كونها من سجيل، أي الشديد الكثير، أو الطين المتحجر.
- ب- قوله تعالى: منضود أي متتابع، أو مصفوف بعضه على بعض، أو مرصوص.
- ت- مسومة أي معلمة، من السيمة وهي العلامة، أي كان عليها أمثال الخواتيم.
- ٦- لما كان الذنب عظيماً استوجب عقاباً عظيماً، فكانت الحجارة من عند الله ﷻ قال تعالى:
- ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مما يدل على أنها ليست من عند البشر.
- ٧- في قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ﴾ يعني قوم لوط ﷻ أي لم تكن هذه الحجارة أو هذا العذاب يخطئهم، وهي أيضاً عبرة لكل ظالم من أهل مكة وغيرهم على مر العصور والأيام.

(١) انظر: التفسير المنير (١٢ / ١٢١).

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الأطهار وبعد:

فأحمد الله ﷺ الذي وفقني إلى الانتهاء من هذا العمل، والوصول إلى خاتمته فله الفضل والمنة والشكر دائماً، فإن أصبت فبفضل من الله ﷻ فله الحمد وله جزيل الشكر، وإن كان فيه خطأ أو زلل فمن الشيطان ومن نفسي، ومهما أجهدت نفسي إلا أنني مقصراً تجاه كتاب الله ﷻ فموضوع الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف من المواضيع التي اهتم بها علماء هذه الأمة وبينوا أهميتها، ومن خلال هذه الدراسة لهذا الحزب، والوقوف على ما فيه من دروس وعبر، خرج الباحث بالنتائج والتوصيات الآتية:

أولاً : نتائج البحث:

١. أن القرآن الكريم محكم ومتشابه فلا خلل فيه ولا باطل، يرتبط بعضه ببعض، من أوله إلى آخره.
٢. مهمة الرسل هي الإنذار والتخويف وتبليغ الرسالات ومحاجة الكفار، فإن أعرض الناس عن دعواتهم وبياناتهم، فهم أي الأنبياء قد أبرؤوا الذمة، وأدوا الأمانة.
٣. العرش مع كونه أعظم المخلوقات كان على الماء، والله ﷻ أمسك الماء لا على قرار، والعرش قد أمسكه فوق سبع سموات، من غير دعامة تحته، ولا علاقة فوقه.
٤. أحوال الدنيا متقلبة، من النعمة إلى المحنة، ومن اللذات إلى الآفات، وبالعكس وهو الانتقال من المكروه إلى المحبوب، ومن المحرمات إلى الطيبات.
٥. تحدى الله ﷻ العرب في هذه السورة بأن يأتوا بعشر سور مثل سور القرآن، بعد أن كان تحداًهم بالإتيان بمثل القرآن، فعجزوا في الحالين، كما عجزوا عن الإتيان بمثل سورة منه، والتحدي ليثبت أن القرآن كلام الله المعجز وأن محمد رسول الله.
٦. الإسلام يدعو إلى إثارة العمل للأخرة على عمل الدنيا، في النية والقصد، فإن قصد الدنيا والأخرة معاً كان ذلك مقبولاً شرعاً.
٧. الجدل في الدين لتقرير الأدلة وإزالة الشبهات أمر محمود، وهو حرفة الأنبياء، وذلك في حالة إظهار الحق، وإبطال الباطل.
٨. إن رابطة الدين أقوى من رابطة النسب، ولا علاقة للصالح والتقوى بالوراثة والأنساب.
٩. العدل الإلهي مطلق، لا محاباة فيه لنبي أو ولي، وإنه تعالى يجزي الناس في الدنيا والآخرة بإيمانهم وأعمالهم، لا بأنسابهم.

١٠. إن الاستغفار من الذنوب والتوبة من المعاصي سبب سريع لإجابة الدعاء لأن الله قريب من عباده، رحيم بهم، مجيب دعوة المحتاجين والمضطرين، قريب الإجابة لمن دعاه.
١١. وجوب الصبر على الدعوة، وما يجد الداعي من صعوبات في طريق دعوته.
١٢. السورة مدار البحث كل آياتها مكية.
١٣. أسهمت هذه الدراسة في خدمت كتاب الله ﷻ ببيان بلاغته وفصاحته وإعجازه، من أجل ذلك كله اهتم العلماء بهذا العلم.
١٤. من أدب الضيف أن يعجل قراه، فيقدم الموجود الميسر في الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان لديه شيء وسعة، ولا يتكلف المفقود غير المستطاع الذي يتضايق به.
١٥. على المؤمن، أن يغار على حرمان الله ﷻ، ويستيق وقوع الحوادث استعدادا للبلاء قبل نزوله.
١٦. ذكر البسمة عند ابتداء كل فعل، هي سنة متبعة عن الأنبياء.
١٧. من أسباب هلاك الأمم السابقة عدم الالتزام بمنهج الله ﷻ.
١٨. الاستكبار والرفض يسبب الهلاك.

ثانياً: أهم التوصيات:

١. أوصي الدعاة بالاستفادة من القصص التي وردت في هذه السورة، بما فيه من عبر وعظات.
٢. الإقبال على طلب العلوم الشرعية، والسعي في نشرها، فهي أنفع العلوم في الدنيا والآخرة.
٣. صاحب العقيدة الراسخة، عليه أن يصمد أمام المحن والشدائد.
٤. استخدام أسلوب الحوار الهادف سواء في الجانب السياسي، أو الاجتماعي، فهو أفضل الطرق لإقناع الخصم.
٥. أوصي طلاب العلم الشرعي، بأن يهتموا بعلم التفسير التحليلي للقرآن الكريم، فهو الضابط لمعرفة وتفسير الآيات القرآنية، بما يرشد إلى أحكام ومدلولات وأهداف ومقاصد، لهذه الآيات.
٦. ضرورة المسارعة إلى الاستعداد ليوم البعث والجزاء بالطاعات والأعمال الصالحة، لأن مصير الإنسان مرهون بعمله، والجزاء من جنس العمل.
- وفي الختام أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله تعالى، والثبات على طريق الحق والنجاة، والاحتكام للقرآن الكريم وتلاوته وتدبر معانيه، فكتاب الله ﷻ فيه الرشاد والصلاح.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

وتشتمل على الآتي:

- أولاً: فهرس الآيات القرآنية
- ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية والآثار
- ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم
- رابعاً: فهرس المصادر والمراجع
- خامساً: فهرس الموضوعات

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

١ - فهرس الآيات للجانب النظري:

م	طرف الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١.	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	الفاطحة	٥	٩
٢.	﴿...الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ...﴾	البقرة	٢١	٢٥
٣.	﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾	البقرة	٤٦	٨٥
٤.	﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾	البقرة	٨٣	٩٤
٥.	﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	البقرة	١٦٩	١٣٨
٦.	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾	البقرة	١٨٦	١٨٣
٧.	﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾	البقرة	١٩٨	١١٣
٨.	﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾	البقرة	٢٢٢	٢٠٩
٩.	﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ﴾	البقرة	٢٤٩	٢٢٢
١٠.	﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾	البقرة	٢٥٩	٤٤
١١.	﴿لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾	البقرة	٢٨٥	١٧١
١٢.	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ...﴾	آل عمران	٧	٢٦
١٣.	﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾	آل عمران	١١	١٨٨
١٤.	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾	آل عمران	٢٢	١٢٥
١٥.	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ...﴾	آل عمران	٨٥	٦٨

١٢٦	١٢١	آل عمران	﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	.١٦
٣	١٥٩	آل عمران	﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ... ﴾	.١٧
١٦٩	١٧٧	آل عمران	﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ ﴾	.١٨
١٩١	١٩٤	آل عمران	﴿ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	.١٩
٦٣	١٩٦	آل عمران	﴿ لَا يَغْرَبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾	.٢٠
٦٣	١٩٧	آل عمران	﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾	.٢١
١١٧	١	النساء	﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾	.٢٢
١٢٦	١١	النساء	﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾	.٢٣
١٦٩	٤٠	النساء	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾	.٢٤
٦٤ ، ٢٩	٤٨	النساء	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾	.٢٥
٢٦	٨٢	النساء	﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا ﴾	.٢٦
٣٨	١٠٨	النساء	﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ﴾	.٢٧
٥٤	٦٧	المائدة	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾	.٢٨
٨٨ ، ١٤٢	٣٨	الأنعام	﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾	.٢٩
٩٣	٥٩	الأنعام	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾	.٣٠
٨١	٩٦	الأنعام	﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾	.٣١
١٢٩	١٦٤	الأنعام	﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾	.٣٢

٩١	٦	الأعراف	﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾	٣٣.
٢٣٥	٥٦	الأعراف	﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٣٤.
٨١	٦٥	الأعراف	﴿وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾	٣٥.
١٦١	٨٦	الأعراف	﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾	٣٦.
٢٢٣	٢٠٤	الأعراف	﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾	٣٧.
١٩٠	٢٥	الأنفال	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾	٣٨.
٥١	٥٣	الأنفال	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	٣٩.
٢١٧	٦٠	الأنفال	﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾	٤٠.
٥٦	٣٤	التوبة	﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	٤١.
١٧، ٢٧	١	يونس	﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾	٤٢.
١٧، ١٥٧	٧١	يونس	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ...﴾	٤٣.
١٧	٧٢	يونس	﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْنَاكُمْ مِنْ آجْرٍ...﴾	٤٤.
١٧	٧٣	يونس	﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ...﴾	٤٥.
٢٢١	٧٨	يونس	﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾	٤٦.
١٧	١٠٠	هود	﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾	٤٧.

١٧	١٠١	هود	﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾	.٤٩
١٧، ١٠٧،٢٢ ٩	١٠٢	هود	﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	.٥٠
١٤	١١٢	هود	﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	.٥١
٢١	١١٤	هود	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾	.٥٢
٢١	١١٥	هود	﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾	.٥٣
٢١	١١٦	هود	﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ﴾	.٥٤
٢١	١١٧	هود	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْيَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾	.٥٥
١٨،١٢٠	١٢٠	هود	﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾	.٥٦
١٨	١٢١	هود	﴿وَقُلْ لِلدِّينِ لَا يُؤْمِنُونَ اْعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾	.٥٧
١٨	١٢٢	هود	﴿وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾	.٥٨
١٨	١٢٣	هود	﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾	.٥٩
٢٢٩	٨	الرعد	﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾	.٦٠
٢٠٦،٩٣	١١	إبراهيم	﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾	.٦١
١٧٠	١٥	إبراهيم	﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾	.٦٢

٢٠٤	٣٦	إبراهيم	﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	.٦٣
٢٠٣	٣٩	إبراهيم	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾	.٦٤
١٦٨	٤٢	إبراهيم	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾	.٦٥
٢٤	٩	الحجر	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	.٦٦
٢٢٢	٨	الحجر	﴿مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنظَرِينَ﴾	.٦٧
١٦٣	٥١،٥٢	الحجر	﴿وَتَبَّهْتُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾	.٦٨
٢٣١	٧٣	الحجر	﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾	.٦٩
١٩٥،٢٣ ١	٧٤	الحجر	﴿فَجَعَلْنَا عَالِيهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا﴾	.٧٠
١١٨	٨	النحل	﴿وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرَكَبُوهَا﴾	.٧١
٥	٩	النحل	﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾	.٧٢
١١٧	٥١	النحل	﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنِينَ﴾	.٧٣
٤٥	٦١	النحل	﴿وَلَكِنْ يُؤَخَّرُهُمْ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى﴾	.٧٤
٣٥	٩٧	النحل	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾	.٧٥
١٤٢	١٢٠	النحل	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾	.٧٦

٩٧،١٧٨	١٢٥	النحل	﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	.٧٧
١٨	١٠٢	يوسف	﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	.٧٨
١٨	٣	يوسف	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾	.٧٩
١٨	٦	يوسف	﴿وَبِئْتِمُ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾	.٨٠
١٩	٧	يوسف	﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَائِلِينَ ﴾	.٨١
١٩	٨	يوسف	﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا﴾	.٨٢
١٩	٩	يوسف	﴿اِقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبْيَكُمُ﴾	.٨٣
١٩	١٠	يوسف	﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْفُوهُ فِي﴾	.٨٤
١٤٣	٤٥	يوسف	﴿ وَادْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾	.٨٥
٣٥	٥٧	يوسف	﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾	.٨٦
١٩٤	٥٨	يوسف	﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾	.٨٧
١٧٥	٦٤	يوسف	﴿قَالَ لَهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	.٨٨
٦٥	١٠٣	يوسف	﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	.٨٩
٢٢٦	١١٠	يوسف	﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾	.٩٠
١٧٢، ١٩٠	١١١	يوسف	﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾	.٩١
٦٠	٨٨	الإسراء	﴿ قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا﴾	.٩٢

٢٢٥	١٠	الكهف	﴿ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾	.٩٣
٤٧	١١	الكهف	﴿ سِنِينَ عَدَدًا ﴾	.٩٤
١٠١	٢٣،٢٤	الكهف	﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ... ﴾	.٩٥
١٨٣	٣٨	الكهف	﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾	.٩٦
٩٨	٥٦	الكهف	﴿ وَبُجَادِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾	.٩٧
١٥٦	٨٢	الكهف	﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾	.٩٨
٦٤	١١٠	الكهف	﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾	.٩٩
١٢٧،١٩٧	١٧	مريم	﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾	.١٠٠
١٣٤	٤٤	مريم	﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾	.١٠١
٢٠٤	٤٥	مريم	﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾	.١٠٢
١٠٣	١٥	طه	﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾	.١٠٣
٤٠	٥٠	طه	﴿ قَالَ رَبِّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾	.١٠٤
٥٣	٣	الأنبياء	﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾	.١٠٥
١٨٢	٥	الأنبياء	﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾	.١٠٦
١١٧	١٠١	الأنبياء	﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى ﴾	.١٠٧
١٠٢	١٠٧	الأنبياء	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	.١٠٨

١٨٠	٥	الحج	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ .. ﴾	.١٠٩
٢٠٣	٧٥	الحج	﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾	.١١٠
١٧٠	٥١	المؤمنون	﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾	.١١١
١٤٥	١٠١	المؤمنون	﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾	.١١٢
١٩٧	٢٧	النور	﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾	.١١٣
٢٢٧	٤٣	النور	﴿ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾	.١١٤
٥٥	٨	الفرقان	﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾	.١١٥
٦٤	٢٣	الفرقان	﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾	.١١٦
١٤٦	٣٢	الفرقان	﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾	.١١٧
٥٣	٣	الشعراء	﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾	.١١٨
٩٠	٤	الشعراء	﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً... ﴾	.١١٩
٢٨	٢١٤	الشعراء	﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾	.١٢٠
١٤٤، ٤٩ ١٦٨	١٤	النمل	﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾	.١٢١
١١٧	٢٩	القصص	﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾	.١٢٢
١١٠	٥٦	القصص	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾	.١٢٣
٦٤	٧٧	القصص	﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ... ﴾	.١٢٤

م	طرف الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٢٦.	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ...﴾	العنكبوت	١٧	٩٤
١٢٧.	﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ...﴾	العنكبوت	٢٩	٢١٣
١٢٨.	﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾	العنكبوت	٤٠	٢٢٩
١٢٩.	﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلْكِ﴾	العنكبوت	٦٥	١٢٧
١٣٠.	﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	لقمان	٥	١٦٠
١٣١.	﴿النَّبِيِّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾	الأحزاب	٦	٢١٥
١٣٢.	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾	الأحزاب	٥٠	١١٨
١٣٣.	﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ...﴾	سبأ	٣	٣٩
١٣٤.	﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا...﴾	سبأ	٢٤، ٢٥	١٠٢
١٣٥.	﴿...إِلَّا قَالِ مُتْرَفُوهَا﴾	سبأ	٣٤	٨٦
١٣٦.	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا آيٌ﴾	سبأ	٤٣	٩٢
١٣٧.	﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	فاطر	٢٤	٢٩
١٣٨.	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾	فاطر	٣٢	١٨٥ ١٨٣
١٣٩.	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	يس	٨٢	١٣٤

١١٧، ١٣٨	٧٦	الصفات	﴿وَنَجِّينَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾	.١٤٠
١٣٨	١٧١	الصفات	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾	.١٤١
٨	٢٩	ص	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ...﴾	.١٤٢
٢٧	٢٣	الزمر	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾	.١٤٣
٩٧	٤	غافر	﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	.١٤٤
١٤٦	٥١	غافر	﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ...﴾	.١٤٥
٤٢	٥٧	غافر	﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ...﴾	.١٤٦
٥٨	١١	الشورى	﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	.١٤٧
١٦٨	٣٠	الشورى	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ...﴾	.١٤٨
١١٢	٤٠	الشورى	﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾	.١٤٩
١٠٩	٥١	الشورى	﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا...﴾	.١٥٠
٨٦، ٩٩، ١٤٢	٢٢	الزخرف	﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾	.١٥١
٥٥	٣١	الزخرف	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾	.١٥٢
١٥٥	٧٤	الزخرف	﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾	.١٥٣
٤	٢٤	الجاثية	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ...﴾	.١٥٤
١٦	١٦	ق	﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾	.١٥٥

٢٢٧،٢٣ ٠	٣٣	الذاريات	﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ طِينٍ ﴾	.١٥٦
٢٣٠ ٢٢٧	٣٤	الذاريات	﴿ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾	.١٥٧
٤٩	٧،٨	الطور	﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾	.١٥٨
١٧٣	٥٠	النجم	﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾	.١٥٩
١٠٩،١١ ٦	١١، ١٠	القمر	﴿ فِدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾	.١٦٠
١١٨	١٢	القمر	﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾	.١٦١
١٩٤	١٢	الحديد	﴿ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ... ﴾	.١٦٢
٨٥، ٤٣	١	الطلاق	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾	.١٦٣
٢١٩	٣	الطلاق	﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾	.١٦٤
١٧٧	٤	الطلاق	﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾	.١٦٥
٤٣	١٢	الطلاق	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾	.١٦٦
٤٠	١٥	الملك	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ نَلُوبًا ... ﴾	.١٦٧
٤٥	١٧	الحاقة	﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً ﴾	.١٦٨
٢٠٦،٢١ ٠	٤	نوح	﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾	.١٦٩
١٥٢	١٠	نوح	﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾	.١٧٠

١٠٧،١٢ ٢	٢٦	نوح	﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾	.١٧١
٤٧	٢٨	الجن	﴿ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾	.١٧٢
١٩٠	٣١	المدثر	﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾	.١٧٣
٢٢٦	٣٧-٣٤	عبس	﴿ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنَ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾	.١٧٤
٩٦	٢١-١٩	التكوير	﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾	
٢١٣	١٤	المطففين	﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	.١٧٦
١٥٩	٨	الفجر	﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾	.١٧٧
٤٤	١٠	البلد	﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾	.١٧٨
١٥٤	٥	البينة	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾	.١٧٩
٥١	٣	العصر	﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾	.١٨٠

٢ - فهرس الآيات للجانب التطبيقي:

م	طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة هود			
١.	[الر كِتَابٍ أَحْكَمْتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتَ ...]	١	٢٤
٢.	[أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ]	٢	٢٨
٣.	[وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا...]	٣	٣١
٤.	[إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]	٤	٣٣
٥.	[أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونِ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ]	٥	٣٦
٦.	[وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ...]	٦	٣٦
٧.	[وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ...]	٧	٤٠
٨.	[وَلَئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ يَحْسَبُهُ...]	٨	٤٥
٩.	[وَلَئِنْ أَدْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ رَحْمَةٍ نُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّهُ...]	٩	٤٥
١٠.	[وَلَئِنْ أَدْنَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ...]	١٠	٤٥
١١.	[إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...]	١١	٤٥
١٢.	[فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ...]	١٢	٥٢
١٣.	[أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ...]	١٣	٥٥
١٤.	[فَالَّذِينَ يَسْتَحْيِبُوا لَكُمْ فَاغْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ...]	١٤	٥٧

٦٠	١٥	[مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ...]	.١٥
٦٠	١٦	[أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ...]	.١٦
٦٤	١٧	[أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ...]	.١٧
٦٩	١٨	[وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ...]	.١٨
٧١	١٩	[الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ...]	.١٩
٧١	٢٠	[أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ...]	.٢٠
٧١	٢١	[أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا]	.٢١
٧١	٢٢	[لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ]	.٢٢
٧٤	٢٣	[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ..]	.٢٣
٧٤	٢٤	[مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ ...]	.٢٤
٨٠	٢٥	[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ...]	.٢٥
٨٠	٢٦	[أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ...]	.٢٦
٨٣	٢٧	[فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ...]	.٢٧
٨٦	٢٨	[قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ...]	.٢٨
٨٦	٢٩	[وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ...]	.٢٩
٨٦	٣٠	[وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ...]	.٣٠
٩٠	٣١	[وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ...]	.٣١

٩٦	٣٢	[قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا...]	.٣٢
٩٨	٣٣	[قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ...]	.٣٣
٩٨	٣٤	[وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ...]	.٣٤
١٠١	٣٥	[أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيْ إِجْرَامِي...]	.٣٥
١٠٦	٣٦	[وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا...]	.٣٦
١٠٧	٣٧	[وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا...]	.٣٧
١١١	٣٨	[وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ...]	.٣٨
١١١	٣٩	[فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ...]	.٣٩
١١٥	٤٠	[حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ...]	.٤٠
١١٥	٤١	[وَقَالَ ازْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا...]	.٤١
١٢٤	٤٢	[وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ...]	.٤٢
١٢٤	٤٣	[قَالَ سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ...]	.٤٣
١٣٠	٤٤	[وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي...]	.٤٤
١٣٤	٤٥	[وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي...]	.٤٥
١٣٤	٤٦	[قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ...]	.٤٦
١٣٩	٤٧	[قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ]	.٤٧

١٧٤	٦٠	[وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ...]	.٦٠
١٧٩	٦١	[وَأَلِي تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا]	.٦١
١٨٣	٦٢	[قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ...]	.٦٢
١٨٣	٦٣	[قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي ...]	.٦٣
١٨٧	٦٤	[وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ...]	.٦٤
١٩٠	٦٥	[فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ...]	.٦٥
١٩٠	٦٦	[فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ..]	.٦٦
١٩٠	٦٧	[وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ...]	.٦٧
١٩٠	٦٨	[كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ...]	.٦٨
١٩٨	٦٩	[وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ...]	.٦٩
١٩٨	٧٠	[فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ...]	.٧٠
٢٠٣	٧١	[وَأَمْرَاتُهُ قَانِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ...]	.٧١
٢٠٣	٧٢	[قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ...]	.٧٢
٢٠٣	٧٣	[قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ...]	.٧٣
٢٠٧	٧٤	[فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى ...]	.٧٤
٢٠٧	٧٥	[إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ]	.٧٥

٢٠٧	٧٦	[يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا...]	.٧٦
٢١٣	٧٧	[وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا. [.٧٧
٢١٦	٧٨	[وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ...]	.٧٨
٢٢١	٧٩	[قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ...]	.٧٩
٢٢١	٨٠	[قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ...]	.٨٠
٢٢٦	٨١	[قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ...]	.٨١
٢٣٢	٨٢	[فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا...]	.٨٢
٢٣٥	٨٣	[مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ]	.٨٣

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية والآثار

م	طرف الحديث الشريف	الراوي	الحكم	الصفحة
١.	القصد القصد تبلغوا ...	البخاري	صحيح	١٧٦
٢.	لَمَّا أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ...	مسلم	صحيح	٢٨
٣.	يَقْرَأُ أَلَا ﴿ إِنَّهُمْ يَنْثُونُ صُدُورَهُمْ ﴾	البخاري	صحيح	٣٨
٤.	خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ...	مسند الإمام أحمد	صحيح	٤٠
٥.	أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ	سنن أبي داوود	صحيح	٤٥
٦.	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ...	البخاري	صحيح	٦٢
٧.	إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْماً، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ ...	البخاري	صحيح	٧٢
٨.	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ	مسلم	صحيح	٨٦
٩.	«لَوْ رَحِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ أَحَدًا، لَرَجِمَ .	مسلم	صحيح	١١٠
١٠.	أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَدْعُ عَلَى قَوْمِهِ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ ﴾	مسند الإمام أحمد	مسند الإمام أحمد	١٢١
١١.	أَمَّا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُحِ عَنْكَ) ...	البخاري	صحيح	١٣٥

م	طرف الحديث الشريف	الراوي	الحكم	الصفحة
١٣	قَدَّرَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ...	سنن الترمذي	صحيح	١٦٢
١٤	لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالَ رَجُلٌ: وَلَا إِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ ...	مسلم	صحيح	١٦٧
١٥	إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا	مسلم	صحيح	١٦٨
١٦	أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا...	البخاري	صحيح	٣٧
١٧	لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ...	البخاري	صحيح	١٩٢
١٨	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ ...	مسلم	صحيح	٢٠٢
١٩	بنى على النبي ﷺ بزینب بنت جحش بخبز ولحم ...	البخاري	صحيح	١٩٩
٢٠	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدُهُ، وَأَعَزَّ دِينَهُ	سنن النسائي	ضعيف	٢١٧
٢١	نَحْنُ أَحَقُّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تَحْيَى الْمَوْتَى ...	البخاري	صحيح	٢٢٣
٢٢	مسألة جبريل عليه السلام للنبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ...	البخاري	صحيح	٢٣٠
٢٣	مَنْ عَمِلَ عَمَلًا قَوْمٌ لَوَطَّ فَعَلَيْهِ الرَّجْمُ ...	الحاكم	صحيح	٢٣٥

ثالثاً: الأعلام المترجم لهم

رقم الصفحة	الاسم	م.
٤٦	ابن الأثير: إسماعيل بن أحمد بن سعيد، عماد الدين ابن تاج الدين	١.
٢٧١	ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن حريز الزرعي	٢.
١٣٩	ابن العربي: عبد الوهاب بن العربي بن يوسف الفاسي، أبو الفضل	٣.
٥	ابن جني: عثمان بن جني الموصللي، أبو الفتح	٤.
٢٣٢	ابن زيد: محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب	٥.
١٤١	ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي	٦.
١٦٣	التبريزي: أبو زكرياء يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني الخطيب التبريزي	٧.
٢٣٢	الحسن: هو الحسن بن يسار البصري	٨.
٢٢٠	حذيفة بن اليمان: حذيفة بن اليمان وهو ابن حسل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن اليمان. يكنى أبا عبد الله	٩.
٦	الريسوني: أحمد بن محمد بن عبد الله الحسني العروسي، أبو العباس	١٠.
٥	الشاطبي: إبراهيم ابن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي	١١.
١٩٩	الشعبي: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، ابو عمرو	١٢.
٢٣٢	عكرمة: بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن	١٣.

الصفحة	الاسم	م.
٢٢٠	مجاهد: بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم	.١٤
٩٠	القشيري: عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري	.١٥
٦٥	الفاسي: علال عبد الواحد الفاسي	.١٦
١٣٢	الكرماني: علي أصغر بن عبد الصمد القنوجي البكري الكرماني	.١٧
١١٦	النحاس: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر	.١٨

رابعاً: قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- (١) إبراز المعاني من حرز الأمانى، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي دمشقي أبو شامة، دار الكتب العلمية.
- (٢) الإتقان في علوم القرآن، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- (٣) اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، ط (١) ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- (٤) أحكام القرآن لابن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط (٣) ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- (٥) أحكام القرآن للخصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ.
- (٦) أحكام القرآن للكلبي الهراسي، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية دار الكتب العلمية، بيروت، تاريخ الطبع، ط (٢) ١٤٠٥ هـ.
- (٧) أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
- (٨) الأسماء والصفات، للبيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادى، جدة - المملكة العربية السعودية، ط (١) ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ .
- (٩) الأصولان في علوم القرآن : المؤلف: أ. د. محمد عبد المنعم القيعي حقوق، ط (٤) ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- (١٠) أصول في التفسير، لابن عثيمين، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، ط (١) ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- (١١) الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين.
- (١٢) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ دار المعارف، ط (٣).

- ١٣) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.
- ١٤) إعراب القرآن وبيانه: الأستاذ محيي الدين درويش، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، ط(٢)، ١٤٠٣هـ - ٢٠٠١م.
- ١٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط(١) ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ١٦) الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط(٥) ١٩٨٠م.
- ١٧) الإكليل في استنباط التنزيل، للسيوطي، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ١٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط(١) ١٤١٨هـ.
- ١٩) أنوار الربيع في أنواع البديع، صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني.
- ٢٠) أيسر التفاسير للجزائري : أبو بكر الجزائري، المكتبة العصرية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، بيروت، ط(٢)، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٢١) الإيمان لابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط(٥) ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- ٢٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ .
- ٢٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، ط ١٤١٩هـ.
- ٢٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط(١) ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- ٢٥) بصائر ذوى التمييز بلطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- ٢٦) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي.
- ٢٧) بيان المعاني: المؤلف: عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني مطبعة الترقى - دمشق، ط(١) ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م.

- (٢٨) تاج العروس: المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية.
- (٢٩) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، تقديم وتحقيق: حفي محمد شرف الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- (٣٠) تحرير المعنى السديد وتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، دار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .
- (٣١) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- (٣٢) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتهت أسمائه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني، قدمت له وحققته: هند شلبي الشركة التونسية للتوزيع، عام النشر: ١٩٧٩ م.
- (٣٣) تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا: المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التيمي، تحقيق: أسعد محمد الطيب مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط(٣) - ١٤١٩ هـ.
- (٣٤) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط(١) ٢٠٠٨ م.
- (٣٥) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية - بيروت، ط(١) - ١٤٢٢ هـ.
- (٣٦) تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- (٣٧) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (٣٨) تفسير الألوسي (روح المعاني)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط(١) ١٤١٥ هـ.
- (٣٩) تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط(١) ١٤٢٠ هـ. عدد الأجزاء: ٥.
- (٤٠) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي.
- (٤١) تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط(١) - ١٤١٨ هـ.

- (٤٢) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين دار الكتب العلمية - بيروت، ط(١) - ١٤١٥ هـ .
- (٤٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط(٣) - ١٤٢٠ هـ .
- (٤٤) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله دار الكتاب العربي - بيروت، ط(٣) - ١٤٠٧ هـ .
- (٤٥) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، مؤسسة الرسالة، ط(١) ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- (٤٦) تفسير السمرقندي = بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي .
- (٤٧) تفسير السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم دار الوطن، الرياض - السعودية، ط(١)، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- (٤٨) تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم .
- (٤٩) تفسير القاسمي = محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت ط(١) - ١٤١٨ هـ .
- (٥٠) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط(٢) ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- (٥١) التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة .
- (٥٢) تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة ط(٢) ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- (٥٣) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة : محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط(١)، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

- ٥٤) تفسير الماوردي = النكت والعيون أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، ط(١)، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- ٥٥) تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط(١)، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
- ٥٦) تفسير المنار محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.
- ٥٧) التفسير المنير الزحيلي: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
- ٥٨) التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٥٩) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو دار الكلم الطيب، بيروت، ط(١)، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٦٠) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن و رغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط(١) - ١٤١٦هـ.
- ٦١) التفسير الواضح: الحجازي: محمد محمود، دار الجيل الجديد - بيروت، ط١٠، ١٤١٣ هـ.
- ٦٢) التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- ٦٣) تفسير آيات الأحكام للسايس: محمد علي السايس الأستاذ بالأزهر الشريف، المحقق: ناجي سويدان المكتبة العصرية للطباعة والنشر، تاريخ النشر: ٢٠٠٢/١٠/٠١.
- ٦٤) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة - القاهرة - مصر ط(١)، ١٤١٥ - ١٩٩٥.
- ٦٥) تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه: ج ١ - ٨: محمد سليم النعيمي، ج ٩، ١٠: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية ط(١)، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١١.

- ٦٦) تهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط(١)، ٢٠٠١م.
- ٦٧) التوحيد: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي المحقق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية/ مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، ط(١)، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- ٦٨) جامع البيان في تأويل القرآن: الإمام ابن جرير الطبري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٦٩) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٧٠) الجدول في إعراب القرآن: محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ.
- ٧١) الجرائيم: ينسب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري جمال القراءة وكمال الإقراء ، المؤلف: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي، تحقيق: د. مروان العطيّة - د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت، ط(١) ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٧٢) جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط(١)، ١٩٨٧م.
- ٧٣) حجة القراءات : عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة.
- ٧٤) الحجة للقراء السبعة: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط(٢)، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٧٥) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية : عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني مكتبة وهبة، ط(١) ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٧٦) دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط(١)، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٧٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت.
- ٧٨) درة التنزيل وغرة التأويل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين جامعة أم القرى، وزارة التعليم

- العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط(١) ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٧٩) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت ط(١)، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٨٠) الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال - بيروت ط(١).
- ٨١) رسالة ماجستير بعنوان أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة "دراسة تحليلية.
- ٨٢) روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، دار الفكر - بيروت.
- ٨٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط(١) ١٤١٥ هـ.
- ٨٤) الزاهر في معاني كلمات الناس : محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، المحقق: د. حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة - بيروت، ط(١)، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢.
- ٨٥) الزهد لأحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ)
- وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
- الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١
- ٨٦) زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.
- ٨٧) سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- ٨٨) سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٨٩) السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم: أحمد بن عبد الفتاح ضليمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الثالثة والثلاثون - العدد ١١١ - ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.

٩٠) السيرة النبوية ، لا بن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

٩١) الشكوى والعتاب : [ينسب ل]عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي المحقق: د إلهام عبد الوهاب المفتي- كلية التربية الأساسية، قسم اللغة العربية، جامعة الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط(١)، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٩٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميري اليمني المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) ط(١)، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٩٣) الشيعة وأهل البيت : إحسان إلهي ظهير الباكستاني، إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان.

٩٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط(٤) ١٤٠٧ هـم.

٩٥) صحيح السيرة النبوية : محمد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن، ط(١).

٩٦) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، عدد الأجزاء: ٩

٩٧) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٥

٩٨) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط(١)، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٩٩) الصواعق المرسلّة : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ. الطبعة : طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م. الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م. عام النشر: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٠٠) علم المقاصد الشرعية: نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان ط(١) ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٠١) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع: أحمد بن مصطفى المراغي.

١٠٢) غريب الحديث للقاسم بن سلام: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن ط(١) ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

١٠٣) فتح الباري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

١٠٤) فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٠٥) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، المحقق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان ط(١)، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١٠٦) فتح القدير للشوكاني: الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

١٠٧) الفروق اللغوية للعسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

١٠٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي - القاهرة.

١٠٩) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، دار ركابي للنشر - الغورية - مصر، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

١١٠) في ظلال القرآن: المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط(١٧) - ١٤١٢ هـ.

١١١) القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط(٨) ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١١٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي المحقق: المرتضى الزين أحمد.

- (١١٣) الكشف : محمد بن حسين بن سليمان بن إبراهيم الفقيه دراسة وتحقيق: د/ صالح بن علي المحسن، د/ أبو بكر بن سالم شهال، دار الفضيلة - الرياض ط(١) ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، أصل الكتاب: رسالة من المحققين لنيل درجة الماجستير.
- (١١٤) الكليات: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- (١١٥) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط(١)، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- (١١٦) لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي دار صادر - بيروت، ط(٣) - ١٤١٤ هـ.
- (١١٧) لطائف الإشارات = تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط(٣).
- (١١٨) لطائف قرآنية للشيخ محمود غريب: محمود محمد غريب: من علماء الأزهر الشريف والموجه الديني لشباب جامعة القاهرة.
- (١١٩) مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم، ط(٤) ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- (١٢٠) مباحث في علوم القرآن: مناع بن خليل القطان مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط(٣) ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- (١٢١) المجتبى من مشكل إعراب القرآن: أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام النشر: ١٤٢٦ هـ.
- (١٢٢) مجمل اللغة لابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط(٢) - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- (١٢٣) المحكم والمحيط الأعظم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط(١) ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- (١٢٤) المحلى بالآثار : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- (١٢٥) المحيط في اللغة : إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد

- ١٢٦) مختصر تفسير ابن كثير: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط(٧) ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.
- ١٢٧) مزهر في علوم اللغة وأنواعها : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط(١)، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.
- ١٢٨) مشارق الأنوار على صحاح الآثار: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.
- ١٢٩) المشترك اللفظي في الحقل القرآني : عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة - بيروت ط(٢) ١٤١٧.
- ١٣٠) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض، ط(١) ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٣١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس المكتبة العلمية - بيروت.
- ١٣٢) معاني القراءات للأزهري : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية ط(١) ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- ١٣٣) معاني القرآن للنحاس: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد المحقق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط(١)، ١٤٠٩ .
- ١٣٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط(١) ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ١٣٥) المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة: المؤلف: أحمد عمر أبو شوفة دار الكتب الوطنية - ليبيا، عام النشر: ٢٠٠٣.
- ١٣٦) المعجزة الكبرى القرآن : محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة لناشر: دار الفكر العربي.
- ١٣٧) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط(١) ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ١٣٨) معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ب «قم»، ط(١) ١٤١٢ هـ.

- ١٣٩) معجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط(١) ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ١٤٠) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة.
- ١٤١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ١٤٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض ط(١) ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ١٤٣) مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني: محمد بن أبي المحاسن محمود بن أبي الفتح محمد بن أبي شجاع أحمد الكرمانى، أبو العلاء الحنفى دراسة وتحقيق: عبد الكريم مصطفى مدلج تقديم: الدكتور محسن عبد الحميد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ط(١)، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ١٤٤) مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط(٣) - ١٤٢٠ هـ.
- ١٤٥) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ط(١) - ١٤١٢ هـ.
- ١٤٦) مقاصد الشريعة الإسلامية: علاء عبد الواحد الفاسي، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
- ١٤٧) مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ١٤٨) من روائع القرآن: محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ١٤٩) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها: على أحمد مدكور، دار الفكر العربي، الطبعة: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ١٥٠) منتخب من صحاح الجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي.
- ١٥١) المنهاج الواضح للبلاغة : حامد عوى، المكتبة الأزهرية للتراث، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة: -، عدد الأجزاء: ٥.

١٥٢) الموسوعة القرآنية المتخصصة : مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط(١) - ١٤١٨ هـ.

١٥٣) النبأ العظيم : محمد بن عبد الله دراز اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع.

١٥٤) نحو تفسير موضوعي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض ط(١)، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

١٥٥) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت ط(١)، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

١٥٦) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري المحقق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن ط(٣)، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٥٧) النشر في القراءات العشر: : شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، المحقق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]، عدد الأجزاء : ٢

١٥٨) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ط(٢) - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٥٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٦٠) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام : أحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي القصاب تحقيق:، الجزء ١: علي بن غازي التويجري، الجزء ٢ - ٣: إبراهيم بن منصور الجنيدل، الجزء ٤: شايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار النشر: دار القيم - دار ابن عفان ط(١) ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٦١) النكت في القرآن الكريم : علي بن فضال بن علي بن غالب المَجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت ط(١)، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

- ١٦٢) نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط(١)، ١٤٢٣ هـ.
- ١٦٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.
- ١٦٤) الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، المحقق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٦٥) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري - معتزلي: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري حقه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ط(١)، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- ١٦٦) وظيفة الصورة الفنية في القرآن: عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، ط(١)، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ١٦٧) الولاء والبراء في الإسلام: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، تقديم: فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي دار طيبة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط(١).

خامساً: فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ث	الاهداء
ج	شكر وتقدير
ح	مقدمة
ح	أهمية الموضوع
ح	أسباب اختيار الموضوع
ح	أهداف الدراسة والغاية منها
خ	الدراسات السابقة
د	حدود البحث
د	منهج الباحث
د	خطة البحث
الجانب النظري للدراسة (الفصل التمهيدي)	
٢	المبحث الأول: تعريف بالدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف
٢	أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية القرآنية.
٣	ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية . - ٢٧٨ -

٤	ثالثاً: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً:
٦	رابعاً: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً:
٧	خامساً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات:
٨	سادساً: ما تميزت به الأهداف عن المقاصد
٨	سابعاً: طرق معرفة مقاصد السور والآيات
٩	ثامناً: ما يحتاج اليه الباحث لكشف واستنباط مقاصد السورة
٩	تاسعاً: ما يحتاج اليه الباحث لكشف واستنباط مقاصد السورة
١١	المبحث الثاني: تعريف عام بسورة هود
١٢	أولاً: اسم السورة، ترتيبها، عدد آياتها.
١٣	ثانياً: مكان وزمان نزول السورة.
١٤	ثالثاً: جو نزول السورة.
١٤	رابعاً: مناسبة سورة هود لما قبلها وما بعدها.
١٨	خامساً: محور السورة وخطوطها الرئيسية.
١٨	سادساً: موضوعات السورة.
الفصل الأول إحكام القرآن الكريم وتحدي المشركين به الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (١ - ٢٤)	

٢٢	المبحث الأول: إحكام القرآن ودعوته إلى عبادة الله والتوبة إليه والإيمان بالبعث
٢٣	المطلب الأول: إحكام القرآن.
٢٧	المطلب الثاني: الدعوة إلى تحقيق العبودية لله تعالى.
٣٠	المطلب الثالث: الحث على الاستغفار والتوبة.
٣٢	المطلب الرابع: مرجع الخلائق بعد الموت إلى الله تعالى.
٣٦	المبحث الثاني: كمال علم الله لأعمال الكفار والمنافقين.
٣٦	المطلب الأول: كمال علم الله ﷻ وعظمة نعمته.
٤٠	المطلب الثاني: عظمة عرش الرحمن ﷻ.
٤٥	المطلب الثالث: موقف الإنسان من النعمة الإلهية أو النعمة.
٥١	المبحث الثالث: من أراد الدنيا ومن أراد الآخرة
٥٢	المطلب الأول: من أراد الدنيا وحدها حرم من نعيم الآخرة.
٥٣	المطلب الثاني: آيات الإعجاز في سورة هود.
٥٧	المطلب الثالث: القرآن الكريم ثابت من عند الله تعالى.
٦٠	المطلب الرابع: حقيقة الدنيا ونهايتها.
٦٤	المطلب الخامس: شهادة القرآن الكريم والكتب السماوية على صدق محمد ﷺ.
٦٩	المبحث الرابع: الكافرون والمؤمنون وجزاء أعمال كل منهم
٦٩	المطلب الأول: الكاذبون الظالمون وجزاء أعمالهم.

الصفحة	الموضوع
٧١	المطلب الثاني: أكثر الناس خسارة يوم القيامة الذين يصدون عن سبيل الله.
٧٤	المطلب الثالث: لاتساوي على الإطلاق بين المؤمنين والكافرين.
الفصل الثاني العبر والعظات المستفادة من قصة نوح ﷺ الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٢٥ - ٤٩)	
٨٠	المبحث الأول: قصة نوح عليه السلام
٨٠	المطلب الأول: نوح ﷺ يأمر قومه بعبادة الله ﷻ وحده.
٨٣	المطلب الثاني: عليّة القوم يكذبون نوح ﷺ.
٨٦	المطلب الثالث: مجادلة نوح ﷺ لقومه وإقامة الحجة عليهم.
٩٠	المطلب الرابع: حقيقة النبي ليس ملكاً ولا يعلم الغيب وليس عنده خزائن الله.
٩٦	المبحث الثاني: استعجال قوم نوح ﷺ العذاب ويأسه منهم
٩٧	المطلب الأول: رفض المشركين لدعوة نبيهم نوح ﷺ.
٩٨	المطلب الثاني: بيان أن عذاب الله للمشركين بمشيئته وأنهم لا يعجزونه.
١٠١	المطلب الثالث: الكفار يتهمون النبي ﷺ بالافتراء.
١٠٥	المبحث الثالث: أوحى الله ﷻ إلى نوح ﷺ بصناعة السفينة.
١٠٦	المطلب الأول: أوحى الله ﷻ لنوح ﷺ بعدم إيمان أحد من قومه إلا من آمن.
١٠٧	المطلب الثاني: يحمى الله ﷻ الرسل وينجيهم.

الصفحة	الموضوع
١١١	المطلب الثالث: سخرية قوم نوح <small>عليه السلام</small> عند صناعته للسفينة.
١١٥	المطلب الرابع: سنة الأنبياء جميعا الابتداء بالبسملة.
١٢٣	المبحث الرابع: انتهاء الطوفان ونجاة نوح <small>عليه السلام</small> ومن معه وهلاك ابنه وقومه
١٢٤	المطلب الأول: غرق ابن نوح <small>عليه السلام</small> .
١٣٠	المطلب الثاني: انتهاء فترة هلاك قوم نوح <small>عليه السلام</small> .
١٣٤	المطلب الثالث: العدل الإلهي مطلق.
١٣٩	المطلب الرابع: استعاذة نوح <small>عليه السلام</small> بالله <small>تعالى</small> من سؤاله ما لم يعلم.
١٤١	المطلب الخامس: نجاة نوح <small>عليه السلام</small> ومن معه.
١٤٤	المطلب السادس: قصة نوح <small>عليه السلام</small> من أبناء الغيب.
الفصل الثالث	
قصتا هود وصالح - عليهما السلام - مع قومهما	
الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٥٠-٦٨)	
١٤٨	المبحث الأول: الترغيب والترهيب في دعوة هود <small>عليه السلام</small> وقومه
١٤٩	المطلب الأول: هود <small>عليه السلام</small> يدعو قومه على عبادة الله تعالى.
١٥٢	المطلب الثاني: نتيجة الاستغفار.

١٥٤	المطلب الثالث: من أسباب الضلال التقليد في العقيدة.
١٦٠	المطلب الرابع: التوكل على الله ﷻ عبادة تحت على الالتزام.
١٦٦	المبحث الثاني: نجاة هود عليه السلام وإهلاك قومه
١٦٦	المطلب الأول: تبليغ رسالة الله ﷻ مهمة الأنبياء وهم في رعاية الله ورحمته.
١٧٠	المطلب الثاني: الجحود والعصيان والعناد.
١٧٤	المطلب الثالث: إهلاك قوم عاد باللعنة في الدنيا والآخرة.
١٧٨	المبحث الثالث: قصة صالح عليه السلام وإهلاك قومه
١٧٩	المطلب الأول: دعوة صالح عليه السلام قومه لعبادة الله وحدة.
١٨٣	المطلب الثاني: المجادلة بين صالح عليه السلام وقومه
١٨٧	المطلب الثالث: معجزة صالح عليه السلام.
١٩٠	المطلب الرابع: نجاة صالح عليه السلام ومن آمن معه وهلاك الظالمين.
الفصل الرابع قصة إبراهيم ولوط -عليهما السلام- مع قومهما الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة هود من آية (٦٩-٨٣)	
١٩٧	المبحث الأول: قصة إبراهيم عليه السلام وبشارته بإسحاق ويعقوب
١٩٨	المطلب الأول: مشهد إبراهيم عليه السلام مع الملائكة المُبشِّرين.
٢٠٣	المطلب الثاني: بشارة الملائكة لزوجة إبراهيم عليه السلام.
٢٠٧	المطلب الثالث: توسل إبراهيم عليه السلام من ربه بتأخير العذاب عن قوم لوط.

الصفحة	الموضوع
٢١٢	المبحث الثاني: قوم لوط <small>عليه السلام</small> يريدون ضيفه بسوء.
٢١٣	المطلب الأول: نزول الملائكة لعقاب قوم لوط <small>عليهم السلام</small> .
٢١٦	المطلب الثاني: دعوة لوط <small>عليه السلام</small> لقومه الزواج من بنات قومه.
٢٢١	المطلب الثالث: إصرار قوم لوط <small>عليهم السلام</small> إتيان ضيوفه بسوء.
٢٢٥	المبحث الثالث: هلاك قوم لوط <small>عليهم السلام</small> وزوجته.
٢٢٦	المطلب الأول: نجات لوط <small>عليه السلام</small> وأهله، وإهلاك زوجته وقومه.
٢٣٢	المطلب الثاني: إهلاك قوم لوط <small>عليهم السلام</small> بقلب قراهم عاليها سافلها.
٢٣٤	المطلب الثالث: الرجم حد من ارتكب جريمة اللواط.
٢٣٨	الخاتمة
٢٣٨	أولاً: أهم النتائج
٢٣٩	ثانياً: أهم التوصيات
٢٤٠	الفهارس العامة
٢٤١	أولاً: فهرس الآيات القرآنية.
٢٥٩	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية والآثار.
٢٦٢	ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.
٢٦٤	رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

الصفحة	الموضوع
٢٧٨	خامساً: فهرس الموضوعات.
٢٨٨	ملخص الرسالة باللغة العربية.
A	ملخص الرسالة باللغة الانجليزية.

ملخص الرسالة

يحدد هذا البحث مقاصد وأهداف موضوعات سورة هود عليه السلام وتحليلها للوصول إلى الأبعاد التربوية والعقدية في نفوس المسلمين القائمة، وهي بعنوان: (الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والعشرين من القرآن الكريم "سورة هود الآيات: ١-٨٣")، حيث قسم الباحث الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة وفهارس، على النحو التالي:

المقدمة: وتشمل على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

الفصل الأول: وصف القرآن الكريم بـ(الإحكام)، و(التفصيل)، في حالتي البشارة والندارة. فقد أرشدت هذه الآيات إلى تحقيق العبودية لله تعالى، كما اشتملت على أصول عقائد الإسلام، من التوحيد، والبعث، والجزاء، والعمل الصالح، وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني: عنيت هذه السورة بالقصص القرآني، وقد بدأت أولاها بقصة نوح عليه السلام، حيث أمر قومه بعبادة الله تعالى، لكنهم رفضوا الدعوة، عندئذ أبلغ الله تعالى نوح عليه السلام أن قومه لم يؤمنوا به، فأمره بصنع السفينة، ثم ركوبها؛ لأن العذاب قد اقترب، ونادى نوح عليه السلام ابنه ليركب وينجو معه، فرفض الابن، عندها نجى الله تعالى نوحاً عليه السلام، ومن آمن معه، وأهلكهم جميعاً.

الفصل الثالث: بدأ هذا الفصل بقصة هود عليه السلام، فحث قومه على الاستغفار والتوبة، وأخبرهم بنتيجة الاستغفار، فأعرضوا محتجين باتباع الآباء والأجداد، ولمَّا أسروا على كفرهم أهلكهم الله تعالى ونجى هوداً عليه السلام ومن آمن معه.

ثم انتقل السياق القرآني إلى قصة صالح عليه السلام مع قومه، حيث دعاهم إلى عبادة الله وحده، لكنهم جادلوه في ذلك؛ وطلبوا منه أن يأتي بمعجزة ليصدقوه، فأخرج الله تعالى لهم من الصخرة الصماء ناقة، وأمرهم ألا يمسوها بسوء، وأنها لهم آية، فلهم أن يشربوا من حليها يوماً، ويتركوها تشرب الماء يوماً آخر؛ لكنهم عقروها فأهلكهم الله تعالى ونجى صالحاً عليه السلام ومن معه.

الفصل الرابع: وقد حظي هذا الفصل بقصة إبراهيم عليه السلام وبشارة الملائكة له ولزوجته بالبنتين بعد أن بلغ من الكبر عتياً، وتَعَجَّب زوجته من ذلك، فطمأنوها بحصول بأنها من أهل البيت، وصوف تُرزق الولد.

أما القصة الأخيرة في هذا الحزب وهي قصة لوط عليه السلام، حيث جاءت الملائكة إليه، فرأتهم امرأته، فأخبرت القوم، فأرادوا الفاحشة بضيفه، فأرشدتهم إلى التزوج بنات القرية، فرفضوا ذلك، عندئذ أنزل الله تعالى العذاب على أهل هذه القرية، ونجى الله تعالى لوطاً عليه السلام ومن آمن معه. ثم **الخاتمة:** وقد تضمنتها أهم النتائج والتوصيات.

Abstract

This study aims at investigating the SuraHud and its aims. The study also aims to analyse the Sura to get the intended educational messages embedded in it. The study is titled “The Analytical Study of Purposes and Objectives of Part Twenty-Three in the Holy Quran (SuraHud 1-83)

The study is divided into an introduction, four chapters, a conclusion, and appendices. The introduction covers the importance of the topic, justification of choice, objectives of the study, previous studies, methodology and the study plan.

The first chapter focuses on the two characteristics of the Holy Quran as being direct in giving good tidings and being detailed in giving warnings. The verses in question lead to achieving worshipping only Allah. They also contain the basic foundations of Islam such as declaring that there is no God worthy worshipping but Allah (*Tawhid*), resurrection, punishment, good deeds, and Muhammed being a true prophet.

The second chapter focuses on the fact the SuraHud contains Quranic stories. It starts by the story of Noah, who ordered his people to worship Allah, yet they refused. Therefore, Allah informed Noah that his people had not believed him and ordered him to make a ship. They all took the ship on because torture was imminent. Noah called his son to take the ship on so that he survives with him. The son refused. Then Allah rescued Noah and those who believed him, while He destroyed all those who had not believed Noah.

The third chapter tackles the story of Hud who urged his people to repent, yet they refused claiming that they follow what their parents had previously followed. When those people insisted on this disbelief, Allah destroyed them all and rescued Hud and those who believed him. Also, this chapter covers the story of Saleh with his people. He asked them to worship only Allah, but they disputed him and asked him to show them a miracle. Then Allah created a camel from a solid rock, and He ordered them not to touch it as it is a miracle for them. They could drink from its milk one day, and leave it the other so that it drinks water. They disobeyed; thus, Allah destroyed them and rescued Saleh and those who believed him.

The fourth chapter contains the story of Abraham and the good tiding for him and his wife by angels- they will have siblings after getting very old. His wife was really astonished, but angels calmed her down and told her she will have a son.

The last story in this part of SuraHud is the story of Lot. Angels came to Lot. His wife saw them and told the people about the matter. Those people intended to harm angels. Lot asked his people to marry only females from their town, but they refused. Then Allah inflicted them with torture and rescued Lot and those who believed him.

The last part of the study contains the conclusion which entails recommendations and findings.